الدكتور محمود الحاج قاسم محمد

تاريخ طب الأطفال عند العرب

الطبعة الثانية

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية



بسم الله الرحمن الرحيم



الناشر

تهامة

جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب: ٥٤٥٥ - هاتف: ٦٤٤٤٤٤٤

تاريخ طب الأطفال
عند العرب



الإهداء

إلى زوجتي العزيزة أم حسَّان التي عانت
- وأعانت - الكثير في إعداد هذا الكتاب.

وإلى أولادي الأحبة الذين حرمتهم كثيراً من
وقتي الضيق حتى أتممته .

أهديه لهم جميعاً .. إعزازاً .. وإكراماً ..

أبو حسَّان



مقدمة الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب أواخر سنة ١٩٧٨م، وقبيل حلول السنة العالمية للطفولة. وقد أصدرته وزارة الثقافة والفنون ضمن سلسلة دراسات برقم (١٥٠)، ولم يكد يصل إلى المكتبات حتى تلقفته الأيدي فنفدت جميع نسخه خلال أشهر معدودة.

واليوم أقدم الطبعة الثانية من الكتاب بعد أن أضفت له ما استجد عندي من بحوث وما توصلت إليه من دراسات في تاريخ طب الأطفال عند العرب والمسلمين. كما أجريت على الكتاب الكثير من التنقيحات والتغييرات مستفيداً بذلك من الاقتراحات القيّمة لبعض القراء والناقدين من مؤرخي تاريخ الطب. كما استغنيت عن بعض الفقرات والنصوص التي تكررت في أكثر من موضع.

وفي كل ذلك كان أملي أن أصادف الحقيقة، وأستكمل نواقص الكتاب، فإن وجدتني عزيزي القاريء قد اقتربت من الهدف المنشود فتلك سعادتي، وإلاّ فإني سأبقى منتظراً النقد مهما كان شديداً، ولك ولكل الناقدين عظيم شكري وتقديري.

أصبح الكتاب يحتوي إضافة لمقدمتي الطبعة الأولى على ستة فصول وفهرس للمصادر:

الفصل الأول ــ « طب الأطفال عند الأمم السابقة » : التغيير الذي طرأ على هذا الفصل كان توسعاً بيّناً في قسم طب الأطفال في مصر القديمة.

الفصل الثاني ــ « الطفل عند العرب قبل الإسلام وبعده » : التغيير الذي حصل هنا إضافة لعنوان الفصل كان، إضافة قسم (الطفل عند العرب قبل الإسلام) والتوسع الملحوظ في قسم (الإسلام والطفل).

الفصل الثالث ــ « الأم والطفل من الحمل حتى الفطام عند العرب والمسلمين » : لقد حدث تبدل أساسي في هذا الفصل حيث يتبين من عنوانه أنه شمل إضافة قسمين جديدين له، الأول عن الأم من الحمل حتى الولادة عند العرب والمسلمين، والثاني عن تطور نمو الجنين (علم الأجنّة).

الفصل الرابع ــ « أمراض الأطفال عند الأطباء العرب والمسلمين » : قمت في هذا الفصل بتوسع كبير في بعض الأمراض، كأمراض العين والأمراض المعدية وجراحة الأطفال.

الفصل الخامس ــ « مؤلفات الأطباء في طب الأطفال » : التغييرات التي طرأت في هذا الفصل كانت، إضافة مؤلفات بعض الأطباء العرب والمسلمين ممن لم يأت ذكرهم في الطبعة الأولى من أمثال: ابن ماسويه، الزهراوي، الأصفهاني، الغزالي، ابن

زهر، ابن طفيل، إخوان الصفا، القزويني، الدميري، ابن القيم. وتوسعاً لمؤلفات البعض الآخر من أمثال: البلدي، ابن سينا، مهذب الدين البغدادي، ابن المقفع وغيرهم.

الفصل السادسـ «القواعد الأساسية في التربية والتعليم عند العرب والمسلمين»: لم يخل هذا الفصل من الإضافات والتغيير في أغلب أجزائه.

فهرس المصادرـ لقد استحدثت ذلك بناء على اقتراح بعض النقاد، فجمعت هنا جميع المصادر التي اعتمدت عليها ووضعتها متسلسلة حسب حروف المعجم بالنسبة لشهرة المؤلف.

ولا يسعني ـ وأنا أنهي مقدمة الطبعة الثانية ـ إلا تقديم شكري العميق للأستاذ دكتور سالم الحمداني لتفضّله بتصحيح الطبعة الثانية من الكتاب، لغوياً، وللأستاذ عبدالوهاب الطائي الذي فاتني أن أشكره في الطبعة الأولى، حيث كان له فضل تصحيح الطبعة الأولى من الناحية اللغوية أيضاً.

وأخيرا لابد من القول بأنه ما كان للطبعة الثانية أن تتم في السعودية بغير الجهود العظيمة للأستاذ الدكتور محمد علي الباز الذي تكرّم بالإشراف شخصياً على طبع الكتاب وتصحيح الأخطاء المطبعية، احتساباً عند الله، علماً بأنه لم تربطني به سوى صداقة حديثة عن طريق المراسلة فقط، دون أن نتقابل، الأمر الذي يجعلني مديناً له بالشكر والامتنان مدى الحياة.

المؤلف

مقدمة الطبعة الأولى

من الحقائق المسلّم بها أن أولى الناس بدراسة تاريخ أي علم في أي بلد هم أبناء ذلك البلد من المشتغلين بذلك العلم، وذلك لإلمامهم بالدقائق العلمية والفنية للموضوع الذي يتعرضون له بالدراسة بجانب الشعور بأنهم يكتبون تاريخ آبائهم وأجدادهم.

من هنا كان الأطباء العرب هم المسؤولين في المقام الأول عن دراسة تاريخ الطب العربي، و يقع على عاتقهم بيان التأثير العظيم لذلك التاريخ على الطب المعاصر، ولن يتم لهم تحديد معالم ذلك التأثير البالغ في نظري قبل أن يدرسوا آلاف المخطوطات الطبية العربية من جديد بطريقة علمية حديثة و بشكل منظم يحفظ الجهود من الضياع سواء في التكرار أو الإعادة.

مساهمات الأطباء العرب في حقل طب الأطفال لم تبحث إلا من قبل القليلين من كتاب تاريخ الطب العربي، ولا نكاد نجد في كتاباتهم ما يدل على حقيقة ما قدموه في هذا الحقل لذلك آليت على نفسي ومنذ أمد بعيد أن أن أكتب في حقل اختصاصي قدر ما أستطيع وقدر ما يسمح به وقتي الضيّق.

كانت بدايتي في الكتابة عن تاريخ الطب العربي سنة ١٩٧٠م، كتبت في حينها بحثاً موجزاً عن طب الأطفال عند العرب ثم توالت كتاباتي في بعض فروع الطب الأخرى طبعتها بعد تنقيحها وإضافة الكثير إليها بكتاب أسميته: «الموجز لما أضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة به» نشر سنة ١٩٧٤م.

ثم كتبت أكثر من عشرة أبحاث متفرقة عن مساهمات الأطباء العرب في طب الأطفال نشرت في مجلات عراقية وعربية مختلفة ففكرت أن أجمعها في كتاب تحت عنوان: «تاريخ طب الأطفال عند العرب». لأسدّ به فراغاً في المكتبة العربية حيث انني وجدت أن هذا الموضوع لم يلق الاهتمام من غالبية مؤرّخي تاريخ الطب عند العرب وغير العرب كما ذكرنا. كما أن الحافز الآخر الذي دفعني إلى إصدار هذا الكتاب، كان إلحاح وتشجيع الكثيرين من زملائي في جمعية أطباء الأطفال العراقية وخاصة رئيسة الجمعية الدكتورة لمعان أمين زكي التي أتمّت مكرمتها بكتابة مقدمتها الرائعة لكتابي، فلها جزيل شكري وامتناني.

كان من المؤمّل لهذا الكتاب أن يصدر قبل عام تقريباً، إلا أن انشغالي بدوّامة العمل وزحمة المرضى في المستشفى صباحاً، والعيادة مساء، وتحضير محاضرات مادة «العلوم عند العرب» وإلقائها على طلبة كلية طب الموصل، كل ذلك كان حائلاً دون صدوره في الموعد المحدد.

واليوم و بعد جهود مضنية قمت بها أياماً وليالي بحثاً وتدقيقاً وتمحيصاً في الكتب والمخطوطات هنا

في العراق، وفي القاهرة، والأوسكريال في أسبانيا، واستانبول، استخلصت منها الكثير من الجديد والمفيد الذي لم أذكره في كتاباتي السابقة، لأكمل ما بدأته ولأقدّم بكل تواضع كتابي هذا علّه يكون ضياء كاشفاً أمام أجيالنا الجديدة لتعلم أن آباءها كانوا بناة للحضارة والعلم.

* * *

فصّلت في الكتاب مساهمات أعلام الطب عند العرب في هذا الحقل وكشفت عن جوهر اهتماماتهم العلميّة ومدى ما قدموه لعلم طب الأطفال من إضافات حيّة إيجابية.

شمل الكتاب فصولاً ستة هي كما يلي:

الفصل الأول ــ تحدثت فيه عن طب الأطفال عند الأمم السابقة، وابتدأت بطب الأطفال في بلاد ما بين النهرين، وأعقبته بطب الأطفال لدى المصريين القدامى، ثم اليونانيين بشكل مختصر.

وعقدت **الفصل الثاني** عن الإسلام والطفل، ذكرت فيه بعضاً من الأمور التي اهتم بها الإسلام بالنسبة للطفل من ناحية رضاعته ووقايته من الأمراض وألعاب الطفل وتربيته.

أما **الفصل الثالث** فأوجزت فيه مساهمات الأطباء العرب في طب الأطفال من ناحية تأليفهم أول كتاب مستقل في طب الأطفال، وآرائهم في كيفية العناية بالحامل والمولود حديث الولادة وتغذية المولود.

وخصصت **الفصل الرابع** لذكر أمراض الأطفال عند الأطباء العرب.

ثم ذكرت مؤلفات الأطباء العرب في طب الأطفال في **الفصل الخامس**، مع التأكيد على القيمة العلمية لبعض المؤلفات المهمة والتي تعتبر حجر الأساس في نشوء علم طب الأطفال.

الفصل السادس والأخير جمعت فيه خلاصة القواعد الأساسية في التربية والتعليم للأطباء العرب والمسلمين.

المؤلف

مقدمة الكتاب
الدكتورة : لمعان أمين زكي

لا اختلاف في أن من يدرس تاريخ العرب والمسلمين يقف بدهشة واحترام عميقين أمام تراث ضخم متعمّق في شتي ضروب المعرفة الإنسانية. ولكنه بالرغم من ذلك تراث مظلوم لم يمنح حقّه من الدراسة والتحقيق والتقييم، إذ مازالت الكثرة الكاثرة من النتاجات العربية تنتظر المزيد من التحرّي والتدقيق. بل إنها مازالت تفتقر إلى من يكتشف وجودها في بطون خزانات الكتب في شرق البلاد وغربها. وإنه لمن الغرابة بمكان، ومن الأسف أيضاً، أن يكون للعرب في شتى حواضرهم هذا العدد من الجامعات تدفع أفواج الخريجين كل عام، وهذه النخبة الممتازة من الأساتذة والاختصاصيين ولا يكون لهم خطة مبرمجة تضعها لجنة معتمدة لدراسة التراث تحسن التخيّر والانتقاء من معين خصب، وتجمع الراغبين من الخريجين فتدربهم وتوجههم وتشرف على عملهم ضمن هذه الخطة. وتحرص أن تكون الصيغة التي يلقى بها التراث إلى الأجيال الطالعة بالشكل الذي يبرز كل ما هو إنساني وخلاّق في التراث وما هو حري بإغناء الحاضر وتطوير المستقبل.

وقد يجدر بي أن أبادر إلى القول بأنني بهذه الفكرة لا أقصد أن أسخّر التراث لتغذية مشاعر التفاخر والتعالي والتكاثر. أو التعصّب القومي والتحجّر العرقي. فذلك بعيد عن طبعي وتفكيري. وهو أيضاً على نقيض من خصائص الحضارة الإنسانية الرائعة التي أنتجته. حضارة رحبة الصدر واسعة الأفق بعيدة عن التعصّب والجمود، استطاعت في تلك القرون السحيقة أن تطوع النعرات، وتجمع القلوب، وتوحّد الجهود في المروءة. فتعاون المسلم مع الكتابي، وأسهم العربي إلى جانب الأعجمي، ضمن الإطار الإسلامي الرحب، فكان الطابع المميّز لتلك الحضارة وتلقائياتها في احترام الإنسان بصرف النظر عن «جنسه أو لونه أو دينه أو مذهبه السياسي» كما تعبّر شرائع العصر الحديث.

كما أنني لا أدعو إلى دراسة التراث على أساس تقديس كل ما هو قديم. أو لكي يتحكّم الماضي في الحاضر وأن يشل يديه عن الحركة. بل إنني أريد له أن يكون مصدر إلهام لجيل الحيرة والقلق المعاصر في جهاده لفهم الذات وتحديد الهوية وتحقيق الشخصية. وأن يكون وسيلة من الوسائل التي يصارع بها اليأس، والتي تؤدي به إلى الاطمئنان على الغد والثقة بالمستقبل، في فترة تاريخية تكاثرت عليه مثبطات العزائم ومفترات الهمم.

وقد كانت العلوم الطبية من جوانب المعرفة التي عني العرب والمسلمون بها وانكبوا على دراستها وتطويرها. ولم يعدموا أن يفيدوا ما عرف في عصرهم من التراث اليوناني وغيره، إلى جانب العلوم المحلية لشعوب غير عربية وثيقة الوشائج مع العرب. وعمدوا إلى تسجيل نتائج بحثهم وثمرات تجربتهم بلسان عربي مبين. وقد ضاع الكثير ممّا كتبوا للأسف غير أن ما وصلنا إليه عبر القرون من نتاج ذلك كله، يشكل مجموعة من المؤلفات الطبية مازالت تبهر العلماء المعاصرين بمنهج دراستها وبأسلوب تبويبها وتفكيرها وما قد توصلت إليه من الحقائق العلمية. وإنه لمن دواعي السرور أن نجد بين العلماء العرب المعاصرين أفراداً التفتوا إلى التراث واهتموا بتحقيقه وتعريفه للناس. فأغنوا المكتبة العربية وتاريخ الطب بسلسلة من المؤلفات والتحقيقات نرجو لها أن تتزايد مع الأيام. وهي في الغالب كتب تناولت العلوم الطبية بصورة عامة وشاملة.

أما تاريخ طب الأطفال فقد كان حظه من هذه البحوث محدوداً جداً ومقتصراً على شذرات قليلة متناثرة في الكتب المختلفة مبعثرة بين فصولها. لذا فإن البحث عنها عند الحاجة إليها كان يستنفد منّا جهداً وعناء كبيرين. ومن هنا كان سروري عظيماً حين وجدت زميلاً فاضلاً من إخواني الاختصاصيين بطب الأطفال هو الدكتور محمود الحاج قاسم يولي هذا الأمر عنايته فيسترق الوقت استراقاً من بين واجباته الكثيرة ليرضى فضوله العلمي وفضولنا معه. ومن هنا أيضاً كان إلحاحنا عليه أن يراجع فصوله ويزيد فيها ويجمعها في كتاب يسهل علينا الاطلاع على ما كتب آباؤنا في هذا الفرع المهم من فروع العلوم الطبية. وما من شك أن الزميل قد أمعن البحث وأطال الدرس لكي يخرج لنا كتابه «تاريخ طب الأطفال عند العرب» في فصول ستة يمكن اعتبارها خلاصة مكثفة لعلوم «حياة الطفل وصحته» في تاريخنا منذ الحقبة البابلية والآشورية. فهي فصول مركزة تعرض جوانب هامة من مفاهيم بعضها مازال معتمداً في أيامنا هذه. مثال ذلك تفهم الأقدمين لما للوراثة من تأثير كبير على صحّة الطفل، أو تقديرهم للروابط الوثيقة بين الأم وصحة طفلها ولأهمية التغذية والنظافة وأساليب الوقاية من الأمراض. إلى جانب وصفهم السريري الدقيق لأمراض وعاهات كثيرة. ولم يغفل المؤلف ذكر المصادر التي اعتمدها ففي الكتاب ذخيرة ثمينة من أسماء مراجع البحث المهمة ومن المصطلحات العلمية العربية القديمة.

والكتاب إلى جانب ذلك كله مكتوب بأسلوب شيّق سهل المطالعة لا يكلّف قارئه جهداً ثقيلاً. ولا شك عندي في أنه سوف يحقق النفع الكبير لمن يرجع إليه من الأطباء وغيرهم من القراء.

الدكتورة لمعان أمين زكي
أستاذة طب الأطفال في جامعة بغداد
ورئيسة جمعية أطباء الأطفال العراقية
١٩٧٧

الفصل الأول

طب الأطفال عند الأمم السابقة

- طب بلاد ما بين النهرين.
- الطب المصري القديم.
- طب الأطفال عند اليونانيين.



طب بلاد ما بين النهرين

هناك الكثير ممّن يعتقدون بأن هذه البلاد أقدم موطن لمدنيات الشرق وأن الطب فيها يعتبر أقدم الحضارات الطبية في العالم، منهم (ورن دوسن) الذي يقول في كتابه MAGICIAN AND LEECH (ص ١٢٨): «إن المعلومات التي ظهرت من هذه الأ بحاث أثبتت أن الطب الأشوري كان متقدماً عن الطب المصري. وأن هناك تشابهاً بين نصوص القطرين حيث يمتزج الطب بالسحر» (٢٤م ١ ص ٣٥).

و يقول الدكتور عبداللطيف البدري: «لقد عثر في كيش على رقيم يرجع تاريخه إلى ٤٢٠٠ ق.م، ثم عثر على قوالب منقوش عليها نصوص طبية، وان (أورد كاليدينا) الذي عاش في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وقت ازدهار الطب يقابل (أمحوتب المصري) الذي يعتبره البعض أول طبيب ذكر في المصادر التاريخية» (١١ ص ١٩).

إن الطب عند الأشوريين والبابليين على ما فيه من بدائية و بساطة فيه أيضا كثير من العلم الصحيح والمفيد. فهم أول من عرف العدوى، وحصاة المثانة. ومعرفة حصاة المثانة في ذلك الدهر البعيد ليس بشيء قليل، كما أن مداخلاتهم الجراحية في معالجة العيون تدلل على المدى غير القصير الذي توصّلوا إليه في الطب (٤٤ ص ٢).

وكان لديهم ثلاثة مذاهب للمعالجة (٦٣ ص ٨٤):

١ ــ المعالجة بالنصح (الطب الوقائي).

٢ ــ المعالجة بتشخيص المرض ووصف الأدوية النباتية والحيوانية **والمعدنية** (الطب المزاجي الطبيعي).

٣ ــ المعالجة بالسحر والطلاسم (الطب النفسي).

ونشر (لابات) كتاباً يحتوي على أربع متسلسلات مجموعها أربعون رقمياً لكل منها عنوان، وهي تبحث في مختلف الأمراض وخصص القسم الخامس من الكتاب للمرأة وأمراضها، وعن الرضاعة، و يتألف من عشرة ألواح لم يعثر على سوى ثلاثة منها:

الأول ــ يبحث في العلامات التي تلاحظ على المرأة والتي نتعرف منها ما إذا كانت الحامل ستلد طفلاً طبيعياً وهل سيولد صحيح الجسم؟

الثاني ــ يتكلّم اللوح عن المرأة الحامل وأمراضها.

الثالث ــ يبحث عن الأطفال في دور الرضاعة والآلام الناتجة عن ظهر الأسنان الحليبية ثم اضطرابات المعدة والأمعاء عندهم والتشنجات الحاصلة وأسباب القيء والبكاء... إلخ.

وكلها ترينا مدى دقتهم في الأوصاف وخبرتهم وتجربتهم الواسعة في هذا المجال. وعلى سبيل المثال نذكر الفقرات التالية (١٢ ص ١٥٠ــ ١٥١):

ــ إذا كان رأس الطفل ساخناً من غير أن يصاب جسمه بالحمى، وكان لعابه يسيل وكان يصرخ كثيراً وان ما يأكله لا يبقى في معدته بل يقذفه، فإن أسنان هذا الطفل ستنبت خلال خمسة عشر أو عشرين يوماً وان هذا الطفل سيواجه أياماً شاقة و يبقى مكدوراً.

ــ إذا كان الطفل في سنته الأولى والثانية والثالثة أو الرابعة يعجز عن الانتصاب عندما يستشاط غضبا وإذا لم يستطع أكل الأغذية الصلبة وإذا كان فمه لا يستطيع معه الكلام فإن عملية الإخصاب عند تكوينه لم تكن ناجحة.

ــ إذا كان جلد الطفل مترهلاً وهو رضيع مع أن غذاءه هو الحليب وكان الثدي معداً له فعافه، وهو لا يأكل بعد فليس لك إلا أن تستبدل ثدي أمه وأن تضعه على ثدي آخر.

ــ وان أكثر ما تبقّى من النصوص يعتمد في أساسه على السحر والأدعية والتعاويذ.

كما أن هناك علامات ذكرها النص قد لا يكون لها أهمية مثل وجود الفتق الداخلي عند الطفل ومن أنه إذا كان رأس الطفل حاراً وفيه حرارة فإنه سيشفى.

ونقرأ في بعض النصوص عن أطفال بلهاء أو بكم منذ الولادة وتوسع الخصيتين عند الطفل أو عنده تلكؤ بالكلام.

وجاءت نصوص قانون (حمورابي) الذي عاش ما بين عامي (١٧٢٨ــ ١٦٨٦ق.م) متضمنة نصوصا لحماية الأطفال وتنظيم الأسرة وحفظ حقوقها، وهناك نص يقضي بإعدام خاطف الأطفال، ونص يفرض عقوبة على المرضعات اللاتي يقصّرن في العناية بالأطفال الرضع المعهودين إليهن.

وأخيراً لابد من الاعتراف بأن المعلومات المتعلقة بطب الأطفال في التراث الطبي لبلاد ما بين النهرين والتي وصلتنا حتى الآن هي قليلة إلا أنها بصورة عامة ذات قيمة عظيمة في تاريخ الطب باعتبارها أول كتابة شبه مستقلة في طب الأطفال على رأي بعض المؤرخين.

الطب المصري القديم

ويعتقد قسم من الباحثين بأن قدماء المصريين كانوا أول من مارس الطب على أسس سليمة. يقول الدكتور حسن كمال: «إن طب الإغريق لم ينبت في بلاد الإغريق كما اعتقد الناس أولاً، بل كثيره مأخوذ عن قدماء المصريين». وبعد أن يسرد الأدلّة على ذلك يقول: «هناك إذن كل الأسباب التي تجعل الإنسان يعتقد أن الطب نشأ في وادي النيل وأن مصر هي مهده، وعلى ذلك فالذي يجب أن يحمل لقب قديس العبقرية الطبية هو «امحوتب المصري» لا «اسكلوبيوس الإغريقي» (٢٤م ٣ ص ٢٢٠).

قال (« هيرودوست » ٤٢٨٤ــ ٤٢٥ق.م) : إن المصريين عرفوا الطب معرفة جيدة وتخصصوا في أفرعه، فمنهم من توفر على أمراض النساء ومنهم من تخصص في أمراض العيون وقتئذ. إلا أنه ليس هناك ما يشير إلى تخصص بعضهم في طب الأطفال.

رعاية الطفولة عند المصريين (٢٤ م ١ ص ٤٨٧٠) :

تتجلّى هذه الرعاية عند قدماء المصريين في المحافظة على حياة الطفل (الوصفة ٥، ٨٢٨، ٨٣٩) والاهتمام بجودة لبن الطفل بالثدي (٥، ٧٨٨، ٧٩٦) وبكميته (٥، ٨٣٦). وسلامة الثدي وإرضاع الأم طفلها (٥، ٨١٠، ٨١١) وإبعاد الحشرات المؤذية كالذباب (٥، ٨٤٥) والبعوض (٥، ٨٤٦) وقدسيتهم للرضاعة، وحكاية موريس من أولها إلى آخرها حكاية رعاية الطفولة وأورد ليففر (١٦ ل ٢) صورة لامرأة تحمل طفلها وإناء لبن لإرضاع الطفل منه.

وكانت كثرة وفيات الأطفال موجودة قديماً كما هي حديثاً. فقد ورد عن رمسيس الثاني أنه أنجب ١٧٠ طفلاً وذكر أحد موظفي المملكة الوسطى أنه رزق ٦٠ طفلاً (٢٤ م ١ ص ٦٨).

وفطن المصريون إلى أهمية اللعب للأطفال ووجدوا فيها شحذاً لعقولهم، وتسلية لأوقات فراغهم، وعثر على الكثير من اللعب في مقابر المصريين كالكرات، ودمى لطيور وحيوانات صغيرة، كما اهتم المصريون بتدريب أبنائهم على مختلف أنواع الرياضة البدنية منذ نعومة أظفارهم (٤١).

أما أمراض الأطفال التي ذكرت عندهم (٢٤ ص ٤٨٧) فكانت:

١ ــ **النزلات المعوية : اهتم** بها قدماء المصريين (٢، ٣٠، ٤٨) والوصفة (٥، ٤٩) تشير إلى هذه الناحية. ويظهر أنه كانت هناك عدة وصفات للنزلات المعوية لأن الكاتب قال في (٥، ٤٩): إن «الوصفات تشبه بعضها». وعنوان الوصفة (٥، ٤٩) «لطرد نوبات التبرز المؤلم

العديد» وهو غالباً النزلات المعوية. ووجدت بأمعاء الأطفال بقايا فيران مما يدل على أنهم عالجوا أطفالهم بهذه الحيوانات ولا يزال هذا التداوي منتشراً في أوربا وفي مديرية قنا في مصر (٢٤ م ١ ص ١٠).

٢ ــ **التسنين :** شرح (ورن دوسن) ادرار اللعاب وقت التسنين عند الأطفال (١٦ ص ١٢).

٣ ــ **التبوّل عند الأطفال :** اهتم به قدماء المصريين، فوصفوا العلاج لاحتباس البول (٥، ٢٦٢). ولتنظيمه عند الأطفال (٥، ٢٧٢). واعتبر قدماء المصريين لبن الأم وسيلة يمكن بواسطتها إعطاء الطفل العلاج، فوصفوا الدواء اللازم للأم المرضع بقصد نزوله في لبنها (٥، ٢٧٢) وورد سلس البول عند الأطفال أيضاً في (٥، ٢٧٤).

٤ ــ **شلل الأطفال :** (٢٤ ص ٤٠) ورد هذا المرض منقوشاً على شاهد قبر لكاهن اسمه (روما) بالدانمارك من زمن الأسرة ١٨ حوالي ١٥٠٠ ق.م وصفه (هامبورجر) (٢١ ج ١٠ ص ٤٠٧ ــ ــ ٤١٢) **بأنه مصاب بضمور عضلات الساق الأيمن وقصره و يسير معتمداً على عصاً.**

وشخص الدكتور (جون متشل) شلل الأطفال في موميا عثر عليها بتري في دهشور (٣٧٠٠ ق.م) (٢٤ م ٣ ص ٢٣٥).

٥ ــ **الكساح :** (٢٤ م ١ ص ٥١٢) هناك ما يشير إلى وجود الكساح في مصر الفرعونية فهناك رسوم لأشخاص رؤوسهم كبيرة ووجوههم صغيرة وأطرافهم السفلى مشوهة وأقدامهم مفرطحة.

٦ ــ **الختان :** وردت رسوم قديمة تمثل هذه العملية على الآثار كما ورد ذكر الختان على القراطيس البردية، بل وجدت موميات معمول لها عملية الختان، ولم يتأكد للآن إذا كانت هذه العملية تعمل لكل الذكور (٢٤ م ٣ ص ٧٢).

طب الأطفال عند اليونانيين

أما اليونان القدماء فقد أخذوا معلوماتهم الطبية عن مصر وبابل وكريت، وكانت المعلومات الكريتية مأخوذة عن مصر. وقد رفع اليونان (اسكولابيوس) إلى مصاف الآلهة ودعوة إله الشفاء، ثم انتقلت صناعة الطب من اسكولابيوس إلى أحفاده. ولم يكن للعصر البيزنطي أثر على الطب العربي. (٣٠ ص ١٩، ص ٢٢).

أشهر من كتب في طب الأطفال من الأطباء اليونانيين ممّن كان لهم أثر في كتابات الأطباء العرب كان:

أبقراط (٣٥٠ ق.م) :

أبو الطب اليوناني، صاحب القسم الطبي المعروف. مؤسس أول مستشفى في التاريخ، أول من دوّن صناعة الطب وشهرها وأظهرها، والذي انتهى إلينا ذكره من كتب أبقراط الصحيحة نحو ثلاثين كتاباً (٣ ص ص ٥١) إلاّ أن ما له علاقة بطب الأطفال، هو:

١ ــ كتاب في المولودين لسبعة أشهر.

٢ ــ كتاب في المولودين لثمانية أشهر.

٣ ــ كتاب الأجنّة وهو ثلاث مقالات: المقالة الأولى تتضمن في كون المني، المقالة الثانية تتضمن القول في كون الجنين، المقالة الثالثة في كون الأعضاء.

٤ ــ بعض الفقرات في كتابة الفصول.

ومن أقواله في تكوين الجنين، والطفل بصورة عامة نذكر ما يلي (٢):

- ومن قوة المني وضعفه يكون الذكر أو الأنثى.
- إن الجنين ... له كل ما للمني الذي كَوّنُه منه، وكما أن البناء يشبه ما يكون منه أعني المني وفيه من القوة والضعف كما يكون في المني منه.
- إن أول عضو يتكوّن، الدماغ والعين.
- إن الذكر تتبيّن خلقته في اثنين وثلاثين يوماً وتتبيّن خلقة الأنثى في اثنين وأربعين يوماً.
- فإن ولد المولود في الشهر السابع أو التاسع عاش وإن ولد في الثامن لم يعش وذلك لأن أفضل الأعداد الفرد (*).
- فأما قصر البدن وصغر المولود فإنه يكون من ضيق الرحم أو قلّة غذاء الجنين.
- ينبغي للحوامل إن احتجن إلى العلاج أن يتعالجن في الشهر الرابع إلى الشهر السابع فأما قبل ذلك و بعده فلا (**).

(*) هذه الغلطة نقلها الأطباء العرب وأصبحت لدى الكثير ين منهم يقيناً.

(**) هناك محذور علمي شديد الآن في إعطاء العلاج قبل الشهر الرابع من الحمل على عكس ما ذكر.

— أسنان الناس سبعة أولها طفل ثم صبي إلى أربع عشرة سنة ثم غلام إلى إحدى وعشرين سنة ثم شاب مادام يشب و يقبل الزيادة إلى خمس وثلاثين سنة ثم كهل إلى تسع وأربعين سنة ثم شيخ إلى سبع وستين ثم هرم إلى منتهى العمر.
— إن النساء والصبيان لا يصيبهم صلع ولا نقرس.
— أما أسنان الأطفال فإن أبقراط صنفها على أربعة أجزاء أولها: وقت خروجهم من الأرحام ومباشرتهم الهواء إلى أربعين يوماً... والفصل الثاني: هو من بعد استكمالهم إلى وقت نبات أضراسهم، والفصل الثالث: فبعد نبات أسنانهم إلى وقت اثغارهم... والفصل الرابع: من بعد اثغارهم إلى قرب إشعارهم وقرب بلاغهم.
— العلل التي تصيب الأطفال والتي ذكرها أبقراط في الفصول (٧٠ ص ٥٤).

إن الأطفال متى يولدون يعرض لهم القلاع، والقيء، والتفزع، وورم السرة، ورطوبة الأذنين، وإذا قرب نبات أسنانهم عرض لهم ورم ومصيص في اللثة، وحميات، وتشنج، واختلاف لاسيما إذا نبتت الأسنان خاصة، وربما عرض لهم ورم الحلق، وحكّة في الأذنين، ورمد، والتشنج يعرض للعليل من الصبيان ولمن كان بطنه معتقلة فقد ينبغي لذلك أن تتفقد هذه العلل والأعراض ويجتهد في جسّها.

جالينوس (ولد عام ١٣٠ م وتوفي عام ٢٠٠ م):

قال عنه ابن أبي أصيبعة: «وإنه ليس يدانيه أحد في صناعة الطب فضلاً عن أن يساويه» (٣ ص ١٠٨). لم نجد له في طب الأطفال سوى النزر اليسير من المؤلفات فما ذكره ابن أبي أصيبعة من مؤلفات في هذا الباب هي:

١ — مقالة في تولّد الجنين المولود لسبعة أشهر.
٢ — تفسير كتاب طبيعة الجنين لأبقراط.
٣ — مقالة يبحث فيها هل أعضاء الجنين المتولّد في الرحم تتخلق كلها معاً أمْ لا؟
٤ — مقالة يبحث فيها هل الجنين الذي في الرحم حيوان أم لا.
٥ — مقالة في اللبن.

أما أهم أقواله في طب الأطفال (٥٢ ص ٩٧ — ١٠٩) (٦٧ ص ٦٦ — ٦٧):

— أوفق الألبان للمولود لبن أمه إذا كانت صحيحة وإلاّ فلبن ظئر تامة القامة، معتدلة السمن سليمة البدن مذكرة ملذذة الخلقة من بنات خمس وعشرين سنة إلى ثلاثين سنة وأن ترضع بعد ولادها بشهر أو شهرين وكون طعامها معتدلاً خفيفاً.
— و ينبغي لها أن تكد وتعمل، وإن أكثر الصبي البكاء ألقمته لحم دجاج أو لحم الخنزير، فإن ذلك يطيب بنفسه، كثرة البكاء يدل على وجع، فلنتوق موضع الوجع بالأركان وكرقصه، وتتوقي عليه من شدة الرباط والحر والبرد ومن صوت شديد ومنظر هائل، ولا ترضعه كثيراً فإن

الامتلاء يورث الكسل.

- وإذا بلغ المولود وقت الأكل أطعم أولاً العسل... فإذا شب غذي بأشياء حارة لطيفة ويمرخ في الحمام وشرب الشراب لأنه خير له من الماء.
- وتنبت الأسنان في الشهر السابع أو بعده وكلما كان نباتها أبطأ كان أقوى لها وأشد لوجع الصبي وإن كان خروجها في الربيع فهو أسهل وإن كان في الشتاء عرض له استطلاق.
- إن من تدبير الصبي لزوم الدعة فإذا شب قليلاً يحول حركة معتدلة وأكل أغذية خفيفة فإذا كان زمن التأديب لزم الصراع والإحضار حافياً ويمنع من كثرة شرب الخمر... و يدفع إلى معلم رحيم رفيق يداريه بالتخويف مرة و باللين لأن الصبي يربو بالسرور و ينهك بدنه بالتخويف والتعب.
- فإذا بلغ اثنتي عشرة سنة وتعلم الخط والقراءة والنحو أخذ بعلم النجوم والمساحة— أعني الهندسة— و يعلم في الرابع عشر عهود الفلاسفة وعلم الطب الذي لا يستغنى عنه في كل شيء من حالاته.
- إنه ينبغي أن يختار من الأوقات لفطم الصبي فصل الخريف واستواء الليل والنهار وغيوب الثريا لأن الشتاء يستقبله فيكون الإنضاج قوياً.
- إذا أردت أن يكون الصبي طويلاً مستقيماً مستوي القامة فاحفظة من الشبع والامتلاء من الأغذية.
- وله بعض الوصفات لمعالجة أمراض الأطفال التي كانت معروفة لديه وردت في كتابات الأطباء العرب.

روفس الافسيس (١٧):

عاش افسيس في زمن الامبراطور الروماني تراجان في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني للميلاد. وأغلب الظن أنه تلقى دراسته الطبية في الاسكندرية.

لروفس مقالة في تربية الأطفال. وردت منها مقتطفات في الحاوي للرازي. لكن القسم الأكثر عدداً من المقالة المذكورة احتفظ لنا بها أحمد بن محمد بن يحيى البلدي (حوالي ٣٨٠هـ) في كتابه: «تدبير الحبالى والأطفال والصبيان» مخطوطة غوطة رقم ١٩٧٥ وما في كتاب البلدي من مقتبسات عن مقالة روفس المذكورة يزيد ثمانية عشر مقتبساً جديداً عمّا أورده اريباسيوس (*) في موسوعته. حظي موضوع رضاع الطفل والمرضع عند روفس بعناية خاصة. فكتب فصلاً في الخصائص التي ينبغي أن تتوفر في المرضع وكيفية لبنها، وما عليها أن تتبعه في الغذاء من أمور ليظل لبنها صحياً مغذياً للطفل

(*) إن ما أحصيناه من اقتباسات البلدي من أقوال روفس لدى تحقيقنا لكتاب البلدي كان أربعة عشر اقتباساً وليس ثمانية عشر كما ذكر.

وتناول أمراض الأطفال بالمعالجة فتحدث عن الأمراض الجلدية كالقرح والخراجات والبثور ونبات الأسنان، والقلاع، والكزاز، وآلام الأذن، والعينين. وتعرض للعناية بالرضيع بذكر الاستحمام والتغذية الخاصة.

ونختم بحثنا عن الطب عند الأمم السابقة بهذا القول لصموئيل اكس رادبل RADBIL (٣٤).

«عندما كتب سورانس (معاصر جالينوس) كتابه الكلاسيكي في الأمراض النسائية والتوليد أدخل فيه علاج الأطفال وأمراضهم ومن هنا أصبح نوعاً من الارتباط العضوي بين طب الأطفال والأمراض النسائية (*) لدى جميع من جاء بعده من كتاب البيزنطيين مثل باسيوس (٣٢٥-٤٠٣) ايتيوس (٥٠٧-٥٧٥) باولوس (٦٢٥-٦٦٩) والذين أضافوا إضافات كبيرة لطب الأطفال.

وسار على هذا النهج كذلك أوائل الكتاب الهنود من أمثال شاراكا، وسوسرونا».

وقال بأن سيلسوس بدأ يفرز طب الأطفال ... ونصح لمعالجتهم على أنهم غير بالغين (٧٦).

(*) نحن نختلف مع رادبل في ذلك حيث أن السومريين هم أول من جعل ارتباطاً عضوياً بين طب الأطفال والأمراض النسائية قبل اليونانيين بمئات السنين كما ذكرنا سابقاً.

الفصل الثاني

الطفل عند العرب قبل الإسلام وبعده

- الطفل عند العرب قبل الإسلام.
- الإسلام والطفل.



الطفل عند العرب قبل الإسلام

الطفل في اللغة والأدب :

الطفل في اللغة هو الولد الصغير من الإنسان حتى يميز فيسمى (صبياً) والعرب تستعمل اللفظين لمعنى واحد. والولد يطلق على الذكر والأنثى والفرد والجمع[٢١].

وللطفل في التراث الأدبي المنظوم والمنثور ذكر كثير(*) منه قول أحد الأعراب.

بنيتي اشمها ... فديت بنتي وفدتني أمها

ومن ترقيص الأعرابيات :

يا حبذا ريح الولد ... ريح الخزامى في البلد

أهكذا كل ولد ... أم لم يلد قبلي أحد

ومن الأمثال المشهورة عند العرب «أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض».

معالجة الطفل عند العرب قبل الإسلام :

إن طب الأطفال عند العرب قبل الإسلام كغيره من فروع الطب كان مبنياً في الغالب على تجارب قاصرة، ووصفات متوارثة قد يصح بعضها وكان عماد علاجهم الكي بالنار. وكانوا يعتقدون أن سبب الأمراض أرواح شريرة، لا يشفي منها إلاّ الكهان والسحرة والمنجمون والمشعوذون. ومن تقاليدهم العلاجية بالنسبة لطب الأطفال على سبيل المثال:

- إذا خاف العرب على المرأة الحامل ووجدوا أن ولدها ميت في بطنها استخرجوه منها وجوزوا قيام الرجل بذلك وعبروا عن ذلك (بالسطو) (٥٨ ص ٤٠٩).
- ومن مزاعمهم أنه إذا خرج الطفل من بطن أمه عن طريق أرجله كان ذلك علامة سوء وفساد.
- وإذا بثرت شفة الصبي، حمل منخلاً على رأسه ونادي بين بيوت الحي (الحلاء الحلاء الطعام الطعام) فتلقى له النساء كسر الخبز والتمر واللحم في المنخل ثم يلقي ذلك للكلاب فتأكله فيبرأ من المرض (٥٧ ص ٨٠٩).
- وإذا أرادت المقلاة أن يعيش ولدها، ففي إمكانها ذلك إذا تخطّت القتيل الشريف سبع مرات وعندئذ يعيش ولدها (٥٨ ص ٤١٩).

(*) للمزيد من ذلك تراجع كتب الأدب، فهي ملأى بالشعر والنثر والقضايا والمأثورات التي تنبىء عن أهمية الطفل، لا يتسع المجال هنا للإحاطة بها.

— وإذا لدغ الطفل يعلق على اللدغة جلاجل وحلي حتى يفيق ولا ينام لأنهم يرون إن نام يسري السم فيه فيهلك (٥٨ ص ٤١٠).

تربية الطفل عند العرب قبل الإسلام :

اختلفت تربية الطفل عندهم حسب البيئة التي ينشأ بها الطفل.

فعند البدو كان الطفل يتربّى وسط العشيرة، يتعلم منها بالمحاكاة وعن طريق أبويه بعض الصناعات اليدوية البسيطة، ويتدرب على الدفاع عن نفسه وقبيلته، فيتعلم استعمال السلاح وحفظ الشعر والنثر وأخبار الحروب، ليتغنّى بقبيلته ويفخر بها ويتعلم أيضاً الخلق الجيد والعادات الحميدة كالوفاء بالعهد، والإباء، والشهامة، والكرم، وحسن الجوار.

إن ظروف حياتهم جعلت معظمهم لا يعرفون القراءة والكتابة سوى قلّة قليلة فلذلك لم يكن هناك تعليم بالنسبة للأطفال، إلاّ أنهم كانوا يرشدون أطفالهم لبعض العلوم التي لها مساس بحياتهم، كعلم النجوم والأنواء لمعرفة الاتجاهات والتنبؤ عن حالة الجو التي كانوا يتقنونها وكذلك علم العرافة والكهانة، وممارسة شيء من الطب والصيدلة والبيطرة وبشكل بدائي.

أما تربية الطفل عند الحضر فكانت تستوجب إعداده إلى حياة أرقى، فكان عليه إضافة إلى العلوم والآداب الموجودة عند البدو تعلم كثير من الصناعات والمهن والحرف الموجودة آنذاك، كما كان على البعض منهم تعلّم القراءة والكتابة والحساب وبعض من العلوم والمعارف الأخرى عند توفّر من يقوم بتعليم ذلك في ما يشبه الكتاتيب(*).

وكان التعليم في هذه الكتاتيب جماعياً وفردياً يقوم به المعلم أو المؤدب إما مشافهة أو كتابة على قطعة من الجلد أو سعف النخل أو ألواح الطين، وشملت التربية بجانب الذكور الإناث حيث اشتهر عدد منهن بالذكاء والفصاحة، وكان هناك عدد من الكاتبات منهن الشفاء بنت عبدالله العدوية(**).

(*) ذكر البلاذري بأن عدد الذين كانوا يعرفون الكتابة في مكة المكرمة عندما جاء الإسلام سبعة عشر كاتباً، فتوح البلدان ص ٤٧١.
وهناك من يقول: إن الذين علموا أولاد المسلمين القراءة والكتابة يزيد عددهم على الأربعين- محمد أسعد طلس- التربية والتعليم في الإسلام ص ١٥١. ومهما يكن العدد فإن ذلك يشير إلى وجود ما يشبه الكتاتيب عند العرب قبل الإسلام.

(**) كانت كاتبة في الجاهلية وأسلمت قديماً، وكانت من المهاجرات، روي أن النبي (ص) قال لها بعد أن علمت حفصة الكتابة: «ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة» (المصنف ط ١ ج ١١ ص١٦. وإنها كانت تعلم في الطب أيضاً.

الإسلام والطفل

أبدى الإسلام عناية فائقة بالطفل، فأقسم سبحانه وتعالى بالولد في سورة البلد، ونعته بأنه زينة الحياة الدنيا في سورة الكهف، وهم قرة أعين في سورة الفرقان والقصص. وخصص له قدراً كبيراً من الأحكام التي تتعلق بحياته منذ تخلقه جنيناً إلى أن يصير رجلاً. نستعرض فيما يلي وبإيجاز الخطوط الرئيسية لهذا الاهتمام المميز بهذا الكائن الصغير الجسم العظيم الشأن.

أولاً: الطفل قبل أن يولد ويخلق

أسرة الطفل المسلم:

الأسرة في نظر الإسلام هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الفراخ الناشئة ورعايتها وتنمية أجسادها وعقولها وأرواحها، وفي ظله تتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل وتتطبّع بالطابع الذي يلازمها مدى الحياة(٦٦ ص ١٧٨).

وتأكيداً لهذا كلّه نجده قد وضع ضمانات وضوابط لإنشاء الأسرة المسلمة وديمومتها، وكان أول هذه الضوابط وأعظمها شأناً حسن اختيار الأب والأم على حد سواء. فأقر مبدأ التكافؤ بين الزوجين والتوافق الوجداني بين الطرفين بل وأمر به، يقول (صلى الله عليه وسلم): «تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم» وجعل الإسلام أساس هذا التكافؤ الدين والخلق الفاضل.

فحث الرجل على البحث عن المرأة التي يجد فيها الأنس الروحي قبل اللذة بالقرب الجسدي، ووجه نظره إلى الظفر بذات الدين في مقابل المرغبات الأخرى التي تنكح المرأة من أجلها يقول (صلى الله عليه وسلم): «تنكح المرأة لمالها، ولجمالها، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» (رواه الترمذي). وأوصاه أيضاً بوجوب البحث عن المرأة التي هي مظنه الإنجاب، لتحقيق الغاية السامية من النكاح ألا وهي النسل، لضمان بقاء النوع البشري وكثرة المسلمين لأن في كثرتهم إرهابا لأعدائهم يقول (صلى الله عليه وسلم): «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة» (رواه أحمد).

ولما كان الزواج في نظر الإسلام شركة بين الرجل والمرأة لذا نجده يقوم بإرشاد المرأة وأولياء نكاحها أيضا أن يجعلوا الدين والخلق السامي أساس اختيار الزوج ليتم الانسجام بين هذين الشريكين وبالتالي لتستمر الحياة الزوجية السعيدة فتأتي ثمراً طيباً يقول (صلى الله عليه وسلم): «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، ألاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» (أخرجه الترمذي). كما يشترط مع ذلك توفّر السلامة البدنية والصحية لدى الزوجين ضماناً لسلامة الطفل المنتظر.

مسألة الوراثة :

يقول (صلى الله عليه وسلم) «اغتربوا لا تضووا»(*) أي لا تتزوجوا القرائب لكي لا تضوى أولادكم. وفي حديث آخر: «جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال: إن امرأتي ولدت غلاما أسود، فقال النبي هل لك من إبل قال نعم، قال: فما ألوانها قال: حمر، قال: هل فيها من أورق قال: إن فيها أورق، قال: عسى أن يكون نزعة عرق، قال: هذا عسى أن يكون نزعة عرق» (أخرجه البخاري).

إن هذه الحقيقة العلمية التي أكدها الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، توصل إليها علم الوراثة الحديث قبل سنوات ليست بالبعيدة، حيث أصبح في حكم المؤكد علمياً بأن الطفل يأخذ بعض عوامل آبائه وأجداده الحسنة والسيئة فينتقل إليه من أصوله الخاصة القريبة والبعيدة صفات كثيرة منها ما يتعلق بتكوينه الجسمي وبعضها الآخر يتعلق بتكوينه النفسي، فإذا كان الأبوان من أسرة واحدة انتقل إلى أولادهما بطريق الوراثة جميع الصفات الوراثية السيئة التي تختص بها أسرتهما لوجودهما في الأصلين معاً ظاهرة أو مستكنة، على حين أنهما إذا كانا من أسرتين مختلفتين فإنه يندر أن يتحدا في صفة سيئة (٧٥) والآن ألا يحق لنا القول بأن حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعتبر وثبة طبيّة في علم السريريات الوراثية حيث أشار وقبل أربعة عشر قرناً بالزواج بالأباعد حفظاً على النسل من الضعف والهزال.

تطور الجنين على ضوء ما جاء في القرآن الكريم :

قال الله تعالى: «**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**» (المؤمنون آية ١٤) وفي آية أخرى يقول جل شأنه: «**يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبيّن لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى، ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم**» (سورة الحج). هذه الآيات الكريمة معجزة من المعجزات في تناسقها وتتابع أجزائها ولا يستطيع أن يراها غير الطبيب، الذي درس علم الأجنّة وتفقّه فيه، فهذه الآيات درس في علم الأجنّة بليغ، وتشريع دقيق (٦٢ ص ١٢). والآن لنستعرض تطوّر الجنين كما وردت في الآيات السابقة:

١ ــ أصل الإنسان : «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة طين».

لقد خلق الله تعالى آدم (عليه السلام) من طين ثم خلق الإنسان من نسل آدم من نطفة مسلولة من مخلوق من طين، وما الطين إلاّ تراب وماء ومن الثابت علمياً أنه إذا تحلل جسم

(*) يقال ضوى يضوي أي نحف وصار نحيف الجسم ضئيله.

الإنسان أو الحيوان تحليلاً كيميائياً وجد أنه مركب من عناصر وأمشاج من جنس عناصر الأرض وأمشاجها.

ويقول تعالى في آية أخرى: **«وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا»** (سورة الأعراف آية ١٧٢). إن الإعجاز في هذه الآية بيّن جليّ حيث أن العلم الحديث وبعد تقدم علم تشريح الأجنّة قدر أن يتوصّل لهذه الحقيقة قبل سنوات، فأصبح في حكم المؤكد بأن منشأ الخصيتين في الذكر والمبيضين في الأنثى، في جسم الجنين هو في جزء خاص في الظهر عند أسفل الكليتين تماماً ومنه تنمو هذه الأعضاء وتبقى في الظهر حتى الأشهر الأخيرة من حياة الجنين في بطن أمه ثم تنحدر إلى أسفل إلى موضعهما الطبيعي المعتاد. وهناك من يولد وخصيته غير نازلة وباقية في مكان إنشائها في الظهر.

وفي آية ثالثة يقول عز وجل: **«فلينظر الإنسان ممّ خلق، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر، فما له من قوة ولا ناصر»** (الطارق الآيات ٥، ١٠). يقول أغلب المفسرين: إن هذاالماء الدافق يخرج من بين صلب الرجل (وهو المني) وترائب المرأة (أي عظام صدرها) وتبارك الله أحسن القائلين.

٢ ــ مبدأ خلق الإنسان: «ثم جعلناه نطفة في قرار مكين»:

فسرت التفاسير النطفة بأنها ماء الرجل أو الأنثى، وهناك من يرى أن المقصود بالنطفة الحيوان المنوي في ذلك السائل ودليلهم قوله تعالى: **«وأنّه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى»** (سورة النجم). حيث فرق عزّ وجل بين النطفة والمني وبمعنى آخر بين الحيوان المنوي والسائل، وذلك في وقت لم يكن يعرف فيه أحد أن المني شيء والنطفة شيء آخر، وإنما كان المعروف أنه سائل أو ماء. ولم تميز النطفة من السائل إلاّ حوالي سنة ١٦٨٠م حيث اكتشفت هذه الحيوانات المنوية بالمجهر (٦٤ ص ١٢) وهذه واحدة من المعجزات التي لا تحصى في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ويقول تعالى: **«هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً»** (سورة الإنسان). لقد فسّر معظم المفسرين النطفة الأمشاج بأنها أخلاط من مني الرجل وماء المرأة الممتزجين المختلطين، ففي اللغة مشج الشيء خلطه، وهذا ما أثبته الطب حيث أن باتحاد الحيوان المنوي للرجل مع بويضة الأنثى ينقل إليها ما فيه من صفات الذكر فينشأ الجنين حاملاً خواص الوراثة لكليهما، يشبه أبويه أو أجداده جسماً وعقلاً. ويؤكد هذا التفسير قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما سأله اليهودي: «يا محمد ممّ يخلق الإنسان؟ قال يا يهودي من كل من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة» (من حديث القاسم حسنه أحمد).

أما القرار المكين الوارد في الآية فهو رحم الأم، حيث أنه حقاً لقرار مكين، متين، وعجيب

في تركيبه، متحصّن قوي في موقعه، إذ تربطه وتثبته ألياف وأربطة قوية ويحمله ويحفظه حوض من عظام متينة. كما وأنه إضافة لهذا الحصن الحصين الذي يستقر فيه، فهو داخل الرحم محاط بثلاثة أغشية غشاء فوق غشاء، وبينه وبين الأغشية ماء وقاية له من الصدمات وحفظاً على درجة حرارة جسمه، يقول في ذلك سبحانه وتعالى: **«يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربّكم له الملك لا إلٰه إلاّ هو، فأنّى تصرفون»** (سورة الزمر).

٣ ـــ دور العلقة: «ثم خلقنا النطفة علقة».

هناك تفسيران لما تعنيه هذه الآية الكريمة، فالرأي الأول يقول: لما كان معنى (العلق) في اللغة هو كل ما علق، فإن الآية تعني أن البيضة بعد أن تلقح باختراق الحيوان المنوي لجدارها تسير إلى الرحم ثم تعلق في الغشاء المخاطي للرحم وتنغرس فيه كأنها جسم مغلق في داخل الغشاء المخاطي للرحم مستمسك به.

أما أصحاب الرأي الآخر فهم يقولون بأن الحيوان المنوي بعد أن يتّحد بالبويضة حتى يصبح شكله كالعلقة ودليلهم في ذلك الآية الكريمة في سورة إقرأ **«إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق»** حيث أن فيها تأكيداً على وجود الحياة في العلق. وهذا الرأي الأخير هو الأرجح على ما أعتقد.

٤ ـــ دور المضغة: «فخلقنا العلقة مضغة».

من الثابت علميا بأن البويضة الملقحة سواء بعد أن تعلقت بجدار الرحم، أو بعد أن صار شكلها كالعلقة تأخذ بالانقسام بسرعة وتتحوّل إلى مضغة خلال ١٥، ٢٠ يوماً مشكلة ثلاث طبقات من الخلايا تتكوّن منها كل أنسجة الجسم فيما بعد وهذا يعني أنها مخلقة لأن جميع الأنسجة والأعضاء تخلق منها كما جاء في قوله تعالى: **«ثم من مضغة مخلقة»** أما قوله عزّ وجلّ **«وغير مخلقة»** فالمعنى أنك لو نظرت إلى هذه المضغة اللحمية في هذا الطور لرأيتها أمام العين غير مخلقة حيث لم تتميز فيها الأنسجة ولعدم تمام خلقتها، وإن كانت في الحقيقة مخلقة (٦٢ ص ٢٦).

٥ ـــ دور تكوين أجهزة الجسم: «فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين».

وهكذا يخبرنا القرآن الكريم بما يؤكده العلم اليوم بأنه بعد دور المضغة وفي نهاية الأسبوع الرابع تظهر مراكز التعظم التي يتكوّن منها فيما بعد السلسلة الفقرية وبقية العظام ثم تقوم خلايا أخرى فيما بعد بإكساء هذه العظام بطبقات من اللحم والعضلات وخلال ذلك وبعده

يتم تكوّن الأعضاء المختلفة وفي نهاية الشهر الرابع ينفخ فيه الروح و يتميز جنس الجنين ومع مرور الأ يام يصبح بشراً سو ياً ليولد في النهاية في أحسن تقو يم **«فتبارك الله أحسن الخالقين»**.

العناية بالجنين :

أوجبت الشريعة على الزوجين الطهر والعفّة والنظافة حسياً ومعنو ياً، حرمة للجنين وسلامة له من كل ما يصيبه من لوث أو أذى. وقد أثبت العلم الطبي بأن عبث الآباء أو إصابتهم بالمرض الجنسي يسري على الأ ولاد و يسيء إليهم في تكو ينهم وصحتهم، لذلك أمر الإسلام بالعفة والطهر فقال: (صلى الله عليه وسلم) «بروا آباءكم تبرّكم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم» (٤٩).

ولما كانت رعاية الجنين في بطن أمه هي حفظ لحياة تلك الوديعة التي أودعها الله تعالى في الرحم، كان من الواجب على المرأة أن تحافظ عليه ولا تعرضه للتلف والسقوط، و يتحقق ذلك الاهتمام بتناولها الغذاء السليم والحفاظ على نفسها من التعرض للأمراض الجسمية والمؤثرات النفسية السيئة. لذلك نجد الإسلام قد أباح للحامل الإفطار في رمضان إذا خافت على نفسها أو على الجنين. وحرم الاعتداء على الجنين بالإسقاط سواء كان ناشئاً من علاقة مشروعة أو من سفاح (٦٨). فالإجهاض غير المشروع طبياً في نظر الشارع جريمة يستحق فاعلها العقاب خاصة بعد نفخ الروح فيه (وهو كما يقول الفقهاء أر بعة أشهر).

ثانياً: أطوار نمو الطفل وتر بيته في الإسلام

لقد راعى الإسلام مراحل نمو الطفل واهتم بخصائص كل طور وما ينبغي أن يفعله المر بّون في كل منها، يقول (صلى الله عليه وسلم): «الغلام يعق عنه يوم السابع، و يسمى ويماط عنه الأذى، فإذا بلغ ست سنين أدب، فإذا بلغ سبع سنين عزل فراشه، فإذا بلغ عشر سنوات ضرب على الصلاة والصوم، فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده».

و يقول عمر (رضي الله عنه): «لاعب ابنك سبعاً وأدّبه سبعاً وعلّمه سبعاً ثم اترك حبله على غار به».

إلاّ أن إيراد التقسيم على هذا الشكل لا يعني أن هناك فواصل ضرور ية بين كل مرحلة ولكنه يشير بالدرجة الأ ولى إلى طبيعة كل منها حتى تكون التر بية مراعية لها، والتداخل بين هذه المراحل أمر واقع ما في ذلك شك وفيما يلي سوف نستعرض خصائص كل طور من أطوار الطفولة حسب التقسيم الحديث لها ومن وجهة النظر الإسلامية.

١ ــ الطفولة المبكرة: (وتقع ما بين الميلاد والسادسة تقريباً).

إن أول شيء يقدمه الإسلام للطفل ذكراً كان أو أنثى هو حق الحياة، وذلك برفض التقاليد البالية التي كانت عليها الجاهلية من قتل الأولاد خشية الاملاق، ووأد البنات خشية العار وهذا ما قرره الحق سبحانه في قوله: «**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً**» (سورة الإسراء الآية ٣١).

ومن الحقوق التي كفلها الإسلام للطفل ثبوت نسبه من والديه، وذلك بنشوئه من علاقة شرعية صحيحة حفظاً له من الضياع والذل والاحتقار (٦٨). يقول تعالى: «**وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً**» (سورة الفرقان الآية ٥٤).

على أن الإسلام بالرغم من إعطائه هذه الأهمية العظيمة لمسألة النسب، نجده يولي اللقيط ــ غير معروف النسب ــ أيضا أهمية خاصة فلم يأخذه بجريرة أمه بقوله تعالي: «**ولا تزر وازرة وزر أخرى**» (سورة الإسراء الآية ١٥) بل أوجب على من يلتقطه أن يرعاه حتى يسلمه للمسؤولين في الدولة يقول (صلى الله عليه وسلم): «السلطان ولي من لا ولي له»، كما أوجب على المؤسسة المسؤولة رعايته حتى يكبر، قال عمر (رضي الله عنه) حين جاءه رجل بلقيط: «نفقته علينا ــ أي بيت المال ــ وهو حر»، وللمؤسسة حق إعطائه لأحد المسلمين الذين يرغبون الإنفاق عليه وتربيته، أو لمن يريد التبنّي(*) على أن يسجل باسم أبيه إن عرف. قال تعالى: «**ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم**» (سورة الأحزاب).

لقد أكد علماء النفس على أهمية السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل، ففيها ترسم الخطوط العريضة للشخصية وتوضح فيها بذور الصحة النفسية و يعني هذا أن كل شيء يتصل به ينبغي أن يختار بدقة ووعي فاسمه الذي يدعى به له أهمية بالغة لما للاسم الحسن من وقع على نفس المسمّى وعلى ذويه، وهذا ما سبق الإسلام وأكده على لسان نبيه (صلى الله عليه وسلم) «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسّنوا أسماءكم» (رواه أبو داوود).

ثم بعد ذلك حرص الإسلام في هذه المرحلة على أن يظل الطفل في كنف والديه لأنه في أمس الحاجة إلى حنان الأم ورعايتها وحب الأب وعطفه وهي كلها أمور غريزية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تحل محلها المؤسسات البديلة كدور الحضانة مثلاً (٧٣). لكل ما تقدم نلاحظ أن القرآن الكريم يسند الرضاعة إلى الوالدة (الأم الحقيقية) لأنها تمثل ــ بجانب أمومتها البيولوجية ــ الأمومة النفسية، وكذا الوالد «**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**» (سورة البقرة الآية ٢٣٣). و يوجب نفقة الطفل على أبيه في حياته وقدرته لقوله تعالى: «**وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف**» (سورة البقرة الآية ٢٣٣).

وقد بلغت رعاية الإسلام للصغار حداً منع الآباء بسببها أن يوصوا بعد موتهم لأكثر من الثلث، وذلك صيانة لصغارهم من الحاجة والعوز والفقر (٦٨) وفي ذلك يقول (صلى الله عليه وسلم) لسعد بن أبي وقاص: «الثلث والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس

(*) ألغى الإسلام نظام التبني الذي كان معروفا في الجاهلية. قال تعالى «ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم» وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبنى زيد بن حارثة.

في أيديهم» (أنظر البخاري ومسلم).

ومن اهتمامات الإسلام الأساسية ليست بالنسبة لهذه المرحلة فقط ولكن بصورة عامة مسألة النظافة، فقد جعلها شعبة من الإيمان، كل ذلك وقاية للمجتمع من الأمراض. وانطلاقاً من ذلك أمر بأن يؤخذ الطفل بعمل كل ما هو طيب وحسن، يقول (صلى الله عليه وسلم): «مضمضوا من اللبن»، كما وهناك تأكيد على استعمال السواك لتنظيف الأسنان والوقاية من تنخرها. كما سن الرسول (صلى الله عليه وسلم) الختان، وقد كانت مشروعة من قبل في الأديان السماوية قال (صلى الله عليه وسلم): «الفطرة خمس... الاختتان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظافر وتنظيف الإبط» (أخرجه البخاري ومسلم). وقد أجمع علماء الطب الحديث على أن الختان مانع من إصابة العضو بالسرطان، فقد ثبت قلة حدوثه عند المسلمين وشيوع ذلك لدى النصارى لعدم قيامهم بالختان.

والإسلام العظيم يأخذ بمبدأ الوقاية من الأمراض، ويأمر بذلك لقوله عز وجل: **«وخذوا حذركم»** (سورة النساء)، على الرغم من نزول هذه الآية في مسألة الحرب إلا أنها تحتمل المعنى الذي قصدناه.

أما الناحية التربوية بالنسبة للطفل في هذه المرحلة فقد أكد الإسلام على ضرورة توجيه الطفل الوجهة التربوية الصحيحة منذ الصغر، روي عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش على الصخر» وقال علي كرّم الله وجهه: قلب الحدث كالأراضي الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته» وإنما كان ذلك لأن الصغير أفرغ قلباً وأقل شغلاً وأيسر تبذلاً وأكثر تواضعاً. (٧٢).

كما أكد على أن أول من يتأثر الطفل بهم والداه، حيث أن لسلوكهما أثره البارز ودوره الكبير على الطفل، فمتى كانا قدوة حسنة له كان سلوكه حسناً ومتى كان الضد كان سلوك الطفل معوجّا بعيداً عن معاني الخير والهدى والصلاح، لأن الطفل في نظر الإسلام يولد على الفطرة يقول تعالى: **«والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً»** (سورة النحل) ويقول (صلى الله عليه وسلم): «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجّسانه» (متفق عليه).

وفي سنّة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) القولية والفعلية نجد نموذجاً أعلى لما ينبغي مراعاته في العملية التربوية، فلا شدة ولا غلظة ولكن رحمة ورأفة ولا كبت لغريزة فطرية وإنما توجيه لها (٧٣) وتهذيب. لذلك كان اللعب مع الأولاد وتفريحهم من عادة الرسول، فقد جاء في حديث جابر بن سمرة: «ان النبي (صلى الله عليه وسلم) رأى صبية يتسابقون فجرى معهم. وكان يلقي الصبي في الطريق فيركبه ناقته ولا يزال يداعبه حتى يدخل السرور على قلبه» (٤٧). وقال (صلى الله عليه وسلم): «من كان له صبي فليتصاب له» أي ينزل إلى مستوى الصبي. وكان (صلى الله عليه وسلم) يدخل على عائشة (رضي الله عنها) وهي تلعب بالبنات ـــ أي اللعب ـــ فلا ينكر عليها (٦٤ ص ٣٦).

وأثر عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يقبل الحسن (رضي الله عنه) فرآه الأقرع بن حابس فقال: «إن لي عشرة من الولد ما قبّلت أحداً، فقال (صلى الله عليه وسلم): أوأملك لك أن نزع الله

من قلبك الرحمة، من لا يرحم لا يرحم» (سيرة ابن هشام).

وهناك الكثير من المواقف والأفعال في سيرته (صلى الله عليه وسلم) وسيرة صحابته من بعده، تشير إلى مكانة الطفل ورعايته لا يتسع المجال هنا لحصرها جميعاً وسنكتفي بذكر قصة أحد الولاة مع الخليفة عمر (رضي الله عنه) إضافة لما ذكرنا سابقاً: «دخل على أمير المؤمنين عمر (رضي الله عنه) أحد ولاته فوجد عمر مستلقياً على ظهره وصبيانه يلعبون حوله فأنكر عليه سكوته على لعب الأطفال حوله، فسأله عمر كيف أنت مع أهلك؟ فأجاب إذا دخلت سكت الناطق. قال عمر: اعتزل عملنا، فإنك لا ترفق بأهلك وولدك فكيف ترفق بأمة محمد (صلى الله عليه وسلم)»؟ فعمر بهذا يعطي درساً في حسن معاملة الأطفال والسعي في إدخال السرور عليهم، ليربوا تربية حسنة بعيدة عن الخوف والجبن ويظهروا بمظهرهم الطبيعي حتى يمكن تقويمهم وتهذيبهم (١ ص ٣٨).

٢ ـ الطفولة المتوسطة: (وتقع ما بين السادسة والثانية عشرة).

إن السّمة البارزة لهذه المرحلة هي ظهور الحاسة الاجتماعية والدينية بشكل أكثر وضوحاً ومن ثم فقد لاحظنا في النص الذي نقلناه من قبل منسوباً إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه يجعل (التأديب) من أهم خصائص هذه المرحلة وذلك بتعويده عن طريق الممارسة، على المعاني الفاضلة (٧٣)، كالصدق الذي هو أساس لكثير من الفضائل وضدها الكذب يقول (صلى الله عليه وسلم): «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار» (أخرجه مسلم). والعدل بين الأولاد قال (صلى الله عليه وسلم): «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» (أخرجه البخاري).

ومن الضوابط التي اشترطها الإسلام في هذه المرحلة التفرقة بين الأبناء في المضاجع كما جاء في الحديث: «وفرقوا بينهم في المضاجع» وقوله (صلى الله عليه وسلم) أيضاً: «فإذا بلغ سبع سنين عزل فراشه». وفي هذه المرحلة يرسل إلى الكتاب أو المدرسة ويربّى تربية كاملة جسمية وعقلية واجتماعية، ففي الحديث: «حق الولد على والده أن يعلّمه الكتابة والسباحة والرمي» (أنظر الجامع الصغير للسيوطي). ويقول عمر (رضي الله عنه): «علموا أولادكم السباحة ومروهم يثبوا على الخيل وثباً» (٤٨).

كل ذلك ليهيء الذكر في المستقبل كرجل يحمي الديار ويقوم بكسب الرزق، أما الأنثى من الطفل فتعلمها أمها كيف تكون أماً صالحة فتعطيها من الألعاب ما يهيئها لذلك» (٤٢ ص ٣٢).

ولم ينس الإسلام، اليتيم، بل جاء ذكره في القرآن الكريم ـ٢٣ مرة وفي الحديث مرات أكثر وشملت هذه الآيات والأحاديث الإحسان لهم ومعاملتهم باللطف والابتعاد عن إيذائهم نفسياً، يقول عزّ وجلّ: **«فأما اليتيم فلا تقهر»** (الضحى الآية ٩).

ويقول (ص): «خير بيت فيه يتيم يحسن إليه» (أخرجه ابن ماجة). وبقية الآيات والأحاديث حذرت من الاقتراب من أموالهم بل حثت على تنميتها وأكدت على إكرامهم بكل الوسائل وعدم غمط

حقهم ومساواتهم مع غيرهم بكل ما فيه مصلحة لهم.

أما من ناحية التربية الدينية فإن الإسلام قد أوجب على الآباء، التبكير في تعويد أبنائهم على أوامر الدين وقيمه منذ أن يكون لديهم نوع من التمييز، ففي الحديث: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر»، وهذا يتفق تماماً مع النتائج العامة للدراسات النفسية التي أثبتت أن الفترة بين العاشرة والعشرين هي الوقت الذي تحدث فيه اليقظة الدينية بأعلى النسب، ونلاحظ هنا أيضاً تدرّجاً في التربية حتى لا يفاجأ الطفل بثقل الأوامر الشرعية عندما يبلغ حد التكليف الشرعي. ومما لاشك فيه أن الطفل في هذه المرحلة قد يقع في تفسيرات خاطئة للمفاهيم الدينية والدنيوية وهنا يحتم الإسلام على الآباء والمربين أن يحكموا تربيته ويحسنوا تأديبه، يقول (صلى الله عليه وسلم): «الزموا أولادكم واحسنوا أدبهم» (رواه ابن ماجة).

على ألاّ يأخذوه بالشدة والعنف بل بالرفق واللين يقول (صلى الله عليه وسلم): «ما كان الرفق في شيء إلاّ زانه» (أخرجه مسلم).

و يقول الإمام علي (رضي الله عنه): «لا تقسروا أولادكم على تربيتهم فإنهم مخلوقون لزمن غير زمنكم».

هذا من الناحية النظرية، وأما ما يتعلق بالمواقف العملية، فالقدوة الحسنة والمثل الحسن فيها هي خير وسيلة للتدريب على أوامر الدين، والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كان ينتهج هذا المنهج وذلك حين قال لأصحابه: «صلّوا كما رأيتموني أصلّي».

٣ ــ الطفولة المتأخرة: (وتقع ما بين الثانية عشرة حتى كمال الرشد).

إن هذه المرحلة تعني في التصوّر الإسلامي مرحلة التقارب بين الابن وأبيه، فيها يربّى جسمياً ودينياً وخلقياً وعقلياً.

أما جسمياً: فيكون بإرشاده إلى كل ما يؤدي إلى تقوية الجسم وسلامته وذلك بممارسة أنواع من الرياضة البدنية، كالمصارعة، والرماية، وركوب الخيل، والسبق عليها، والسباحة، والجري. وفي سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأحاديثه قدوة حسنة.

أما دينياً: فإن ألزم ما يلزم الناشئين في هذه المرحلة، التربية الدينية المناسبة، و يكون ذلك بالوصول إلى وجدان الناشيء وضميره وتنقية عاطفته الدينية، وربط جوانب شخصيته بحبل العقيدة والتعاليم الروحية وإحكام صلته بخالقه عن طريق اتصاله بكتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) (٧١ ص ١٤٠).

أما خلقياً: فالإسلام يشترط تعويده أحسن العادات وأكرم الأخلاق وأجمل النظم وفي ذلك لا يكتفي بالقول العابر والنصح المجرد دون القدوة الحسنة (ظاهراً و باطناً) من الوالدين وأفراد الأسرة وحتى المعلمين في المدرسة، حيث لا قيمة للتوجيه النظري البحت على سلوك الطفل وشخصيته دون ذلك. كما يعطي الإسلام أهمية خاصة إلى حسن اختيار جماعة الأصدقاء والأتراب لما في ذلك أيضاً من أثر جم على الأخلاق، يقول (صلى الله عليه وسلم): «المرء على دين خليله، فلينظر من يخالل».

وقد أقر الإسلام الغرائز ولكنه هذبها بالتعليم والتربية فأقرّ له غريزة حب التملك على ألا يتجاوز الحدود فيطمع في مال الغير فيصاب برذيلة الحسد وهي أساس البغضاء بين الأخوة. وأقر له الغريزة الجنسية فهو يتعلم كثيراً من الأمور الجنسية بصورة غير مباشرة حين يتعلم شروط العبادات، و يشجع الإسلام الزواج المبكر إشباعاً لغريزة الجنس وصوناً للفرد والمجتمع من الانحراف والشطط و يرى الإسلام في العقاب وسيلة اضطرارية لتنظيم حياة الطفل ولا يلجأ للعقاب إلاّ بعد أن تتّخذ جميع الوسائل الأخرى و بعد أن يهيء المجتمع النظيف الذي تقل فيه الجريمة.

وحرص الإسلام في التربيةالخلقية والاجتماعية على إبراز الشخصية المستقلة للمسلمين ولم يسمح بتقليد عادات وتقاليد وثقافات الأمم الأخرى التي لا تتفق مع مفاهيم الإسلام يقول (صلى الله عليه وسلم): «من تشبّه بقوم فهو منهم». إلاّ أنه فصل بين ما يتصل بتكوين الشخصية المستقلة من فكرة وثقافة وتقاليد باعتبار ذلك أمراً خاصاً بها و بين ما يتصل بالعقل والعلم باعتبار العلم تراث الإنسانية كلها، ففي الوقت الذي شدد فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) على منع التقليد والتشبه بالغير والذوبان فيه، حرص على أن يعلّم أصحابه القراءة والكتابة عن طريق الأسرى المشركين في معركة بدر، وقال (صلى الله عليه وسلم): «الحكمة ضالّة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق بها»، و بذلك يوجه إلى التقاط العلم أينما وجد.

وملخص القول: إن غاية الإسلام هنا تقديم إنسان متكامل في كل النواحي، إلى الحياة بحيث لا يكبت فيه أمر فطري فيحدث من ذلك الكبت والقلق والاضطراب ولا يترك أمر أدائه دون ضوابط.

أما في مقام التربية العقلية: في هذه المرحلة فقد أمر الإسلام تعليم الأولاد وتغذية عقولهم بسائر المعارف والعلوم ابتداء من العلم الديني لأنه الوسيلة إلى سعادة النفوس وعلى هديه تسير حياة الناس راضية مرضية، قال تعالى: **«هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»** (سورة الزمر).

وأول ما نشأ التعليم في الإسلام كان في المساجد وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم)أول معلّم في الإسلام، حثّ أصحابه ممّن يعرفون الكتابة والقراءة أن يعلّموا أولاد المسلمين، فكان عبدالله بن سعد بن أبي وقّاص يعلّمهم، وعبادة بن الصامت يلازم أهل الصُّفة يعلمهم القرآن الكريم والكتابة أيضاً وغيرهم كثير.

وساوى الإسلام أيضاً بين النساء والرجال بالتعليم وجعله واجباً على كل منهما قال (صلى الله عليه وسلم): «طلب العلم فريضة على كل مسلم، فحث المسلمات على التعلّم، فكانت كل من الشفاء بنت عبدالله العدوية وكريمة بنت المقداد، وأم كلثوم بنت عقبة، وعائشة بنت سعد قد أوقفن أنفسهم لتعليم المسلمات القراءة والكتابة.

جعل الإسلام التعليم الإلزامي من حق الولد على والده أن يعلّمه فإن عجز عن تعليمه أو كان يتيماً، فينفق عليه من بيت المال (٣٢). وأعطى الإسلام فرصاً متكافئة في التعليم للجميع على اختلاف طبقاتهم روي عنه (صلى الله عليه وسلم) قوله: «أيما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلم بالسوية فقيرهم مع غنيهم وغنيهم مع فقيرهم، حشر يوم القيامة مع الخائنين» (٥٣

ص ١٦٧).

وقام الخلفاء من بعده بالعناية بتعليم النشء وتوجيهه إلى ما ينفعه ففتحت الكتاتيب لتدريس الأطفال والصبيان منها في زوايا المسجد أو ملتصقة به أو مستقلّة عنه بعد انتشار التعليم، وتعددت الكتاتيب بمرور السنين. وكان التدريس على شكل حلقات تبدأ بقراءة القرآن وتعليم أصول الدين والكتابة والحساب والشعر واللغة وبقية العلوم، حسب ما يحتاجه الطفل في حياته العملية. ثم تحوّلت هذه الكتاتيب إلى مدارس نظامية ودور للحكمة حتى ظهرت الجامعات بعد فترة قصيرة من عمر الزمن.

وهكذا ينادي الإسلام في تربية الطفل بالتعادل بين مطالب الإنسان المختلفة سواء كان ذلك في الجانب المادي أو الوجداني أو العقلي، ويرسم لذلك الإطار العام الذي تتحرّك من خلاله عمليات التوجيه، هادفاً إلى تحقيق رسالة الإنسان على ظهر الأرض مراعياً الظروف الملائمة التي تأخذ بيد المربين إلى الهدف المرسوم (٧٣).



الفصل الثالث

الأم والطفل عند الأطباء العرب والمسلمين

- الأم من الحمل حتى الولادة.
- تطور نمو الجنين (علم الأجنة).
- المولود حديث الولادة .
- تغذية الطفل .

الأم من الحمل حتى الولادة

من الحقائق العلمية الثابتة أن الاهتمام بالطفل والأم الحامل أمران متلازمان، وذلك لأن الجنين خلال فترة الحمل التي يتكامل فيها نموه يعتمد على جسم الأم اعتماداً كلياً، فهي تمده بعناصر النمو ومقومات التكوين، فإن كانت سليمة متعافية كان جنينها صحيحاً معافى وإن كانت سقيمة عليلة نما الجنين مريضاً هزيلاً، إلا أن هذه ليست جديدة فقد عرفها الأطباء العرب والمسلمون، حيث خصصوا جزءاً لا بأس به من كتبهم للاهتمام بالأم الحامل، لقد تركزت اهتماماتهم بها في النقاط التالية:

١ ـ صفة المرأة التي تقبل الحمل:

إن الصفات التي اشترطوها للمرأة المهيأة للحمل تكاد تكون في جلتها مقبولة علمياً، نوجز فيما يلي ما ذكره البلدي في هذا الباب كمثال لذلك، يقول البلدي (١٤ ص ١٠).

ـ أن تكون معتدلة في مزاجها ومعتدلة الحال في رحمها.

ـ ليست بالقصيفة اليابسة ولا بالسمينة.

ـ ليست مذكرة جداً ولا مسترخية الأعطاف جداً.

ـ وتكون من أبناء خمسة عشر سنة وإلى تمام الأربعين.

ـ وتكون سهلة النظر، معتدلة العقل واسعاً خصرها وبطنها.

ـ يكون طمثها يجري في أوقاته.

٢ ـ علامات الحمل :

إن الأعراض التي ذكرها الأطباء العرب للحامل قبل ألف سنة تقريباً مازالت معظم النساء الحوامل يعانين منها، نذكر فيما يلي ما ذكره البلدي أيضاً في ذلك (١٤ ص ١٠).

ـ انقطاع الطمث (إن رأيه وتفسيره لهذه المسألة لا يختلف عمّا نؤكده اليوم في الطب الحديث).

ـ شهوة المطاعم الرديئة (كشهوة الطين وغيره).

ـ البصق والقياء.

ـ وجع فم المعدة.

ـ الغشي والخفقان.

٣ ــ الإسقاط والعناية بالحامل حفظاً للجنين :

يقول عريب بن سعد القرطبي (٦٥ ص ٢٣ــ ٤٥) عن الإسقاط : «... وذلك أن النطفة إنما يخشى عليها في أول علوقها إلى أربعين يوماً، فإذا جاوزت الأربعين الأولى خلصت بإذن الله من الآفات والإسقاط...» «وإن عرض للمرأة وهي حامل ذبول ثديها بغتة فإنها تسقط لا محالة».

« وأسباب الإسقاط كثيرة فربما كان من امتلاء أو من جزع، أو من ضعف الرحم ورباطها، أو من كيموس لزج ثبت في الرحم فيعرض منه زلق النطفة».

«وقد يندفع الدم من بعض الحوامل من غير إسقاط... والتي يعرض لها هذا العارض يضعف جنينها و يقل غذاؤه».

إن ما سبق ذكره من أقوال عريب لا تختلف كثيراً عمّا يؤكده الطب الحديث وهو لا يكتفي بذكر ذلك بل يصف بعض الوصفات والعلاجات للوقاية من حدوث الإسقاط ومعالجته في حالة حدوثه.

ولأجل أن ينمو الجنين في بطن أمه بصورة طبيعية وحفاظاً عليه من الإسقاط قدم الأطباء العرب والمسلمون للأم الحامل نصائح لا تزال في يومنا الحاضر أساساً متيناً لحفظ صحة الحامل ويمكن إيجاز ما ذكروه بما يلي:

١ ــ العناية بغذاء الحامل من الناحية الكمية والنوعية والأوقات، ونصائحهم في جملتها صحيحة على سبيل المثال يقول البلدي:

«فيجب أن نزيدها في غذائها الزيادة التي لا تثقلها وتنهض بها وبمقدار ما لا يثقل على معدتها ولا يفسد هضمه فيها، بل يكون ذلك بالمقدار المعتدل الموافق الذي يجيد هضمه ويحسن استمرارها و يكون على دفعات لا في دفعة واحدة على تدريج وترتيب» (١٤ ص ٤٤).

أما عريب فيقول: «ولا تجوع الحامل ولا تلزم الصوم فإن ذلك يضرها و يضر الجنين» (٦٥ ص ٣٣).

٢ ــ التوقّي في علاجهن عند تمرّضهن: يؤكد ابن سينا بشكل خاص على وجوب مكافحة الإمساك بالملينات لا المسهلات. أما الرازي فإنه يحذو حذو أبقراط في التحذير من إجراء الفصد أثناء الحمل و يقول: «فإذا فصدت الأم فربما قل غذاؤه جداً ومات» (٣٧ ص ٧٦). و يقول ابن هبل البغدادي «وإن عرض للحامل مرض عولجت برفق وتوقت الفصد والإسهال» (١٥).

٣ ــ التأكيد على الرياضة والحركة المعتدلة: يقول البلدي: «وبحسب الزيادة في الغذاء يجب أن تكون زيادتهن في الرياضة والحركة... فإن الحركة والرياضة والتعب والأعمال مع إعانتها على الهضم وإثارة الحرارة الغريزية تقلل الفضول وتخففها من البدن... ومن تتعب وتعمل الأعمال في أيام الحمل يكون بدنها أخف وأصح،والحبل أسهل وكذلك الولادة و يلدن

أولاداً أقوياء كباراً سماناً... وينبغي للحامل أن تتوقى الوثوب وحمل الشيء الثقيل والانكباب ومن الصوت الشديد» (١٤ ص ٤٤) كل ذلك حفاظاً على الجنين من الإسقاط.

٤ ــ استعمال الحمّام للحامل: نصائحهم في ذلك في غاية الصحة، يقول البلدي: «فأما الحمّام فليست بضارة بل نافعة... إلاّ أنه يجب أن يكون استعمالهن لها باعتدال ولا يطلن فيها الجلوس... وليكن دخولهن الحمّامات المعتدلة الحرارة العذبة الماء الرفيعة البناء الطيبة الهواء ويكون ما يستعملن من الماء الفاتر... ويكون فيه الطيب والبخور» (١٤ ص ٤٦).

٥ ــ جماع الحامل: يقول البلدي في ذلك: «إذا أحسّت المرأة الحامل من نفسها ومن طفلها بقوة، أن تستعمله بمقدار قصد دون المعتدل ويكون ما تستعمله منه بعد الشهر الثالث وإلى حدود الخامس والسادس» (١٤ ص ٤٦).

٤ ــ العلامات الدالة على قرب الولادة:

مسألة الولادة لا شك من الأمور الطبيعية، قامت بها ملايين الأمهات ولما تزل تقوم بها ملايين النساء بكل سرور وسلامة، ولهذا العمل الفسيولجي علامات كان الأطباء العرب والمسلمون على علم بقسم منها يوجزها البلدي في هذه الكلمات «فأما الأعراض الدالة على قرب الولادة الطبيعية وقوتها لا محالة، كمال الشهور...

- فثقل يكون في المعدة والخواصر.
- وانخفاض الرحم إلى أسفل حتى أن القابلة إذا رأت لمسه لمسته بأهون سعي.
- وكثرة النزف واتصاله.
- فإذا كان ذلك سالت رطوبة لزجة.
- وأعقب ذلك سيلان الدم.
- وتشقق عروق المشيمة (١٤ ص ٦٤).

ولتسهيل الولادة ينصح بما يلي: «فإذا قرب وقته وظهرت علاماته فينبغي:

- أن تدخل الحمام ساعة في كل يوم.
- وتمرخ منها البطن والظهر بالدهن.
- وتطعمها الأغذية اللذيذة الدسمة.
- حتى إذا جاء الطلق مرخت ظهرها بدهن الخيري أو الزنبق، والخواصر.
- وأمرها أن تتمشى برفق وتتردد وتجلس وتمدد رجليها ثم تقوم ساعة.
- ومتى اشتد الطلق فأمرها أن تمسك نفسها ولترخو.
- ولتدفع القابلة ظهرها دفعاً رقيقاً وتغمز خواصرها ومرافقها، ولتدفعها القابلة أيضاً إلى موضع

منخفض دفعاً رقيقاً ثم تنهضها.. تفعل ذلك مراراً كثيرة فإن ذلك مما يسهل ولادها» (١٤ ص ٦٤- ٦٥).

إن أسباب تعسر الولادة سردها البلدي في كتابه (١٤ ص ٦٥) بشكل مفصل وهي في غاية الصحة والدقة العلمية نلخصها فيما يلي:

أ ــ أسباب من قبل المرأة الحامل:

١ ــ سمينة كثيرة اللحم جداً.
٢ ــ صغيرة الرحم.
٣ ــ لورم يكون في رحمها أو عضو آخر.
٤ ــ لمرض آخر من الأمراض.

● هذه الأسباب ندخلها في تقسيمنا الحديث لعسر الولادة ضمن ما نسميه شذوذ طريق الطفل (أو شذوذ ممر الولادة).

٥ ــ إذا كانت لم تعتد الولادة.
٦ ــ لأنها جبانة فزعة.
٧ ــ لولادة قبل الوقت.

● مازال العلم الحديث يؤكد بأن العوامل العاطفية ولاسيما الخوف يمكن أن تؤثر تأثيراً سيئاً في مجرى الولادة.

٨ ــ لضعف طبيعي (وهو ما نسميه اليوم شذوذ القوة الدافعة أو قوة الدفع الرحمي).

ب ــ أسباب من المولود (وهو ما نسميه شذوذ حجم الجنين):

١ ــ اما لكبره وعظمه أو لصغره وخفته (ثابت علمياً أن وزن المولود يؤثر في الولادة الأولى ولا يؤثر في الولادات التالية):
٢ ــ لكبر رأسه.
٣ ــ لأن خلقته عجيبة (كالذي له رأسان).
٤ ــ لأنه ميت.
٥ ــ لضعفه وعدم قدرته على الحركة.
٦ ــ لأن عددهم كثير.

ج ــ شذوذ وضع الجنين عند الولادة:

١ ــ في خروج الطفل وولادته يكون منقلباً على رأسه فيكون خروج رأسه و يداه ممدودتان على فخذيه ولا يميل رأسه على فم الرحم.
٢ ــ أن تخرج رجلاه أولاً من غير ميل إلى أحد الجانبين وساير الأشكال المخالفة.

ثم بعد ذلك يصف طرق معالجة عسر الولادة بأسلوب علمي دقيق وحسب الحالة، و يتبع كل ذلك بذكر العقاقير لإخراج الجنين الميت وفي حالة استحالة إخراجه ينصح كغيره من الأطباء العرب بإخراجه بالحديد (أي جراحياً بالتقطيع).

أما عن اختلاطات الولادة فيقول: «إنه ربما عرض للنفساء بعد الولادة... أعراض رديئة منها:

١ ــ احتباس المشيمة.

٢ ــ ومنها جريان الدم الكثير ربما أسقطه لكثرته القوة.

٣ ــ ومنها احتباس خروج الدم.

٤ ــ وجع شديد في الرحم.

٥ ــ زلق الرحم» (١٤ ص ٧١ - ٧٢).

ولا شك بأن هذه هي من أكثر الاختلاطات التي تحدث حتى اليوم، وهو لا يكتفي بذكرها بل يذكر العلاجات الضرورية لكل منها والتي كانت معروفة في زمانه.

تطور نمو الجنين (علم الأجنة)

على الرغم من كون المعلومات الخاصة بأصل الجنين ونموّه كانت قليلة لدى الأطباء العرب واليونانيين إلا أننا نجد البعض من الأطباء العرب والمسلمين قد أولوا علم الأجنّة اهتماماً بالغاً وأن خير من كتب في هذا الباب كان في رأينا البلدي حيث جمع في كتابه آراء السابقين إضافة لآرائه. نورد فيما يلي بعضاً مما ذكره كنموذج متميز في هذا الحقل:

يؤكد البلدي في الباب السادس والسابع على كون الرجل والمرأة كليهما مسؤولان عن صفات الطفل وجنسه وليس الرجل وحده لأنه يرث والديه. وعن كيفية تكوّن الجنين وتصوّره وتركيبه وخلقته يقول: «وتكوّن الجنين وخلقته يكون إذا اجتمع مني الرجل ومني المرأة في الرحم واختلطا وامتزجا وصارا كالماء الواحد واستقرا واحتوى عليهما وانطبق فمه دونهما واختلطا واستحال بعضهما إلى بعض وصارا كالذات الواحدة والماء الفرد وأضاف كل شي منهما. إلى شبهه ومجانسه وصاحبه» (١٤ ص ٣٤).

إن التطوّر الذي يمر به الطفل لاشك يبدأ مع بداية الحمل ثم يستمر بعد الولادة لذا نجد البلدي قد أسهب في دراسة تطوّر ونمو الجنين في الرحم نذكر فيما يلي خلاصة لآرائه مع مقارنتها بالطب الحديث. (١٤ ــ مقدمتنا في الكتاب المحقق).

التاريخ	الطب الحديث	رأي البلدي
الأسبوع الأول بعد الإخصاب	انتقال البيضة خلال القناة وطفوها في الرحم.	«ففي اليوم السادس منه سقوط في الرحم يصير المني زبداً لتحركه» (١٤ص ٢٤).
بدء الأسبوع الثاني حتى نهاية الثالث	تغرس البيضة نفسها في بطانة الرحم. تنقسم الخلايا إلى مجموعتين. ١ ـ ENTODERM ٢ ـ ECTODERM خلال الأسبوع الثالث تضاف المجموعة الثالثة. ٣ ـ MESODERM تعتبر هذه المجاميع أساس تكوّن أجهزة الجسم المختلفة.	«اليوم السابع ينشأ من وسطه أصل وعرق ملقية عند فم الرحم ليجتذب من تلك الأفواه ما يحتاج إليه كما تلقي الغروس المغروسة في الأرض عرقاً تجتذب بها الرطوبة من الأرض» (١٤ ص ٢٤). «واتفق المشرحون جميعاً على أن المني يتلين على الرحم ويصير منه غشاء وإنه أول ما يتبيّن في خلق جسد الحيوان شبيه ثلاث نقط متقاربة بعضها من بعض يتوهم أنها رسم الكبد والقلب والدماغ ثم يزداد بعضها من بعض بعدما امتدت أيام الحمل» ثم يقول: «فأما أن هذه النقطة التي هي أصول هذه الأعضاء الثلاثة أقدم فليس يستدل من التشريح عليها وإنما القياس على النظام الطبيعي... فالنظام الطبيعي إذاً يوجب أن يكون أول الأعضاء المخلوقة الكبد ثم الدماغ» (١٤ ص ٢٥).
نهاية الأسبوع الرابع	وضح جميع فقرات السلسلة الفقرية، وانسد الحبل الشوكي، ظهر للجنين ذنب واضح وبدأت الأطراف: الذراعان والساقان تظهر.	«وإلى تمام أربعة أسابيع يظهر الجسد كله مفصلاً ويكمل ذلك أكثر وإلى تمام أربعة وأربعين ليلة» (١٤ ص ٢٦).
خلال الخامس	تم تكوين الصدر والبطن، بدأ تكوين أصابع اليدين والقدمين واتضحت العينان.	
خلال السادس	الوجه والملامح تتكوّن، تكوين الأذنين.	

رأي البلدي	الطب الحديث	التاريخ
«ومع ابتداء الفقار وعظم الرأس يبتدر المخ والدماغ والأعصاب وعند ذلك يتكوّن اللحم والشرايين والأوردة من القلب والكبد وتنتشر في جميع الجسد وتلتف وترتبط بالعظام وتتصل وتجتمع بعضاً إلى بعض و يتلوما بعد ذلك الجلد فتكتمل الصورة و يتم الخلق وتتميز العينان والأنف والفم وجميع الأعضاء ويجري فيه الروح الحياة». (١٤ ص ٢٥).	الذراعان والساقان واليدان والقدمان وأصابع الأطراف تكوّنت كلياً تماماً، وظهرت الأظافر وتكوّنت الأذنان تماماً، وتبدأ الأعضاء الحسية الخارجية في الظهور و يبدأ اختلاف الذكورة والأنوثة.	نهاية الشهر الثالث
«و يتحرك في تمام سبعين يوماً ومنه ما تكون حركته في ثمانين يوماً ومنه في تسعين يوماً ومنه في مابة يوم أكثره». (١٤ ص ٢٤). «فأما في الثلاثة أشهر الثانية والثلاثة أشهر الأخيرة أحرى فيهن أن يتولد فيها الشعر» (١٤ ص ٢٦).	يستطيع الملاحظ العابر تمييز جنس الجنين في هذا الوقت مع حركات الجنين ودقات قلبه. في نهاية الشهر يظهر شعر دقيق فوق سطح الجلد.	نهاية الشهر الرابع

و بعد هذه المقارنة ألا يحق لنا أن نعجب بما كتبه هذا العالم والطبيب الفذ عن علم الأجنّة في زمن لم يكن فيه مجاهر لدراسة أنسجة الجنين، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على دقة الملاحظة وطول التجربة بالمشاهدة وممارسة التشريح على الأجنّة.

أما عن علامات قوة الجنين وضعفه وصحته فيؤكد البلدي على ثلاث نقاط أساسية ومقبولة علمياً اليوم، يقول :

١ ــ «يكون من حال الحامل في بدنها ومزاجها وما يعرض لها من الأمراض والأعراض لأن أحوال الأجنّة متصلة بأحوال الأمهات بسلامة الحبالى في أبدانهن وتمام صحتهن... وقلّة تشكّيهن... وطيب نفوسهن... وقلّة الأفعال الطبيعية والنفسانية فيهن... تدل على قوة الأجنّة وصحتهن وسلامتهن» (١٤ ص ٤٢ــ ٤٣).

٢ ــ «واكتناز الثدي يدل على صحته وكذلك ضمور الثديين دل على رداءة حال الطفل» (١٤ ص ٤٤ــ ٤٥).

٣ ــ «وكذلك جريان الطمث من الحامل في أوقاته يدل على ضعف الطفل وقلة اغتذائه» (١٤ ص ٧٤).

المولود حديث الولادة

١ ــ صفات الطفل الطبيعي والخديج والمريض :

ذكر الأطباء العرب صفات وعلامات يستدل منها على حال الطفل إن كان طبيعياً أو مريضاً أو ناقصاً (خديجاً) وهي في الحقيقة لا تختلف عن ما يؤكده أطباء الأطفال اليوم مما يجعلنا نقف بإجلال لتلك العقول النيرة، وهذه الدلائل عندهم.

١ ــ حال المرأة أثناء الحمل : يقول البلدي: «فأما استدلالك على حال المولود إن كان صحيحاً أو سقيماً فإن ذلك يكون من تعرفك حال المرأة في حال حملها وذلك أن صحة الأم وخفة الأعراض الرديئة العارضة فيها وقلتها أو ضعفها في وقت حملها يدل على صحته» (١٤ ص ٤٢).

ومدة زمان الحمل علامة أخرى عنده وعند عريب تشير إلى سلامة الطفل، يقول عريب: «المولودون لسبعة أشهر يولدون قضافاً مهازيل، والمولودون لتسعة أشهر يولدون خصبى الأ بدان سماناً» (٦٥ ص ٥).

٢ ــ جودة حركات وحواس الطفل و بكاؤه ساعة ولادته، يقول البلدي: «وقد يدل على صحته بكاؤه ساعة ولادته... وقد يدل على ذلك من صحة أعضائه وقواه وجودة حواسه وحركاته فهذه كلها تدل على صحة المولود وسلامته فأما استدلالك على سقمه ومرضه وضعفه فيكون بخلاف ذلك» (٦٥ ص ٥).

وأضاف الرازي التبوّل والعطاس كعلامات من علامات الحياة في الطفل حديث الولادة (٣٥).

٣ ــ عملية الرضاعة الانعكاسي Sucking Reflex يقول ابن الجزار: «فإن أنت وضعت حلمة الثدي في فم المولود وجدته يعصرها و يعين عليها بشفتيه ثم يقنت لسانه فيندفع اللبن إلى حلقة كأنه قد تعلم ذلك وتفنن فيه منذ دهر طو يل. فإذا صار اللبن إلى المريء وصله إلى المعدة، فإذ أخذت المعدة من ذلك اللبن حاجتها دفعت عنها ما يفضل منه إلى الأمعاء، ولا تزال هذه الأمعاء من واحد إلى واحد حتى يصير إلى الآخر، كأنه قد عرف ذلك بالتعليم» (٦٧ ص ٦٢).

٤ ــ كثرة النوم: يقول ابن الجزار: «إنه معلوم أن الأمر الطبيعي في الصبيان هو كثرة النوم» (٦٧ ص ١٠).

أما عن المولودين لسبعة أشهر وثمانية أشهر Premature infant فنذكر قول عريب حيث يقول: «و يقال إن عبدالملك بن مروان رحمه الله ولد لسبعة أشهر، وأن الشعبي ولد لسبعة أشهر توأماً

وجريراً الشاعر كذلك ولد لسبعة أشهر، وهو مما لا ينكره أهل الطب وغيرهم، بل يثبته جميعهم و يأتون بالبرهان عليه فيقولون أن كمال خلق الجنين في الرحم وقوته وحركته إنما يتم في نصف سنة شمسية وذلك مائة واثنان وثمانون يوما وخمسة أثمان اليوم» وهذا يعني بتقويمنا الشمسي بالتقريب تسعة أشهر و بضعة أيام. ثم يقول: «فمن ولد لسبعة أشهر حياً عاش في أكثر الأمر و يربى على ما تربى من ولد في تسعة أشهر غير أن المولودين لسبعة أشهر يولدون قضافاً مهازيل والمولودون لتسعة أشهر يولدون خصبى الأبدان سماناً. وللمولود في سبعة أشهر حد ومدة من الزمان متى ولد قبلها أو بعدها لم يعش وكان سقطاً»،ثم يقول: «قد قلنا إنه من ولد لثمانية أشهر لم يعش على ما اختبر في طول الدهر»..إلى أن يقول: «فالجنين يموت حتماً إن ولد فيها لأنها تجتمع إليه آلام الولادة وتضغطه، والمرض الذي فيه والأورام التي به فيهلك بذلك» (٦٧ ص ٣٦– ٣٧).

لا شك أن العلم الحديث أثبت خطأ قول عريب في المولودين لثمانية أشهر، وهو خطأ نقله كغيره من الأطباء العرب عن اليونانيين.

٢ ـ العناية بالمولود حديث الولادة :

١ ـ شروط الغرفة التي يرقد فيها الطفل وهيئته أثناء النوم: لقد تكلم الأطباء العرب في ذلك كلاماً علمياً صحيحاً فمثلا يقول ابن سينا: «وتنوّمه في بيت معتدل الهواء ليس ببارد ولا حار ويجب أن يكون البيت إلى الظل والظلمة مائلاً لا يسطع فيه شعاع غالب، ويجب أن يكون رأسه في مرقده أعلى من سائر جسده ويحذر أن يلوي مرقده شيئاً من عنقه وأطرافه وصلبه» (٥ ص ١٥١). و يضيف ابن الجزار على ذلك: «و يتخذ للطفل عند ابتداء الأمر داية وتؤمر ألاّ تزجره ولا تغمه بشيء وتعني بمضجعه» (ص ٦٧ ص ٥٠).

٢ ـ العناية بمداخل الطفل ومخارجه: يقول ابن الجزار: «و ينظف و ينقي منخراه وفوه وأذناه برفق، و يفتح دبره بالخنصر فيخرج جميع ما فيه، و يقطر في عينيه شيء من زيت» (٦٧ ص ٦٠).

و يؤكد ذلك البلدي بقوله: «وأما الطفل المولود فإن مداخله مختلفة، كالفم والمنخرين ومخارجه كثيرة كمخرج البول والبراز... فيجب أن تكون هذه المداخل والمخارج سليمة متفتحة يعني بتفتيحها وتنظيفها لئلاّ يحتقن فيها فضل يسدها... يسهل خروج ما يخرج منها ودخول ما يدخل فيها»،(١٤ ص ٧٧). و يضيف ابن الجزار ضرورة مص أذنيه (٦٩ ص ٥٣).

إن هذه الوصايا لاشك جاءت مطابقة لما نؤكده اليوم لدى استقبال الطفل ساعة ولادته.

٣ ـ العناية بسرته: لقد أكد المجوسي وابن الجزار و بقية الأطباء العرب على تعليمات للعناية بسرة الطفل صحيحة في أغلبها نقتطف هنا بعضاً من أقوالهم، يقول ابن الجزار: «إنه ينبغي أن

نبتديء من تدبيره عند خروجه فيقطع من سرته أربع أصابع... وتربط سرته وتفتل فتلاً رقيقاً وتوضع عليها خرقة قد غمست في زيت... فإذا وقعت سرّته بعد ثلاثة أيام أو أربعة أيام فينبغي أن تذر عليه رمادة الودع المحرق ورماد عرقوب عقل محرق أو رصاص محرق قد سحق بالشراب ثم يطلى على الموضع» (٦٧ ص ٦٠- ٦١).

٤ ــ العناية بجلده وكيفية استحمامه: إن ما جاء في كتابات الأطباء العرب والمسلمين في هذا الباب مقبول أكثره اليوم، على سبيل المثال نذكر قول ابن سينا في ذلك: «ويبادر إلى تمليح بدنه بماء الملح الرقيق لتصلب بشرته وتقوي جلدته وأصلح الأملاح ما خالطه شيء من شاذج وقسط وسماق وحلبة وصعتر ولا يملح أنفه ولا فمه، والسبب في إيثارنا تصلب بدنه إنه في أول الأمر يتأذى من كل ملاق يستخشن ويستبرده وذلك لرقة بشرته وحرارته فكل شيء عنده بارد وصلب وخشن وإن احتجنا أن نكرر تمليحه وذلك إذا كان كثير الوسخ والرطوبة فعلنا ثم نغسله بماء فاتر» (٥ ص ١٥٠).

وعن كيفية استحمام الطفل ومسكه يقول ابن الجزار: «وتؤمر الحاضنة أن تحممه بالماء الحار العذب، لأن عامة تدبيرهم إنما يكون بماء يرطب أبدانهم لتبقى رطبة زماناً طويلاً ويكون الماء معتدلاً لا حاراً جداً. ويفعل هذا في بيت معتدل الدفء مظلم قليلاً ويحم أول الغداة ونصف النهار وعند العشاء وتبسط الحاضنة على ركبتيها وفخذيها خرقة كتان ناعمة ثم تضجع الطفل عليها، وتحل عنه الخرق وتبدي أعضاءه وتلوي مفاصله وكل ذلك برفق وإحكام ويجب أن يكون إمساكه للتحميم باليد اليسرى وتلزم الداية رأسه ورقبته، فإن الصبي لا يستطيع أن يلزم نفسه وتصب عليه الماء باليد اليمنى فتطليه به أولاً دلكاً قليلاً ثم تصب قليلاً على ذلك المروخ ما كان رويداً رويداً لئلا يبرد، وتغم على عانته برفق ليبول ولا تزال تفعل ذلك به كذلك حتى يحمر بدنه كله، فإذا أردت أن يحول الصبي على بطنه فتجعل الحاضنة إبهامها تحت لحي الصبي لئلاّ يميل رأسه إلى داخل الماء وتميل الحاضنة كل عضو من أعضائه إلى ما ينبغي، مثل أن ترد الرجل إلى خلفها واليدين إلى قدامها، لأنها إن فعلت ذلك صيرت المفاصل في مواضعها حسنة جيدة الحركة، وأن تسوي رأسه ويديه ورجليه وغيرها من سائر أعضائه وترفع الصبي إذا فرغت من تحميمه وتجعله الحاضنة على فخذه بعد أن تبسط تحته خرقة ناعمة وتنشفه وتحمّه أولاً ثم تضعه على بطنه، ثم على ظهره، وهي في ذلك تدهنه بإحدى يديها من أسفل وبالأخرى من فوق، وتمد ركبته وتمسح عينيه بإبهامها مسحاً رقيقاً وتعدله إلى كل ناحية لتعيد عروقه واسعة، وتعتاد مفاصله الالتواء ثم تشده بالخرق بعد أن تنشفه فهكذا ينبغي أن يحم الصبيان والأطفال» (٦٧ ص ٦٣).

ويؤكد عريب والبلدي وغيرهما نفس القواعد والشروط وطريقة استحمام الطفل التي ذكرناها، والتي هي في جملتها تعتبر قمة المعرفة والدقة العلمية في هذا الموضوع.

٥ ــ تغذية الوليد: يقول ابن سينا: «يكتفي بإرضاعه في اليوم مرتين أو ثلاثاً، ولا يبدأ في أول الأمر في إرضاعه بإرضاع كثير على أنه يستحب أن تكون من ترضعه في أول الأمر غير أمه

حتى يعتدل مزاج أمه والأجود أن يعلق عسلاً ثم يرضع» (٥ ص ١٥١).

و يقول ابن الجزار: «و بعد أن يبتدأ في تدبيرهم... فيتغذى باللبن، فإن غذاءه الذي أعد له اللبن».

ثم يقول: «وقال بعض الأطباء، لا ينبغي أن ترضع الطفل أمه حتى تأتي له ثلاثة أيام أو أربعة، و يرضع في اليوم مرتين أو ثلاثة لا يزاد عليها إلى أن تستمرئه معدته و يقدر على الغذاء فإن كثرة الرضاع في هذا الوقت غير نافعة» (٦٧ ص ٧٢).

بالنسبة لإرضاع الطفل من أمه خلال الثلاثة أيام الأولى هناك رأيان اليوم، رأي يؤكد ضرورة إرضاعه ليستفيد من إفرازات الثدي (اللباء: colastrum) الحاوية على بعض عناصر المناعة ضد الأمراض وبعض المواد الغذائية التي لا تخلو من فائدة للطفل. أما الرأي الآخر فينصح أصحابه وهم قلّة بعدم إرضاعه وذلك لاحتواء اللباء على هورمونات أنثوية مكثفة والتي قد تزيد في احتمال انحلال كريات الدم الحمراء وتؤدي بالنتيجة إلى زيادة ترسب البيليروبين في الأنسجة وبالتالي تؤدي إلى زيادة اليرقان الفسلجي الذي يحدث لدى بعض الأطفال. إلا أننا على الرغم من ذلك نرجح الرأي القائل بضرورة إعطاء الطفل ثدي أمه منذ الأيام الأولى.

و يقول المجوسي: «و يغذى يومين بسكر مدقوق ناعماً مع دهن شيرج (٦٩ ص ٥٢). ولا شك بأن غايتهم من إعطاء العسل هو تفريغ مادة الميكونيوم «العقي» من أمعاء الطفل أولاً وتغذيته لحين مجيء حليب الأم بصورة كاملة، ونحن اليوم نصف الكلوكلوز (سكر العنب) مع الماء لنفس الغرض.

٦ ــ بكاء الطفل والعناية به من الناحية السايكولوجية (النفسية): فسر ابن القيم الجوزية فائدة بكاء الطفل تفسيراً علمياً صحيحاً ودقيقاً فقال: «ولا ينبغي أن يشق على الأبوين بكاء الطفل وصراخه، ولا سيما لشربه اللبن إذا جاع، فإنه يروض أعضاءه.. و يفسح صدره و يسخن دماغه...» (٢٠ ص ١٨٢).

وعن أسباب البكاء الأخرى وكيفية العناية بالطفل في حالة البكاء تكلم الأطباء العرب والمسلمون كلاماً رائعاً يعتبر الحجر الأساسي في تربية وسايكولوجية الطفل، على سبيل المثال يقول ابن الجزار: «ولا يمكن البكاء الكثير فإنه إذا كثر بكاؤه عرض له ابلمبسيا، فيجب أن يسكت كما ذكرنا بدء، وبكل شيء يعلم أنه يلهيه به ويحول بينه وبين البكاء، مثل أن يحمل على الأيدي حملاً رقيقاً ليناً، ويحرك كذلك و يرفع له... أصوات لذيذة ويحرك بالغدوات بالحمل ويحسن له النغم بالتبيين، وذلك أن الأصوات اللذيذة تلحق النفس والطبيعة الالتذاذ بها من غير تعب ومن أجل ذلك الأطفال أن نغم لهم نغمة حسنة يستلذونها سكتت طبائعهم وهدأت وناموا من قريب، و يقرب إلى الصبي ما قد اعتاده من الأشياء التي تطربه وتفرحه ويجمع بينه وبين من نشاء من الصبيان، ويحذر سماع كل شيء له صوت... وأن يتقى عليهم الجهم من الوجوه التي تفزع الصبيان شبه البراقع، والأشياء البشعة، فإن هذا وشبهه مما يدخل على الصبي النظرة الشديدة»

(٦٧ ص ٦٨- ٦٩).

و يؤكد ابن سينا هذه القاعدة المهمة بقوله: «فإنه من الواجب أن يلزم الطفل شيئين نافعين أيضاً لتقوية مزاجه أحدهما التحرك اللطيف والآخر الموسيقى والتلحين الذي جرتّ به العادة لتنويم الأطفال وبمقدار قبوله لذلك يوقف على تهيئته للرياضة والموسيقى أحدهما ببدنه. والآخر بنفسه» (٥ ص ١٥١).

و يقول المجوسي: «و ينوم و يستعمل معه التحريك بلطف ورفق و يلحن له لحون حسنة فإنه يستلذ النغم الحسن الذي يكون من إيقاع كما يستلذ المستكملون، إذ كان الإنسان مجبولاً على حب الحركة وحب اللحون فإنه يسكن ما يجد من وجع ويجلب له النوم» (٦٩ ص ٥٣).

٤ ــ أدوار حياة الطفل وتطوره الطبيعي: Growth and Development

من المميزات التي اتصف بها الأطباء العرب اهتمامهم بالناحية الأكاديمية في دراسة الطب، هذه الناحية التي تسهل على طالب الطب والطبيب الإحاطة بدقائق هذا العلم الواسع. لذلك نجدهم قد درسوا حياة الإنسان بصورة عامة وحياة الطفل ونموّه وتكامله بصورة دقيقة فقسموا حياته إلى أدوار، و بينوا حدود كل دور وما يستجد من تطوّر لدى الطفل فيه. وهم في تقسيمهم أدوار حياة الإنسان وأدوار حياة الطفل ساروا على منهج أبقراط مع إجراء التعديلات والتغيرات التي اقتنعوا بوجوبها، و بذلك جاء تقسيمهم قريباً من تقسيمنا اليوم (٭) على سبيل المثال نذكر التقسيم الذي أورده عريب بن سعد القرطبي (٦٥ ص ٨٥) حيث يقول: «فأما الأسنان فتجزأ على أربعة أجزاء في قول عامة الأطباء...» وخوف الإطالة نلخص ما ذكره:

١ ــ سن الصبا، حتى ١٨ سنة من العمر.
٢ ــ سن الشباب، حتى ٣٥ سنة من العمر.
٣ ــ سن الكهولة، حتى ٦٠ سنة من العمر.
٤ ــ سن الشيخوخة، حتى أن يفنى العمر.

أما مهذب الدين علي بن هبل البغدادي فيحدد ذلك بما يلي:

(٭) هناك اختلاف بسيط بين المربين والمؤلفين اليوم حول تقسيم حياة الفرد وحدود كل دور، والمعدل المتقارب في التقسيم الحديث هو كما يلي:

١ ــ مرحلة الحضانة: من الولادة حتى سن سنتين.
٢ ــ مرحلة الطفولة المبكرة: من سن سنتين حتى سن ست سنوات.
٣ ــ مرحلة الطفولة المتوسطة: من سن ٦- ١٢ سنة.
٤ ــ مرحلة الطفولة المتأخرة (أو المراهقة) وتقسم إلى:
أ ــ المراهقة المبكرة: من سن ١٣-١٦ سنة.
ب ــ المراهقة المتأخرة: من سن ١٧- ٢١ سنة.
٥ ــ مرحلة النضج والشباب: من سن ٢٢-٣٠ سنة.
٦ ــ مرحلة وسط العمر (أو الرجولة) من سن ٣٠ ــ ٦٠ سنة.
٧ ــ مرحلة الشيخوخة من سن ٦٠ سنة فما فوق.

والطفل هو الذي لم تقو أعضاؤه ولم يستوكع للحركات.
والصبي هو الذي لم يستوف سقوط الأسنان.
والمترعرع هو الذي قد استوفى سقوط الأسنان ولم يبلغ.
والمراهق والغلام هو الذي قد راهق و بلغ الحلم.
وإلى منتهى الوقوف وهو إلى خمس وثلاثين سنة وإلى الأربعين يسمى سن الشباب.
ومن الأربعين إلى ستين سنة و يسمى سن الكهولة.
وما بعد فهو سن الشيخوخة.

وفي تقسيم أدوار حياة الطفل وتطوّر نموه وحركاته بالنسبة لكل دور، سنذكر أيضاً تقسيم عريب، إلاّ أننا سوف نضيف إلى أقواله ما لم يذكره وذكره الآخرون مما له علاقة بالموضوع.

يقول عريب: «أما أسنان الأطفال فإن أبقراط فصلها على أربعة أجزاء:

الفصل الأول : وقت خروجهم من الأرحام ومباشرتهم الهواء إلى أربعين يوماً.

فإنهم في هذا الحد تتغير أحوالهم دفعة واحدة في الهواء يكتنفهم و يستنشقونه بأنفاسهم والغذاء الذي يتبدل عليهم والفضول التي تخرج من أبدانهم وتنقل جميع أحوالهم في مداخلهم ومخارجهم..» «والأطفال في الأربعين يوماً الأوائل من أيام ولادتهم تلحقهم آلام كثيرة و يلقون أموراً صعبة...» (٦٥ ص ٥٧-٥٨).

و يقول ابن القيم الجوزية: «فيضحك عند الأربعين وذلك أول ما يعقل نفسه» (٢٠ ص ٢٢٨).

الفصل الثاني: «هو من بعد استكمالهم إلى وقت نبات أضراسهم ذلك يكون في الأسبوع الأول من الشهور على ما تقدم ذكره.

وفي هذا الجزء من السن يتحرك نمو الطفل و ينهض في نشأته و يقوى على النظر إلى الأشياء وعلى سماع الأصوات...» (٦٥ ص ٥٨). «تنبت الأضراس للأطفال على الأمر العام في الشهر السابع من ولادتهم وربما عجل نباتها لبعضهم في الشهر الخامس من ولادتهم وربما تأخرت إلى عشرة أشهر» (٦٥ ص ٦٦).

و يؤكد ابن الجزار على تعويد الطفل على الجلوس في هذا الفصل فيقول: «و ينبغي أن يجلس الصبي على الأرض، إذا اشتد بدنه نعماً وصلبت أعضاؤه وقوى على حركة الجلوس» (٦٧ ص ٦٨). و يقول في إنبات الأسنان «فتنبت الأسنان في سبعة أشهر، ومنهم لأكثر من ذلك، ومنهم من يبدأ إنبات أسنانهم من أسفل فيكون ذلك أمارة لنباتها من فوق بلا وجع. فأما الأضراس فقد تنبت العليا والسفلى وكذلك الأنياب» (٦٧ ص ١٠٦).

الفصل الثالث : «بعد نبات أسنانهم إلى وقت أثغارهم، فإن حركاتهم في هذا الجزء تقوى وفهمهم يتزيّد تزيّداً ظاهراً وأذهانهم تميز الأشياء. وفي داخل هذا السن يكون الكلام والمشي والتنقل في الرضاع إلى غيره من الغذاء» (٦٥ ص ٥٩). وفي كلام الطفل يقول: «ينبغي إذا قرب وقت كلام الطفل أن... يتكلم بين يديه و يلقن لفظاً خفيفاً و يدرب عليه» (٦٥ ص ٧٤).

و يقول المجوسي في ذلك «فإذا كان وقت الفطام ابتدأ يتكلم وعلى الأمر الأكثر يكون بعد تمام سنتين» (٦٩ ص ٥٢). وفي مشيه يقول عريب: «إذا حان حبوهم بالاستقلال بالمشي أعين على ذلك وعملت له دراجة من خشب على قدر قامته تجري على فلك» (٦٥ ص ٧٤).

أما ابن الجزار فيقول في مشي الأطفال: «و يكلف المشي مرة بعد مرة و يعلم أولاً بجنب حائط ويحمل أيضاً وقتاً بعد وقت، ولا يدام عليه بصنف واحد من هذه الأشياء» (٦٧ ص ٦٨).

وقال ابن سينا في ذلك: «فإن أخذ ينهض و يتحرك فلا ينبغي أن يمكن الحركات العنيفة ولا يجوز أن يحمل على المشي أو القعود قبل انبعاثه إليه بالطبع فيعيب ساقيه وصلبه آفة والواجب في أول ما يقعد و يزحف على الأرض أن يحمل مقعده على قطع أملس لئلا تخدشه خشونة الأرض و ينحى عن وجهه الخشب والسكاكين وما أشبه ذلك مما ينخس أو يقطع أو يحمى عن التزلق من مكان عال» (١٤ ص ١٥٣ــ ١٥٤).

و يقول البلدي: «وليس ينبغي أن يحمل الصبيان على المشي قبل وقتهم لكيلا يعرض في أرجلهم... الاعوجاج فقد يدلك طلب الصبيان للحركة في هذه السن مبلغ ملائمة طبائعهم الرياضة فإنك لن تقدر على منع الصبي من أن يركض برجليه و يطفر بيديه... فإن الطبيعة قد بلغت في القدرة على أن جعلت في جميع الحيوان الحركات الموافقة لهم في صحتهم وسلامتهم...» (١٤ ص ٩٦).

نجد في هذه الأقوال المتسمة بالوضوح والبيان لابن سينا والبلدي، التفاتة لم ينتبه إليها إلا حديثاً فقد كان الرضيع حسب العادات الموروثة يجبر على الجلوس والوقوف والمشي منذ الأشهر الأولى بعد ولادته، للاعتقاد بأن في ذلك تمريناً لازماً لتعويد الطفل على ذلك، وقد أثبتت الأبحاث النفسية والتربوية الحديثة بأنه لكي تنمو خاصية أو مهارة في ناحية معينة لابد لعامل النضج الذي يمكن الطفل من القيام بتلك المهارة. وان هناك ارتباطاً وثيقاً بين قيام الطفل بحركات الحبو والقيام والمشي وبين نمو جهازه العصبي، فعند تكامل الأخير يستطيع الطفل تقليد من حوله سريعاً ــ إذا لم يكن مصاباً بمرض يمنع ذلك كالكساح أو الشلل ــ ولو لم يكن قد سبق له أن حبا أو انتصب. وعند ذلك يمكن تناول هذه المهارات بالتمرين والتعليم وإلا فإنه لن يتاح لها أن تصل إلى نهاية نموها الطبيعي، بل على العكس قد يصيب رجليه بعض الأذى إذا أرغم على الوقوف والتحرك قبل أن يكون جسمه قد استعد إلى ذلك.

الفصل الرابع: هو من بعد إثغارهم إلى وقت نبات أشعارهم وقرب بلاغهم.

«إن حركاتهم في هذا الجزء أقوى... بل وأذهانهم فيه متزيِّدة ورغبتهم في الأمر وحفظهم للأشياء في غاية التمام. وفي هذا الفصل يضمون إلى المؤدب ويحملون على تعلم شرائع الدين و يؤمرون بالصلاة و يوعدون من الخير ما يبقى راسخاً في القلوب... وهذه السن آخر أسنان الأطفال ثم تأخذهم بعد ذلك أحكام الرجال» (٦٥ ص ٥٩).

«أما أعدل الأسنان لتطهير الصبى... ما بين الثمانية أعوام إلى العشرة...» (٦٥ ص ٨١)، نحن اليوم نؤكد على ضرورة الاختتان مبكراً وذلك وقاية من سرطان القضيب الذي يندر الإصابة به فيمن يختتن في الأ يام الأ ولى.

أما ابن الجزار فيلخص أسنان الأطفال بهذه الكلمات: «إن الأطباء قد أبانوا في كثير من موضوعاتهم أن أسنان الصبيان تتجزأ إلى أربعة أجزاء منها:

سن الولدان: عند خروجهم من الأرحام، وهي الدرجة الأولى.

سن الصبيان: عند خروج أسنانهم من بعد سن الولدان وهي الدرجة الثانية.

سن ابن سبع سنين: وهي الدرجة الثالثة، ثم سن المحتلمين، في أربع عشرة سنة، وهي الدرجة الرابعة» (٦٧ ص ٨٦-٨٨).

أما البلدي فإنه خرج عن تقسيم أبقراط وقسم حياة الطفل على شكل أسابيع، فهي عنده ثلاثة أسابيع:

الأسبوع الأول: حتى سبع سنين.

الأسبوع الثاني: من بعد انقضاء سبع سنين إلى تمام **أربع عشرة سنة**.

الأسبوع الثالث: منذ انقضاء **أربع عشرة** سنة إلى تمام إحدى وعشرين سنة.

تغذية الطفل

أ ــ حليب الأم:

١ ــ أفضلية حليب الأم: لقد أجمع الأطباء العرب على أن حليب الأم هو أفضل أنواع الحليب للطفل تماماً كما نؤكده اليوم. يقول البلدي: «فالأخلق بلبن الأم أن يكون أوفق الألبان كلها لسائر الأطفال إن لم يكن لها علة أو سبب يفسد اللبن فضلاً عن الطفل...» ثم يقول: «وقد نجد الطبيعة لم تقتصر على أن أعدت هذا الغذاء للطفل ولكنها غرست في الأطفال مع ذلك منذ أول الأمر قوى **غريزية** في استعماله» إلى أن يقول: «وفي سلامة لبن الأم للطفل نفع له ونفع لها في الرضاع منها وحفظ لصحتها وصحته» (١٤ ص ٧٨).

نجد هنا أن البلدي قد سبق أطباء اليوم في إثبات فائدة الرضاعة من الثدي بالنسبة للأم المرضع حيث ثبت علمياً بأن الرضاعة من الثدي تساعد انقباض الرحم في فترة ما بعد الولادة، وبجانب ذلك فإنها ترضي غريزة الأمومة ومن ثم يقي الأم من إصابتها بسرطان الثدي.

و يقول ابن سينا: «فيجب أن يرضع ما أمكن بلبن أمه فإنه أشبه الأغذية بجوهر ما

سلف من غذائه في الرحم أعني طمث أمه فإنه بعينه المستحيل لبناً وهو أقبل لذلك وآلف له حتى أنه قد صح بالتجربة أن القامة حلمة أمه عظيم النفع جداً في دفع ما يؤذيه» (٥ ص ١٥١).

نجد في قول البلدي السابق وقول ابن سينا بأن حليب الأم عظيم النفع للطفل في دفع ما يؤذيه، تأكيداً للحقيقة العلمية التي لا جدال فيها، ألا وهي أن حليب الأم هو أفضل الوسائل لتغذية الطفل... على الأقل في الأشهر الأولى وذلك لأن حليب الأم هو الغذاء الطبيعي للمولود... وإنه لا يحتاج إلى تعقيم أو غلي ثم تبريد... كما أنه يوفر الكثير من الجهد والمال أيضاً. إضافة إلى ذلك أن الإسراع بإعطاء الأم ثديها لوليدها في الساعات الأولى من العمر، كما ذكرنا سابقاً، يكسب الطفل مناعة ضد الأمراض لاحتواء الحليب على بعض عناصر المناعة من الأمراض، وأخيراً هناك الفائدة العظيمة، ففي رضاعة حليب الأم إعطاء للطفل فرصة الاحساس بحنان الأم وعطفها، ومثل هذا الشعور ضروري للطفل لأنه يقيه العثرات والاختلاطات النفسية والعصبية فيشب متمالكاً توازنه النفسي لا تتملكه نوازع الخوف والقلق والاضطراب.

٢ - كيفية تكوين الحليب في الثدي وأسباب قلّته: إن علاقة الهورمونات النسوية بمسألة إفراز الحليب والطمث حقيقة علمية نجد لها إشارات في أقوال ابن سينا السابقة وكذلك في هذا القول لعريب القرطبي: «إذا ولد الجنين ارتفع ما كان يتغذى به من دم أمه إلى الثديين يفيض فيهما، و يصير له قوام لأن الثدي عضو أبيض الباطن قد خلق شبيهاً لقبول ما يجتمع فيه من الرطوبة وتنضجه حرارة القلب... فيصير لبناً بقدرة الله» (٦٥ ص ٥٤).

ونجد في قول الأنطاكي إشارة صريحة إلى أن إفراز اللبن يكون بواسطة الغدد اللبنية حيث يقول في تعريف كلمة لبن: «لبن هو الكائن من ثاني المزاج المنوي لأنه من خالص الغذاء يستحيل في غدد اسفنجية رخوة دسمة قد حقنت حرارة غريزية» (٨ ص ٢٥٥).

أما تعليلاتهم لأسباب قلّة الحليب فكانت صحيحة في أغلبها، فمن جيد شرح الرازي لجفاف حليب الأم أن ينسبه إلى علّة في الدم تجعله رقيقاً يطرح عن طريق الكلى فلا يتكشف لبناً سوياً فيقول: «متى كان اللبن ناقصاً فابحث عن الدم فإنه لا يخلو في هذه الحال من أن يكون قليلاً في كميته أو رديئاً في كيفيته» (٣٦ ص ٨).

و يؤكد ابن سينا قول الرازي مع شيء من التفصيل العلمي الدقيق والصحيح بقوله: «اعلم أن اللبن يكثر مع كثرة الدم الجيد وإذا قل فسببه بعض أسباب قلّة الدم أما من

جـهـة المادة وإما من جهة المزاج والذي يكون بسبب المادة فأن يكون الغذاء قليلاً أو يكون مضاداً لـتـولـد الـدم عنه ليبســه وبرده المفرط أو يكون قد انصرف إلى جهة أخرى من نـزف أو ورم وأمـا مـن جهة المزاج فأن يكون البدن أو الثدي مجففاً للرطوبة...» (٥ ص ٢٧٩). ثم يصف العلاجات لكل حالة.

أمـا رأي ابـن الجـزار في ذلـك فـكـان: «إنه قد يكون من النساء من يكون لبنها قليلاً بـالـطـبـع، وقـد يـقل لبعضهن من أسباب شتى، إما من قلّة الغذاء، وإما من أن تستعمل المـرضـعـة أغـذيـة حريفية يابسة فينشف لبنها رطوبات، وإما من قبل تغير مزاج حرارة أو بـرودة أو يـبـس أو مـن رطـوبـة محالة» ثم يقول: «وقلة اللبن العارض من قلّة الأغذية بين مـعـروف وذلـك بأن تخبرك المرأة بأنها قليلة الغذاء (٦٧ ص ٧٩-٨٠). ثم يمضي هو الآخر في سرد العلاجات لكل سبب.

٣ — أوصـاف الحـلـيـب الجـيـد وتـركـيـبه: يقول ابن الجزار: «إنه ينبغي أن يكون لبن المرضع للـصـبـي مـعـتـدلاً لا ثـخـيـناً ولا رقيقاً ولا كثيراً ولا قليلاً والفرق بين اللبن المذموم واللبن المحـمود أن اللبن المحمود لذيذ الطعم أبيض اللون، طيب الرائحة مستوي بين الثخونة والرقة كما ذكـرنـا، أمـا من كانت أحواله مضادة لهذه الأحوال فهو لبن رديء مذموم» (٦٧ ص ٧٣). إن هـذا الـقـول أكده معظم الأطباء العرب علماً بأننا اليوم نعتقد نتيجة التحليلات المختبرية **بأن تكوين الحليب عند كل الأمهات تقريباً واحد والفرق الوحيد هو في الكمية أما التكوين فيكاد يكون ثابتاً على الدوام.**

وبجـانـب هذا القول لابن الجزار الذي لم نقره عليه نجد له قولاً في تركيب اللبن لم نجده لأحـد ممـن سـبـقـه وهـو يـعـتـبر مفخرة له وخاصة إذا تذكرنا بأنه لم يكن في عهده مختبرات لـتحليل الحليب بغية معرفة تركيبه، يقول: «وتركيب كل لبن من ثلاثة جواهر، أحدها الجـوهـر المـائـي اللـطـيف، والثاني منها اللطيف الجبني، والثالث الدهني الدسم. وليس **مـقـدار مـا في ألـبـان الحـيـوان مـن هذه الجواهر بمستوى، فلذلك حمدنا من اللبن ما كان معتدلاً في جميع جهاته» (٦٧ ص ٧٤).**

٤ — كـمـية وكيفية الرضاعة من الثدي وأوقاته: لقد تكلمنا عن إرضاع الطفل في أيامه الأولى فلا نرى حاجة لتكرار ذلك، وإنما سنذكر هنا ما لم نذكره مما له علاقة بهذا الباب.

يقول ابن الجزار في طريقة إرضاعه وأحسن الأوقات لذلك، قولاً علمياً صحيحاً نذكر هنا قوله: «وينبغي ألاّ يرضع الصبي بعقب الحمام إلا بعد أن تهدأ حركاته لئلاّ تعرض له تخـمـة فـيـتـولـد في بـدنه كيموس رديء. فإذا أرادت إرضاعه فتغمز حلمتها غمزاً رقيقاً ثم تـضـعـهـا في فـيـه وتعصرها بعض العصر لئلاّ يتعب الصبي من كثرة المص ولا ترضعه لبناً

كثيراً في دفعة واحدة بل دفعات قليلاً قليلاً إذا علمت أنه يحتاج اللبن» (٦٧ ص ٦٤-٦٥).

ولابن سينا هنا ملاحظة لا بد من التنويه بها حيث يقول: «ويجب في كل إرضاعة وخاصة في الإرضاع الأول أن يحلب شيء من اللبن و يسيل بالغمز لئلاّ تضطره شدة المص إلى إيلام آلات الحلق والمريء... ولا ينبغي أن يرضع اللبن الكثير دفعة واحدة بل الأصوب أن يرضع قليلاً قليلاً» (٥ ص ١٥١-١٥٣).

و يقول عريب: «فيجب أن يكون إرضاع الطفل بقدر ما يكفيه و ينعش بدنه ولا يسرف به عليه فيتمدد بطنه و يتقيأ و يصيبه من ذلك فتور وكسل وطول نوم وتقلب و بكاء» (٦٥ ص ٥٤).

أما داوود الأنطاكي فنجده ولأول مرة قد احتسب مقدار حاجة الطفل للحليب في الأربع والعشرين ساعة حيث قال: «قالوا وأقل ما يرتضع الطفل في اليوم والليلة مائة وخمسين درهماً والأكثر فيما قالوا خمسمائة» (٨ ص ١٣).

ولما كان الدرهم يساوي حوالي ٣ غم فيكون مقدار ما يجب أن يرضعه حوالي ٤٥٠-١٥٠٠غم حليب في اليوم وهو قريب جداً لما نحدده في حساباتنا لحاجة الطفل اليومي من الحليب.

٥ — أسباب منع الرضاعة من الأم: سبق وأن قلنا بان الرضاعة الطبيعية من الأم هي المفضلة دائماً، أما إذا وجدت عوارض تحول دون ذلك، فإن اللجوء إلى مرضعة أخرى أو إلى الرضاعة الصناعية يصبح أمراً غير اختياري. والعوارض التي تحول دون الرضاعة الطبيعية، قد يكون مبعثها أمراض تصيب الأم أو أمراض تصيب الطفل. هذه الحقيقة جاءت في كتابات الأطباء العرب فأشاروا إلى أسباب منع الرضاعة من الأم بشكل جلي سواء الدائمة منها أو الوقتية نذكر فيما يلي بعضاً من أقوالهم.

يقول ابن سينا: «فإن منع عن إرضاع لبن والدته مانع من ضعف أو فساد لبنها» ثم يقول: «إذا عرض للمرضعة مزاج رديء أو علّة مؤلمة أو إسهال كثير أو احتباس مؤذ فالأولى أن يتولّى إرضاعه غيرها إلى أن تستقل وكذلك إذا أحوجت الضرورة سقيها دواء له قوة وكيفية غالبة» (٥ ص ١٥٣). العلم الحديث يؤيد ابن سينا فيما ذهب إليه من كون بعض العلاجات (كالمسهلات وغيرها) تعبر عن طريق الحليب، الأمر الذي يستوجب عدم إرضاعه حليب الأم لحين تركها تناول العلاج.

وأما علي بن العباس المجوسي فيقول: «فإذا دعت الضرورة إلى أن يتغذى المولود بلبن غير والدته بسبب قلّة لبنها أو لسبب مرض لحقها أو غير ذلك من الأسباب المانعة فليؤتى له

بمرضعة» (٦٩ ص ٥٦).

٦ - صفات المرضعة: لقد اهتم الأطباء العرب منذ القديم بتغذية الطفل فحاولوا إيجاد وسائل وطرق لتغذية الطفل حين يحرم من أمه لسبب من الأسباب، والوسيلة السهلة والوحيدة التي اتبعوها كانت استئجار مرضعة تقوم بإرضاعه مع طفلها، إلا أنهم لم يستهينوا بذلك بل وضعوا للمرضعة شروطاً وصفات لا بد من توفرها لكي يسمحوا لها بإرضاع الطفل، وان هذه الشروط تكاد تكون جميعها مقبولة اليوم، نوجزها فيما يلي:

- سنها: يحدد المجوسي سنها بقوله: «سنها خمسة وعشرون سنة إلى أربعين» (٦٩ ص ٥٦). في حين ابن الجزار يقول بما قاله جالينوس: «أن تكون شابة غير مسنة، وكذلك قال جالينوس في كتاب السياسة وذلك أن الشابة تكون ابنة خمس وعشرين والكبيرة ابنة خمس وثلاثين سنة» (٦٧ ص ٧٠).
- حسبها وأخلاقها: انه من الثابت تربوياً اليوم بأن للمرضعة باعتبارها تقوم مقام الأم، أثر بارز ودور كبير في غرس مبادىء الأخلاق الحميدة لدى الطفل فتى كانت قدوة حسنة كان سلوكه كذلك وإلاّ كان العكس. وهذا ما أجمع الأطباء العرب عليه قديماً.

يقول ابن الجزار في ذلك: «وقد أمر بعض الأوائل أن تختار المرضعة من أهل بيت عقل وأدب وعفّة وصحة وسخاء ونجدة. وكان يقول، قد يعرض للطفل من أهل بيت المرضعة ما يعرض له من أهل بيت أبيه وأمه» (٦١ ص ٧١).

أما ابن سينا فيقول: «فإن تكون حسنة الأخلاق بطيئة عن الانفعالات النفسانية الرديئة، من الغضب والغم والجبن وغير ذلك فإن جميع ذلك يفسد المزاج وربما أعدي بالرضاع» (٥ ص ١٥٢).

و يؤكد أحمد بن محمد الطبري نفس المعنى بقوله: «إن الأخلاق أكثرها من المرضعة فيجب أن تكون على نهاية الرضى والحمد في أخلاقها وطهارتها» (٥٧ ص ٦٧).

جسدها: يقول ابن سينا: «وأما شريطة سمنتها وتركيبها فيجب أن تكون حسنة اللون قوية العنق والصدر واسعته عضلانية صلبة اللحم متوسطة في السمنة والهزال» (٥ ص ١٥١). أما ابن الجزار فيشترط في ذلك «أن يكون صدرها واسعاً وثدياها وسطاً لا كبيرتين ولا صغيرتين ملستين غير رخوتين، وتكون حلمتاهما لينتين واسعتي المرى (العرق الذي يدر اللبن) لا صغيرة ولا كبيرة، لأن الكبيرة تمنع لسان الصبي من المص والاستدرار والصغيرة لا يتمكن من مصها» (٦٧ ص ٧١- ٧٢).

كيفية حليبها: اشترطوا أن يتصف حليبها بنفس صفات الحليب الجيد التي ذكرناها سابقاً.

مدة وضع المرضعة: يقول ابن الجزار: «و ينبغي أن تكون المرضعة قد ولدت ولدين أو ثلاثة من

غير وجع ولا إسقاط وتكون قد ولدت مع أم الصبي الذي ترضعه» (٦٧ ص ٧١- ٧٢).

أما ابن سينا فيقول: «فيجب أن تكون ولادتها قريبة لا ذلك القرب جداً بل ما بينها و بينه شهر ونصف أو شهران وأن تكون ولادتها لذكر وان يكون وضعها لمدة طبيعية وألاّ تكون أسقطت ولا كانت معتادة الإسقاط» (٥ ص ١٥٣) نحن اليوم نقرهم في بعض ما ذهبوا إليه هنا كاشتراطهم سلامة الأم من الأمراض ومدة الوضع، إلا أننا لا نقرهم في مسألة أن تكون ولادتها لذكر، حيث أنه من الثابت مختبرياً بأن لا فرق بين حليب الأم سواء كانت ولادتها لذكر أم أنثى.

العناية بصحة المرضعة وغذائها: يقول ابن سينا: (ويجب أن تؤمر المرضع برياضة معتدلة وتغذى بأغذية حسنة الكيموس ولا تجامع البتة، فإن ذلك يحرك منها دم الطمث فيفسد رائحة اللبن و يقل مقداره بل ربما حبلت وكان من ذلك ضرر عظيم على الولدين معاً. أما المرتضع فلانصراف اللطيف من اللبن إلى غذاء الجنين ولقلة ما يأتيه من الغذاء لاحتياج الآخر إلى اللبن» (٥ ص ١٥٣).

طب الأطفال الحديث يتفق مع ابن سينا في ضرورة استعمال المرضعة الرياضة وحسن تغذيتها ولا يوافقه في بقية ما ذكر، وإذا كان يخشى على المرضعة من الجماع، فربما ذلك حفظاً عليها من احتمال الحمل الذي يؤدي بدوره إلى قلة في حليب الأم وليس لضرر فيه.

وعن العناية بصحة المرضع وغذائها يقول ابن الجزار: «ينبغي أن تغذي المرضعة للصبي بالأطعمة والأشربة الموافقة للبن، المحمودة، و يلزم أيضاً قيامها على نفسها ألاّ تجوع ولا تمتليء، ولا تستطلق بطنها ولا تيبس.

وتستعمل من التعب مقداراً كافياً... وتلزم أعمال الأ يدي وتلعب بالكرة وتروض يديها في جميع ذلك رياضة معتدلة، وتستعمل من الأطعمة ما كان مزاجه حسناً مثل خبز القمح المحكم الصنعة وما أشبه ذلك، وتتناول مرة بعد مرة الأشياء المتخذة من الحبوب المحمودة الخلط والسمك الذي ليس بغليظ، ومن اللحم الطري ومن أطراف الدجاج والطير وتشرب شراباً يمانياً مائلاً إلى الحلاوة، فإذا نبتت أسنان الصبي، فلتتناول من الأغذية أقوى مما وصفنا مثل لحم الجدي والحملان، وأما أول ما ترضعه فتستعمل أغذية يسيرة... وتجعل شرابها الماء بقدر كثير... ولا تكثر من الشراب، فإن الشراب الكثير رديء للمرضعة والصبي... وتأكل من البقل خاصة الخس فإنه عمود الخلط، وهو يلائم الطفل، وتأكل اللوز فإنه يدر اللبن» (٦٧ ص ٧٥- ٧٦).

لا شك بأننا نجد في أقوال ابن الجزار كثيراً من الأمور التي يقرها العلم الحديث وخاصة مسألة الرياضة وغذاء المرضعة.

ب ـــ حليب الحيوانات:

لم يكتب الأطباء العرب في مجال إعطاء الطفل حليب الحيوانات شيئاً كثيراً، مما يدل على عدم

انتشار استعماله في إرضاع الأطفال بصورة واسعة، ولم نعثر في كتبهم سوى على فقرات قليلة. ففي تبيان جودة أنواع حليب الحيوانات كتب ثابت بن قرة:

«ومراتب الألبان ثلاثة، لطيف جداً مثل لبن الأتن (والأتن انثى الحمار)، وغليظ جداً مثل لبن البقر، ومتوسط مثل لبن المعز» (٧).

والعلم الحديث يقر بأن لبن الحمير أقرب أنواع الحليب للحليب الآدمي لولا صعوبة تعقيمه والحصول عليه.

و يقول الأنطاكي عند التحدث عن اللبن: «لبن... يختلف باختلاف أصوله وما تناول من المراعي، وأما ما هو في نفسه فلا شك أنه مشتمل على سمنية حارة يابسة وجبنية باردة يابسة في الأولى ومائية باردة رطبة في الثانية» ثم يقول: «**وألذه لبن البقر وأحلاه لبن الأتن وأفتحه للسداد للبن اللقاح وأكثره نفعاً في الحمل والإنتاج لبن الخيل. وأكثره جبنية ما اغتذى بالغليظ ولا توجد في لبن ذي حافر ولا خف وكذا السمن.. واللبن يمكن تناسبه لسائر الأمزجة والفصول لقبوله التعديل والطف ما** استعمل حال حلبه لما فيه من الحرارة التي تفارقه إذا برد فإذا طال مكثه فلا يستعمل حتى يسخن» (٨ ص ٢٥٥).

إن ملاحظة الأنطاكي حول ضرورة تسخين الحليب الذي طال مكثه قبل استعماله ملاحظة جديرة بالإعجاب حيث أن غلي الحليب حتى اليوم يعتبر من وسائل التعقيم المهمة والمتعارف عليها. ونجيز بذلك لأنفسنا القول بأن للأنطاكي كان فضل السبق في ذكر ذلك وإن لم يكن عارفاً بعلم الجراثيم ووسائل التعقيم.

ونجد للأنطاكي أيضاً إشارة مهمة أخرى حيث يؤكد احتمال انتقال بعض الأمراض عن طريق حليب بعض الحيوانات التي تتناول الجيف، فيقول: «كما أن أجوده من باقي الحيوانات ما حسن مرعاه وطاب ماؤه وهواؤه وسلم من تناول الجيف..» (٨ ص ٢٥٦).

ج ــ الغذاء الإضافي والفطام:

لقد أجمع الأطباء العرب على تغذية الطفل أغذية إضافية واشترطوا أن يكون ذلك بالتدريج.

يقول ابن الجزار: «إن الطفل من بعد وقت اللبن يأخذ في استعمال المضغ فيستعمله من تلقاء نفسه كما يتعلم سائر الأعمال». «وتؤمر المرضعة أن تنقص من لبنه وتعوده الطعام وتمرنه عليه كي لا يضره الانتقال بغتة و يكون أول طعامه خبزاً ممضوغاً ويجعل في فيه» «و بعد أن يطعم الخبز المطعم، ويجوز أن يطعم خبزاً نظيفاً قد بلّ في ماء وعسل أو في لبن و يسقى في بعض الأحايين بماء وفي بعضها شراب قد مزج بالماء حتى رق وصفاً» (٦٧ ص ٦٦-٦٧).

و يقول ابن سينا في هذا الباب: «وإذا اشتهى الطفل غير اللبن أعطي بتدريج ولم يشدد عليه ثم إذا جعلت ثناياه تظهر أعطي شيئاً صلب المضغ ثم خبزاً بماء وعسل أو بشراب أو بلبن، و يسقى عند ذلك قليل ماء وفي بعض الأحيان مع يسير شراب ممزوج به ولا تدعه يمتلىء.. وأجود تغذيته أن يؤخر إلى أن يمرخ ويحمم ثم إنه إذا فطم نقل إلى ما هو من جنس الاحساء واللحوم الخفيفة ويجب أن يكون الفطام بالتدريج لا دفعة واحدة و يشغل ببلاليط متخذة من خبز وسكر» (٥ ص ١٥٣). هذا الكلام القيم في تعويد الطفل الأغذية بالتدريج لا ينقصه سوى تحديد الزمن الذي يبدأ به كل طعام.

وفي فطام الطفل ننقل قول عريب: «وإذا بلغ الصبي مبلغ ما يقدر على قدر شيء من الطعام وقرب وقت الفطام عملت له بلاليط من دقة السميد ولبن وسكر ودفعت إليه ليمصها و يلوكها و يتدرج بذلك إلى الابتلاع و يعطي أيضا من لحم صدر فروج رخو أو لحم فروج جملة فإذا استطاب ذلك ونال منه نزعته من الرضاع قليلا ثم درجته في ذلك حتى يفطم. وفطام الصبي يكون بعد سنتين من ولادته أو بعد ثلاثين شهرا ان أطيل إرضاعه كما قال عز وجل: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) ثم ينقل عن الرضاع بتدريج لطيف. ولا يكون فطامه في زمان حار» (٦٥ص ٧٤).

إن التأكيد من قبل الأطباء العرب على جعل الفطام بالتدريج لا دفعة واحدة حقيقة علمية صحيحة تسجل لهم بكل فخر لأن الفطام فجأة صدمة نفسية للطفل كما أن إلزامه المفاجىء بطعام جديد وطريقة جديدة لتناوله يجعل الطفل يعزف عن الطعام متعرضاً بذلك لخطر جسيم خاصة إذا كان المناخ حاراً.



الفصل الرابع

أمراض الأطفال ومعالجتها عند الأطباء العرب والمسلمين



أمراض الأطفال ومعالجتها عند الأطباء العرب والمسلمين

نعيش اليوم العقد الأخير من القرن العشرين، في عصر طب الأطفال الحديث، وقد عاش أناس قبلنا في عصور مختلفة وفي كل يوم يوافينا الطب بالجديد والغريب، وآياته الباهرة تحيط بنا من كل جانب، في علاج الأمراض المستعصية واكتشافات اللقاحات للوقاية من أمراض كانت مهلكة لأطفال من سبقونا. وإذا كنا نعجب لحاضره، فما أجدرنا أن نقف على ماضيه لأنه ممهد دون نزاع لهذا الحاضر وهما معاً يفتحان السبيل أمام المستقبل.

ومما لا شك فيه أن تقدم الطب يحل جديداً محل قديم ولكن يجب ألاّ يغيب عن بالنا أن بعضاً من ذلك القديم يبقى خالداً على الأيام بما فيه من أصالة. فقد وجدنا مما سبق في هذا الكتاب، كما سنجد فيما سيأتي منه، بأن قسماً من تراث عبقريات الأطباء العرب والمسلمين في طب الأطفال وبعض النتائج التي توصلوا إليها لاتزال تؤلف أجزاء أساسية من معارف طب الأطفال الحديث.

الدارس لكتابات الأطباء العرب والمسلمين من أمثال الرازي والبلدي وابن الجزار وابن سينا وغيرهم يخرج بنتيجة حتمية، بأنهم سلكوا الأسلوب العلمي الصحيح في تناولهم أمراض الأطفال. فهم يبدأون أولاً بتعريف المرض ثم يذكرون أعراضه وينتهون إلى ذكر العلاج، وفي كل ذلك يذكرون أغلب ما جاء في كتب الأقدمين مستعينين بطريقتي التجربة والقياس، فكل حقيقة عن الأمراض والعلاجات وغيرها من المواد الغذائية والدوائية لا يقتنعون بها ولا تثبت لديهم بالمشاهدة الصحيحة والتجربة منفعتها وصحتها يرفضونها مبينين رأيهم وسبب رفضهم بروح علمية وانتقاد نزيه، وكل ما اقتنعوا به نقلوه وسجلوه في كتبهم مشيرين إلى صاحبه. كما نجد بعضهم لا يكتفي بالنقل عن غيره بل يقوم بالتعليق على ما ينقل ويضيف ما جادت به خبرته ونادراً ما نجد من يذكر نصوصاً دون ذكر اسم صاحبها ودون إبداء رأيه فيها أو التعليق عليها.

تناول الأطباء العرب أمراض الأطفال بصورة عامة، ولأجل إعطاء فكرة مبسطة وشاملة رأينا أن نمضي في استعراضها حسب التقسيمات الحديثة لأمراض الأطفال.

أولاً: الجهاز الهضمي

شملت كتابات الأطباء العرب عن أمراض الجهاز الهضمي في الأطفال ما يلي:

أ ـ أمراض المرىء:

انطباق المرىء.

ب ـ أمراض المعدة:

١ ـ الامتناع عن شرب اللبن.

٢ — تغير اللبن في المعدة.

٣ — ضعف المعدة.

٤ — سوء المزاج الحار والبارد في المعدة.

٥ — الفواق.

٦ — القيء.

٧ — القراقر والرياح في المعدة.

ج — أمراض الأمعاء:

١ — انتفاخ البطن.

٢ — استطلاق البطن.

٣ — الزحير، المغص، اللوى.

٤ — الحصر والاعتقال، اعتقال طبيعة الصبي، احتباس البطن، وتعني كلها الإمساك.

٥ — خروج المقعدة.

٦ — الديدان.

ومن خلال ما كتبوه نستخلص بعض الآراء التي تتفق ومفاهيمنا الحديثة في طب الأطفال.

فعن القيء في الأطفال يقول البلدي: «القيء الذي ذكره أبقراط **أنه يعرض** للأطفال فيما بين الولادة ونبات الأسنان، وإنما يعرض ذلك، اما لكثرة ما يتناولونه من اللبن... واما لرداءة اللبن وفساده في نفسه واما لضعف معدهم. وإن كان هذا سبب القيء في الصبيان فينبغي أن يقلل رضاعهم و يؤخر عن أوقاته... وتصلح ألبانهم وأغذيتهم وتقوى معدهم و يدام حميتهم بالماء الحار عند خلو معدهم من اللبن» (١٤ ص ١٤٦). ثم يصف العلاجات التي تساعد على شفاء الطفل.

نقول بأن البلدي كاد أن يقترب من الحقيقة التي نؤكدها اليوم في تبيان أسباب القيء في الأطفال، فقوله: (لرداءة اللبن وفساده) يقابل قولنا اليوم بأن بعض الأطفال يتقيؤون لحساسية لديهم من حليب الأم، وقوله: (أما لضعف معدهم) يقابل قولنا أن بعضهم يتقيؤون لترهل ولادي في عضلات المعدة أو لتضيق ولادي في بواب المعدة.

أما ابن هبل البغدادي في كتاب المختارات فيقول: «وقد يعرض للأطفال القيء فيسقون شراب التفاح المز وشراب الرمان المز المنعنع أو يسقون ماء التفاح». وهذا هو نفس ما نوصي به اليوم عند إصابة الطفل بحالة قيء نتيجة التهاب حاد في المعدة إذ أننا نؤكد على أن يمتنع الطفل من تناول اللبن لمدة ٢٤–٤٨ ساعة (والتي تسمى أحياناً بفترة الصيام) وأن يتناول محلول الكلوكوز والملح أو الشاي أو الكولا أو أي شراب آخر.

وأما عن إسهال الأطفال فننقل هذا القول للرازي : « و يتكرر حدوث الإسهال في الأطفال من سبب ظهور الأسنان كما ذكرنا ، أو من سبب البرد أثناء لفه بالقماط ، أو من سبب تعفن الحليب من الصفراء والبلغم ، علامة كونه من الصفراء هو إذا كان لون براز الطفل ليمونياً ذا رائحة حادة ويخرج دون توقف . علامة البرد والبلغم هو كون البراز أبيض ويخرج متقطع ، وإذا كان البلغم لزجاً فالخروج يأتي سريعاً » (٣٨) . ثم يمضي في وصف العلاجات لذلك ، ومن الأمور التي يؤكد عليها إعطاؤه عصير الفواكه وشراب الورد والنعناع إضافة لعلاجات أخرى .

وفي معالجة استطلاق البطن (الإسهال) يوصي ابن سينا كما نوصي اليوم بقطع الطفل عن الرضاعة لليوم الذي يحصل فيه الإسهال فيقول : « ويحذر حينئذ من تجبن في معدته بأن يغذي ذلك اليوم ما ينوب عن اللبن ... أو سويق مطبوخ في ماء » (٥ ص ١٥٤) .

ويحدد البلدي أسباب المغص العارض للصبيان بـ(ريح ، رطوبات ، كثرة ازدراد اللبن) ومن نصائحه المقبولة هنا وصفه الاستحمام لتهدئة الطفل المصاب بالمغص .

و يعلل البلدي أيضاً خروج المقعدة ونتوءها في الصبيان تعليلاً صحيحاً فيقول : « قد يعرض خروج المقعدة ونتوءها في الصبيان كثيراً وإنما يكون ذلك لاسترخائها وضعف العضل الماسك لها ... وقد يكون هذا في غير الصبيان أما لورم يكون في المقعدة أو لخلط حار يلذعها ويهيجها إلى الخروج ، فإما ما يعرض للصبيان فإنما يكون لضعفها وكثرة رطوبتها ... » (١٤ ص ١٥٧) .

أما كتاباتهم عن الديدان فكانت كثيرة ، سوف نتناولها بالبحث عند التحدث عن الأمراض المعدية .

ثانيا : الجهاز التنفسي

إن أمراض الجهاز التنفسي التي تكلم عنها الأطباء العرب كانت :

١ — السعال والزكام .

٢ — سوء التنفس .

٣ — الربو .

٤ — الخرخر .

٥ — نفث الدم والرعاف .

٦ — النسل .

تناول الأطباء العرب والمسلمون أمراض الجهاز التنفسي بالتفصيل إلا أن أهم النقاط البارزة والجديرة بالذكر كانت كما يلي :

يقول عريب عن الربو قولاً موجزاً وشاملاً ورائعاً: «فأما الربو العارض للأطفال فهو نفس متتابع شديد وجرجرة في صدورهم وفي حلوقهم عند النفس وبلة عظيمة تكون في آلات الرئة وأنابيبها» (٦٥ ص ٧٥).

وأما ابن الجزار فيقسم علاجات السعال إلى أنواع مختلفة تدل على معرفة دقيقة فهي عنده علاج لسعال الأطفال، وعلاج للسعال الذي معه صريرة في النفس.

وتقسيم الرازي لأنواع علاجات السعال كذلك تقسيم جيد حيث صنفها إلى علاج للسعال الاعتيادي، وآخر لسعال البرد، وآخر إذا كان الصدر محتقناً بالسوائل وآخر إذا كان مع السعال استطلاق (إسهال). إن إشارته لاحتمال حدوث الإسهال كعرض جانبي لالتهابات الرئة إشارة صائبة.

ويحدد البلدي أسباب السعال بـ:

١ — رطوبة تنحدر إلى صدورهم.

٢ — برد يلحق برؤوسهم.

٣ — كثرة رضاعهم.

لقد كان صائبا في ذكره السببين الأولين الآ أنه لم يوفق في السبب الأخير. و يقدم البلدي نصائح لمعالجة المصاب بالزكام مازالت مقبولة علمياً حتى اليوم وهي الحرص على تدثيره وإعطائه العسل لتخفيف السعال وإدامة الحميم بالماء الحار.

و يتحدث الطبري عن التهاب الحنجرة و يسميها الخرخرة فيقول: «مما يحدث في حلوق الأطفال الخرخرة والسبب في ذلك سببان: اما ترطب الرئة بأكثر مما يجب ولا يكون ذلك متساوى الأجزاء فيقع التنفس فيما بين تلك الأجزاء فتقع الخرخرة» (٥١ ص ٢٧).

و يقدم الطبري أيضاً في موضع آخر عرضاً لمسألة نفث الدم، وهو في عرضه استطاع أن يفرق بين أنواع الدم الذي يخرج من الرئة والذي يخرج من الأنف وغيره فيقول: «متى نفث الطفل الدم... فهو على وجهين اما دم ينزل من رأسه... أو رئته فإن كان مما ينفث من الصدر لا يخفى على الطبيب الماهر ذلك لأنه يخرج بالسعال والتنحنح وإن كان مما ينزل من الرأس فعلامته أن يخرج من مناخره... وجميعاً يعتل الطفل لضعفه وضعف قوته عن احتمال ذلك» (٥١ ص ٤٩).

أما آراؤهم وأقوالهم في مرض السل فإننا سوف نتكلم عنها عند الحديث عن الأمراض المعدية.

ثالثا: الجهاز العصبي

لم تكن أغلب أمراض الجهاز العصبي معروفة لدى الأطباء العرب، إلا أن ما كتبوه في بعض أمراض هذا الجهاز كان كافياً للتدليل على مبلغ علمهم بدقائق هذا الجهاز. إن ما كتبوه في هذا الباب شمل:

١ — تشنجات الأطفال، والشلل، والاسترخاء.
٢ — كبر الرأس وصغره.
٣ — بكاء الطفل وسهره.
٤ — الأحلام المفزعة عند الطفل.
٥ — مرض العطاس. (أو كما يسميه البعض الغطاش)
٦ — ورم اليافوخ.

والآن لنتناول كلاً من هذه الأمراض ولنبين أبرز ما ذكره الأطباء العرب فيها.

تشنجات الأطفال، والشلل، والاسترخاء:

أعطى الأطباء العرب والمسلمون لمرض الصرع أسماء مختلفة فمن ذلك (ابليمبسيا، علة الصبيان، ريح الصبيان، أم الصبيان) وتكلم عنه غالبية من كتب عن أمراض الأطفال. وفي ضوء ما جاء في كتاباتهم نورد هذه الخلاصة لأنواع ومعالجة هذا المرض.

١ — **النوع الطبيعي:** يولد الطفل مصاباً به بسبب رطوبة وعفونة وسوء مزاج بارد يغلب على الدماغ وشفاؤه يكون بانتقاله من هذه السن ومقاربته البلوغ وملاحظة غذائه وإذا لم تتحسن حالته فنهايته الموت.

٢ — **النوع العرضي:** ويحدث بعد الولادة نتيجة رداءة التدبير في الغذاء أو غيره ولا ينتظر شفاؤه بانتقال الطفل من السن الذي هو فيه ولكن يبادر إلى علاج ذلك بعلاج السبب.

فإن كان التشنج من فساد اللبن أصلح و ينقل عنه إلى لبن غيره. وإن كان غذاء رديئاً لم يقدم له. أو إن كان من فزع اعترى الطفل أبعد عنه السبب.

٣ — التشنج نتيجة الحمى.
٤ — التشنج نتيجة البكاء الشديد.
٥ — التشنج نتيجة الإسهال الشديد وفقدان السوائل.
٦ — صرع الكبار : ومثل هذه الحالة إن كانت في الكبار كان صرعاً، و يعسر تحلله فيهم ولا يطمع في برئه.

نورد فيما يلي نصوصاً من أقوالهم للتدليل على ذلك، يقول الطبري عن فسلجة الصرع: «إن الطفل يحدث به الصرع من الدماغ و يسميه العامة ريح الصبيان، وعلّة ذلك أن لبن المرضعة يكون غليظاً ثخيناً فاسد الكيفية مائلاً إلى البرد فتعجز طبيعة الطفل عن هضمه فيتولد منه بخارات غليظة فيملأ بطون الدماغ ويحدث منه حالة شبيهة بالصرع» (٥١ ص ٩).

وفي الحاوي يحدد الرازي مرض الصرع بشكل واضح حيث يقول: «الصرع تشنج يعرض في جميع

البدن إلا أنه ليس بدائم لأن علّته تنقضي سريعاً وما ينال فيه الأعضاء التي في الرأس على جميع الجسد من المضرة يدل على أن العلّة إنما هي في الدماغ، ولأنها تنقضي سريعاً ينبغي أن يعلم أن الخلط الفاعل له خلط غليظ يسد منافذ الروح. فإن فعله في بطون الدماغ خاصة، وإن مبدأ العصب فأصله هو الذي يحرك نفسه حركة ارتعاشية، و يرتعد بشدة كيا يدفع عنه ذلك الشيء الذي قد بلغ في الأبدان».

والرازي بعد أن يفرق بشكل دقيق بين الصرع الناتج عن آفة محددة في الدماغ والذي تطول مدته عادة، وبين الصرع الذي ينقضي بسرعة والذي ينتج برأيه عن خلط غليظ، ينتقل إلى الحديث عن أصناف الصرع حيث يشير بوضوح إلى الصرع الجاكسني والذي يعزى فيه الرجفان إلى مادة أو ما كانت تدعى بروح باردة تصعد إلى الدماغ من القدم. ولقد ذكر الرازي أيضاً المرحلة التي تسبق النوبة الصرعية والتي تدعى اليوم بالنسمة أو Aura والتي من أوصافها أنها تترافق بشعور خفي لا يستطيع المريض تمييزه في أكثر الأحوال ودعا هذه المرحلة (الكابوس). ثم بعد ذلك يبين الرازي الإنذار لهذا المرض حيث يقول: «من أصابه الصرع قبل إنبات الشعر في العانة، فإنه يحدث له انتقال وقت إنباته، فمن أصابه وقد أتى عليه من السن خمس وعشرون سنة فإنه يموت وهو به» أي أن صرع الصبيان من الممكن أن يشفى عند البلوغ(١٠).

أما في رسالته عن أمراض الأطفال فإنه يؤكد على أن هناك نوعين من الصرع نوع خلقي وآخر عرضي فيقول: «الصرع يحدث في طريقتين، إما أن يولد الطفل مصاباً به بسبب رطوبة وعفونة باردة في المزاج الطبيعي للدماغ، أو أن يكون عرضياً لهؤلاء الأطفال. وعلامة كونه طبيعياً أن الطفل يولد مصاباً به، وعلامة كونه عرضياً حدوثه بعد الولادة. وشفاء النوع الأول الولادي هو ملاحظة الغذاء لأن الطفل حينما يتجاوز هذه المرحلة يشفى منه ولكن إذا لم يتحسن فإن هذا البلاء يؤدي بالطفل للوفاة» (٣٨).

ومن جملة ما ذكره ابن الجزار عن هذا المرض قوله: «إذا كان ابتداؤه مبدأ أول الولادة، فالسبب فيه. سوء مزاج غالب على الدماغ، اما بارد واما رطب واما بارد ورطب فإن لم يكن ابتداؤه مبدأ أول الولادة فحدوثه اما من سوء التدّبير واما بسبب آخر من خارج فإذا عرض فينبغي أن يعلم أن منهم من يحتاج إلى العلاج الطبي ومنهم من لا يحتاج إليه. فأما من لا يحتاجون إليه والذين حدث لهم هذا الداء في سنهم الأول، وذلك أن برؤهم منه يكون بانتقالهم من سن الأطفال إلى سن المراهقين... فأما الصبيان المحتاجون إلى العلاج الطبي فهم الذين يحدث لهم هذا الداء بعد ولادتهم» (٦٧ ص ٩٧-٩٨).

وبعد ذلك يؤكد عريب نفس المعنى بقوله: «فإن كان التشنج من فساد اللبن أصلح وتنقل إلى لبن غيره، وإن كان من غذاء رديء أو فزع اعترى الطفل عولج ذلك من وجهته بقطع الأسباب المولدة لها ونفيها عن المولود» (٦٥ ص ٦٨).

و يقول ابن الجزار عن التشنج نتيجة البكاء الشديد وهو ما نسميه (الغصة) بالعامية، ونسميه علمياً (Breath — holding — spells).

«ولا يمكن من البكاء فإنه إذا كثر بكاؤه عرض له ابليمبسيا» (٦٧ ص ٦٨).

أما ابن سينا فإنه يذكر بأن التشنج قد يحدث نتيجة البكاء ونتيجة الحمى والإسهال الشديد. فيقول: «الصرع تشنج البدن كله ومنه ما يعرض للصبيان لرطوبتهم وكثرة بكائهم يتشنجون أيضاً في حمياتهم وإن كانت حمياتهم خفيفة».إلى أن يقول: «وأما من جاوز سبع سنين فلا يتشنج إلا لحمى صعبة جداً ومن التشنج ما يعرض للخوف». ثم يقول: «وأما التشنج اليابس فمنه ما يكون عقب الدواء المسهل وهو رديء جداً وكذلك عقيب كل استفراغ ومنه ما يكون عقيب الحميات المحرقة» (٥ ص ٩٥-٩٦).

أما أهم فقرة ذكرها ابن سينا فكانت تقسيمة الصرع إلى صرع كبير Grand Mal وصرع صغير Petit Mal حيث دعاهما بالصرع الصعب والصرع السهل فقال: «وعلامة الصرع السهل أن تكون الأعراض أسلم وأن يكون صاحبه يثوب إليه العقل بسرعة فينحدر كما يفيق، وأن **تسرع إلى إفاقته**)بالعطوسات والشموسات وبما يحرك القيء مما يدخل الحلق قاء به أو لم يقيء، وعلامة الصعب منه عسر التنفس وطول الاضطراب، ثم طول الخمود أو يطول الخمود فيه و يقل الاضطراب».

وفي معرض وصفه للصرع الكبير قسم هذا المرض إلى:

مرحلة النسمة Aura

مرحلة الارتجاج Clonic

ثم مرحلة الاسترخاء Stage of Relaxation

ونظراً لما في كتابات البلدي في هذا الباب من أهمية علمية خاصة وإسهاب رأينا أن نوجز أقواله بما يلي: (١٤ ص ١٠٨-١٢٣) التشنج والاسترخاء والتمدد والكزاز بمعنى واحد وهو سكون وحركة الأعضاء المحركة بإرادة حركة خارجة عن الطبيعة وسكون بغير إرادة والسبب في ذلك:

١ — الامتلاء.

٢ — كثرة الخلط.

٣ — اليبس.

٤ — الاستفراغ.

٥ — الحميات الحادة.

وأنـــواعه:

أولاً: من امتلاء الدماغ:

١ — الذي يكون من أمراض الدماغ وامتلائه كان عنه السكتة.

٢ — الذي يكون من مرض مبادىء العصب النابت من الدماغ وامتلائها كان عنه الصرع.

٣ — الذي يكون من امتلاء بعض الأعصاب لا كلها حدث عنه تشنج واسترخاء في ذلك العضو الذي تحركه تلك العصبة كالعين والشفة.

٤ — إن كان من عصب الحس والحركة معاً حدث عنه التشنج والاسترخاء مع بطلان الحس.

ثانياً: من أمراض النخاع:

١ — إن كان في العصب النابت من النخاع في مبدئه وأصله تبع ذلك تشنج جميع البدن واسترخاء دون الوجه.

٢ — وإن كان ذلك في مبدأ العصب الآتي إلى أحد الجانبين من البدن حدث عنه فالج في ذلك الجنب.

٣ — وإن كان في العصب الآتي إلى قدام أو إلى خلف كان عنه تشنج واسترخاء من خلف أو قدام.

٤ — وإن كان في عصب آت إلى عضو منفرد من البدن كان عنه تشنج في العضو دون غيره.

ثالثاً: من أمراض العضل:

و يقول الطبري عن الاسترخاء: «ربما أصاب الطفل الذي لم يتغذ بالخبز والزهومة، الاسترخاء فينظر فإن كان ذلك وراثة مثل أن يكون بأبيه وأمه استرخاء فلا حيلة فيه وإن لم يكن بهما ذلك فلا شك من الأغذية الرديئة التي تتغذى بها مرضعة الطفل من فضول مجتمعة في بدنها رطوبية» (٥١ ص ١٤). وفي هذاالقول التفافة جميلة، حيث قسم الاسترخاء في الأطفال إلى نوعين: مكتسب ووراثي. وربما قصد أيضاً بعض أنواع التسمم بالغذاء بالغذاء والعناصر المعدنية والتي تؤثر على الجهاز العصبي، كما نجد له إشارة أيضاً إلى عدم إمكان معالجة الاسترخاء الوراثي.

وقبل أن نختتم الحديث عن التشنج لابد من الإشارة إلى ذكر داوود الأنطاكي في علاج مرض (أم الصبيان)، تشريط الأذن وإعطاء الطفل مغلاة الخشخاش (٨ ص ١٣). وإن ذلك ربما يوحي بمعرفة قسم من الأطباء العرب بما يشبه المعالجة بالوخز بالإبر الذي كان ولا يزال يقوم به الأطباء الصينيون.

كبر الرأس Hydracepholus وصغره Microcepalus في الأطفال:

يقول الرازي في الباب الثالث من رسالته في طب الأطفال: «يلد بعض الأطفال برأس كبير و بعد الولادة يكبر أكثر بشكل غير طبيعي وقد شاهدت طفلاً كبير الرأس من ناحية الطول والسعة لدرجة أن كان من الصعوبة على جسمه حمل رأسه. ولم يتوقف تضخم الرأس حتى توفي الطفل.

إن مثل هذا الانتفاخ في الرأس يحدث اما من انتفاخ ينتشر في عظام الرأس أو من تجمع ماء محصور داخل الرأس لا يجد له منفذاً للخروج» (٣٨).

بكاء الأطفال والسهر والأحلام المفزعة:

لقد كان تحليل الأطباء العرب لأسباب البكاء عند الأطفال تحليلاً شاملاً ولم يضف الطب الحديث إلى ذلك شيئاً جديداً.

يقول المجوسي عن أسباب البكاء عند الأطفال: «وقد ينبغي أن تتفقد الطفل إذا هو بكى، و يبحث عمّا يؤذيه بالحدس والتخمين ممن قد ارتاض في تربية الأطفال فإن الطفل لا يبكي إلا لشيء يؤذيه إذا كان ليس به استطاعة للشكوى، والأذى ينال الطفل إما من خارج وإما من داخل، أما من خارج فبسبب الحر والبرد أو الذباب أو البق وما أشبه ذلك، فينبغي أن يزال عنه ذلك السبب. وأما من داخل فبسبب الجوع والعطش أو احتباس البول والبراز أو بسبب وجع في الأعضاء، أما الجوع والعطش فينبغي أن يتعود بالغذاء واللبن و بإسقائه الماء، واما احتباس البول فينبغي أن يسقى لبن بزر البطيخ مع الجلاب... و ينطل على عانته الماء» (٦٩ ص ٥٤). ثم يمضي في سرد العلاجات للأسباب الأخرى.

ويختصر الطبري أسباب البكاء في كلمات قليلة ذات معنى علمي كبير حيث يقول: «إذا بكى الطفل دائماً فهو لأحد أربعة أسباب، إما لوجع في بعض أعضائه أو لاحتباس اللبن في معدته أو لشيء يؤذيه في مضجعه أو لقلّة الغذاء وجوعه» (٥١ ص ٢٣).

ويهدىء ابن الجزار من روع الأبوين إذا بكى طفلهما بقوله: «وقد ينتفع بالبكاء اليسير ولا سيما قبل شرب اللبن وهو جائع فإن ذلك مما يرد أعضاءه و يوسع صدره ودبره» (٦٧ ص ٦٥). وهذا صحيح فالكثير من الأسناخ الرئوية تنتفخ و يتسع القفص الصدري وتنشط الدورة الدموية، و يزداد التبادل الغازي في الرئتين، وذلك بفعل الشهيق والزفير العميقين و بفعل الضغط والاحتقان المرافق لعملية البكاء، والطب الحديث يؤكد ضرورة البحث عن أسباب البكاء فإن نفينا السبب المرضي فلا قلق من بكاء الطفل، وهذا أيضاً أكده ابن الجزار عندما تابع كلامه حيث قال: «فإن بكى الصبي بكاء دائماً، فينبغي أن يحمل ويمشي به و يرد في المكان برفق. وقد يشتاقون إلى البرودة إذا بلغت منهم الحرارة، وقد يشتاقون إلى الحرارة إذا بلغت منهم البرودة، وقد يضجرون من كثرة الدثار والبسط واللحف التي تلقى عليهم أو من سوء ما تحتهم من الفرش، فينظر في ذلك ما سبب ذلك منهم فيعنى بإصلاحه على حسب ما يوافقهم» (٦٧ ص ٦٥). و يقول في موضع آخر:

«ولا يمكن من البكاء الكثير فإنه إذا كثر بكاؤه عرض له ابلمبسيا، فيجب أن يسكت كما ذكرنا بدءاً وبكل شيء يعلم أنه يلهيه به ويحول بينه وبين البكاء، مثل أن يحمل حملاً رقيقاً ليناً ويحرك كذلك... ويحسن له النغم... وذلك أن الأصوات اللذيذة تلحق النفس والطبيعة الالتذاذ بها من غير تعب ومن أجل ذلك صار الأطفال إن نغم لهم أنغام حسنة يستلذونها سكنت طبائعهم وهدأت وناموا من قريب. ويقرب أيضاً إلى الصبي ما قد اعتاده من الأشياء التي تطربه أو تفرحه، ويجمع بينه وبين من نشاء من الصبيان، ويحذر سماع كل شيء له صوت وجلبة رفيعة وأن يتقي عليهم الجهم من الوجوه التي تفزع الصبيان شبه البراقع والأشياء البشعة، فإن هذا وشبهه مما يدخل على الصبي النظرة الشديدة» (٦٧ ص ٦٨-٦٩).

إن هذا الرأي يقف معه بصلابة علماء النفس والتربية اليوم، فكثيراً ما تفسر مشاكل نفسية لدى الكبار بما يتعرضون له في مرحلة الطفولة من مشاكل وشدات سجلها عقلهم الباطن وانعكست بسوء على حياتهم كلها.

ويمضي ابن الجزار في وصف العلاجات للسهر العارض للصبيان ومن جملة ذلك يقول: «إنه معلوم مفهوم أن الأمر الطبيعي في الصبيان هو كثرة النوم... وقد يعرض للصبيان الفزع في النوم» إلى أن يقول: «فإذا عرض للصبي السهر فينبغي إذا أردت علاجه أن يبتدىء فيسقى الصبي بشيء من دهن البنفسج ودهن الزعفران... ويسقى الصبي من شراب الخشخاش... وينبغي أن يعنى بغذاء الصبيان لئلاّ تصيبهم التخمة وينامو بعد الرضاع» (٦٧ ص ١٠٠-١٠١).

مرض العطاس أو (الغطاش) وورم اليافوخ:

باستعراض ما كتبه الأطباء العرب عن هذا المرض يتبين أنهم ربما يقصدون بذلك ما نطلق عليه اليوم: (التهاب السحايا أو التهاب الدماغ). على سبيل المثال يقول الرازي:

«العطاس يحدث من الدماغ أو من أغشيته. وأعراضه أن تغور العين بإفراط ويتبعه حمى» (٣٨).
ويقول البلدي عن ذلك: «فإن الذي يحدث في الدماغ نفسه أعظم وأشد خطراً وأقوى أعراضاً مما يكون منه في الحجاب المغشي للدماغ» (١٤).

رابعاً: الجهاز البولي والتناسلي

الأمراض التي تناولها الأطباء العرب في هذا الباب شملت ما يلي:

١ — الحصى المتولد في مثانات الصبيان.

٢ — ورم الخصية.

٣ — رجوع القضيب حتى يصغر بعد أن كان كبيراً.

٤ — بول الحصاة والرمل.

٥ — بول الدم.

٦ — خروج شيء يشبه المني.

٧ — البول في الفراش.

لا نرى حاجة للتحدث عمّا ذكروه في هذا الباب حيث أننا سوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل عند التحدث عن جراحة الأطفال.

خامساً: الأمراض المعدية

إن مبدأ وجود العدوى في بعض الأمراض لم يبحثه اليونان، وكان الأطباء العرب والمسلمون أول من بحثوا في ذلك، إلا أن عدم معرفتهم بعلم الجراثيم حدد معلوماتهم من ناحية الأمراض المعدية، وعلى الرغم من ذلك فإن كتابتهم عن بعض الأوبئة وإثبات العدوى وما ذكروه عن بعض الأمراض المعدية تدل على عبقرية فذة في الملاحظة والتجربة والفهم الصحيح ويمكن لأي باحث منصف تلمس ملامح تلك العبقرية من استقراء النصوص العديدة في هذا المجال (*).

ففي أقوال ابن الخطيب وابن خاتمة إثبات جلي لطبيعة مرض الطاعون المعدية، وكان ابن التلميذ أول من نبه طلابه إلى الأمراض الوافدة، وفي وصف الدميري لمرض داء الكلب تأكيد على الإصابة بهذا الداء بواسطة العدوى، واعتقد ابن سينا بأن حصول الأمراض يكون نتيجة شيء ما سماه (السبب) لعدم معرفته بالميكروبات، وتوصل بفطنته إلى أن حصول الأمراض يستوجب توفر نوع من الاستعداد البنيوي كما أنه خمن ما يحصل من صراع بين **قوة الميكروبات** (السبب كما سماه) وبين وسائل الجسم الدفاعية. وعلى الرغم من عدم كون ابن خلدون طبيباً إلا أنه أكد بأن الزحام والهرج هما سببان رئيسيان من أسباب سرعة انتقال الأمراض المعدية خصوصاً أمراض الرئة. أما ابن الأزرق في كتابه تسهيل المنافع نجده يؤكد بصراحة انتقال الأمراض بواسطة الهواء فيقول: «و ينبغي للإنسان اجتناب الأمراض المعدية بواسطة الهواء إلى مجالسة أصحابها كالجذام والجرب والرمد والسل فليحذر القرب من أصحابها وليتباعد عنهم إلى فوق الرمح» إن تحديد المسافة بين الصحيح والمريض إلى أكثر من الرمح خشية العدوى هي نفس المسافة التي نشترطها اليوم بين أسرة المرضى في المستشفيات.

أما الأمراض المعدية والسارية التي يصاب بها الأطفال والتي جاء ذكرها في كتبهم فيمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: الأمراض المعدية والتي تتسبب عن الأحياء الدقيقة (الميكروبات) أو (الرواشح: الفيروسات) وهي:

(*) للمزيد من التفصيل وللاطلاع على النصوص يراجع مقال الأمراض المعدية عند العرب والمسلمين للمؤلف — مجلة المورد العراقية المجلد ٩ العدد ٤ لسنة ١٩٨١.

١ — **الجدري والحصبة والحميقاء:** إن أهم ما يسجله التاريخ بفخر للرازي في هذا الباب هو كونه لأول مرة في تاريخ الطب وفي كتابه (رسالة في الجدري والحصبة) فرق بين المرضين ووصف كلا على حدة بصورة تفصيلية خلافاً لمن سبقه من الأطباء العرب واليونان إذ أنهم كانوا يعتبرون المرضين مرضاً واحداً، وقد جاء ذكر ذلك في ثلاثة مواضع من رسالته كما سيأتي تفصيل ذلك فيما بعد عند التحدث عن مؤلفات الرازي.

ومن إضافاتهم الأخرى في هذا الباب تأكيد ابن سينا بأن الحصبة أكثر ما تكون عدواها في الربيع والخريف.

ويعتبر البلدي أول من كانت لديه فكرة الحصانة ضد الأمراض فقد أكد على أن المصاب بالجدري أو الحصبة أو الحميقاء مرة لا يصاب بها مرة أخرى فنجده بعد ذكر علامات مرض الجدري وكيفية تفريقه عن مرض الحصبة يقول: «فأما ما يخص من ذلك فسخونة البدن كله واشتعال لونه... وحمرته... ووجع الظهر خاصة... فاعلم أن الذي يظهر بالعليل جدري وبخاصة إن كان لا تجدر سيما إن كان قد حصب وظهرت به الحميقاء».وعند التحدث عن مرض الحصبة يؤكد نفس الفكرة فبعد ذكر العلامات الفارقة بينه وبين مرض الجدري يقول: «فاعلم أنه يثور بالعليل حصبة ولاسيما إذا كان العليل لم يحصب وبخاصة إذا كان قد جدر وظهرت به الحميقاء» (١٤ ص ١٦٥).

ونجد للبلدي أيضاً وصفاً دقيقاً لمرض الحميقاء ومن استعراض وصفه لهذا المرض يظهر أنه يقصد بذلك ما نسميه اليوم بجدري الماء أو الجدري الكاذب **Chikinpox**

٢ — **شلل الأطفال:** يقول الرازي في ذلك: «يحدث الشلل في الأطفال أما في طرف واحد أو في الجسم كلّه **ويمنع** الطفل من المشي أو أي نوع من الحركة ويحدث من سبب رطوبة لطيفة تشل العصب. علاج ذلك إذا لم تكن من الولادة... أن يوضع في حمام وأن تدهن مفاصل الطفل بالدهان واستعمل يومياً المعاجين التالية...» (٣٨). ثم يمضي في ذكر المعاجين. وفي الحاوي يصف الرازي أيضاً ضعف العضلات بالاسترخاء فيقول: «إذا وقع الاسترخاء بعقب مرض فأقصد إسخان تلك **المواضع** التي هي منابت تلك الأعصاب فإن فيها أخلاطاً باردة» (٣٥ ص ٧). وفي محل آخر يقول: «فإذا كان العضو عصب حسي وعصب حركي فربما حدثت الآفة بأحدهما» (٣٥ ص ١٨). وفي قسم آخر من الكتاب نفسه يتكلم على العلاج الطبيعي كالتدليك **والتمارين** العلاجية والحمامات المائية كلاماً صائباً حيث أن ذلك معمول به الآن في علاج شلل الأطفال كما هو معلوم.

٣ — **الكــزاز:** يقول أحمد بن محمد الطبري عن هذا المرض: «يحدث في أفام الصبيان علة تعرف

بالاصطكاك... وهو أن تصطك أسنانه وتبرز عيناه، في سائر بدنه، شبيه بالاختلاج ولم أر طفلاً حديثاً به هذه العلة نجا منها... ذلك هو الكزاز ولا يكاد يحدث هذا بالطفل إلا إذا كانت به جراحة خفية أو ظاهرة» (٥١ ص ١٣). كما يقول عنه أيضاً: «علّة في الطفل كثيراً و بالكبار من الناس عندما يصيب الجراحة أطراف **العضلات** والأوتار..» إلى أن يقول: «وإذا ما استحكم **واصطكت** أسنانه سمي ذلك الوقت الكزاز الضاغط وقلما يتخلص منه الطفل..» و يذكر من أعراض الكزاز أيضاً: «العينان ناتئتان وأن ترى العليل كأنه يبحث و يعرض له سهر وعسر بول واعلم أن كل آفة يحصل في الوتر والنخاع والعضل.. وما يعرض له يعرض للدماغ...» (٥١ ص ٥).

إن هذا الوصف الصحيح لأسباب وأعراض وإنذار هذا المرض لم يضف الطب الحديث إليه شيئاً يذكر سوى مسألة الوقاية منه.

و يذكر الرازي في الحاوي بأنه: «كان صبي أصابه نخس في الجانب الأ يسر من عضده في العضل فوضع الطبيب دواء قد امتحنه في جراحات أخرى فتشنج الغلام ومات لأن جراحته لم تكن واسعة لكن كانت **نخسة**» نستنتج من ذلك بأن الرازي يعزي سبب إصابة الطفل بالكزاز إلى ضيق فم الجرح والتقيح الحادث في عمقه و يؤكد ضرورة توسيع فم الجرح وهذا ما ينصح به الأطباء اليوم في حالة مماثلة حتى اليوم. (٢٦ ص ٤١).

٤ — كان أول من وصف مرض الجذام وصفاً شاملاً ابن ماسو يه (٧٤ ص ٢٧٣). وتبعه الكثير من الأطباء العرب بتفصيل طبيعة المرض المعدي وأعراضه وعلاجه ولا يكاد يخلو كتاب من كتبهم من ذكره.

٥ — **السـل**: مرض السل عندهم عبارة عن حدوث قرحة في الرئة يصعب برؤها و يفرقون بين الخراج وبين القروح و يصف ابن سينا هيئة المستعدين للسل وصفاً جيداً حيث يقول: «هؤلاء هم المجنحون الضيقو الصدر العر يو الأكتاف من اللحم الطو يلو الأعناق المائلوها إلى قدام. والسن الذي يكثر فيه السل ما بين ثمان عشرة سنة إلى حدود ثلا ثين سنة كما وهي في البلاد الباردة أكثر.. وقد يعرض للمسلول أن يمتد به السل مهلاً إياه برهة من الزمان، وأصحاب قروح الرئة يتضررون بالخر يف».ثم يميز بين السل وغيره و يذكر علامات السل بقوله: «السعال، الذي كثيراً ما يستبد بهم و يؤدي إلى نفث الدم أو السدة، وحمى رقيقة لازمة تشتد عند الليل. و يفيض العرق منهم كل وقت، و يأخذ البدن في الذبول والأطراف في الانحناء والشعر في الانتشار وتبطل الشهوة للطعام».ومن ملاحظاته هنا أيضاً قوله: «أقبل الأسنان لعلاج السل هم الصبيان» (٥ ج ٢ ص٢٤٩). كما و يقال بأنه اكتشف طبيعة السل المعدية لأول مرة. وكان الرازي أول من لاحظ تقوس الأظافر Clubbing في حالة الإصابة بالسل حيث يقول:

«فإذا وقع في السل كمدت الوجنتان وذبل اللحم وتعقفت الأظافر»(٣٥ ج ٤ ص ٩٦).

٦ — **الطاعون**: يقول ماكس مايرهوف، وصف المؤرخ والطبيب ابن الخطيب الغرناطي (١٣١٣-١٣٧٤م) عدوى الطاعون سنة ٧٤٩هـ في رسالته الشهيرة (مقنعة المسائل في المرض الهائل) نذكر منها هذه الفقرة: «وقد ثبت وجود العدوى بالتجربة والاستقراء والحس والمشاهدة والأخبار المتواترة وهذه مواد البرهان... ووقوع المرض في الدار أو المحلة فالثوب أو الآنية حتى القرط أتلف من علق بأذنه وأباد البيت بأسره ووقوعه وفي المدينة في الدار الواحدة ثم اشتعاله منها في أفراد المباشرين، ثم في جيرانهم وأقاربهم وزوارهم خاصة حتى يتسع الخرق» وأكد ابن خاتمة نفس الكلام.

٧ — **داء الكلب**: وصف الدميري في كتابه: (حياة الحيوان) هذا المرض وصفاً دقيقاً سبق به باستور الذي يعتبر أول من اكتشفه ووصف اللقاح للتحصين منه.

٨ — **الرمـــد**: لقد كان عبد الله بن قاسم الحريري من أوائل الأطباء العرب الذين أكدوا طبيعة هذا المرض المعدية حيث قال في كتابه «نهاية الأفكار» (ص ٩٧-٩٨): «ومن أمراض العين ما يعدي ويتوارث ومنها ما يعدي ولا يتوارث... الأول كالسبل والثاني كالرمد ولا سيما إلى عين من ينظر إليه» وأكد ابن الأزرق ذلك في كتابه تسهيل المنافع.

٩ — **الأمراض التناسلية**: لم أجد ذكراً للأمراض التناسلية في كتب الطب العربية سوى ما جاء في تذكرة داوود الأنطاكي في مادة الزئبق حيث يقول عنه بأنه يفيد في علاج الحب المعروف بالافرنجي (٨ ص ١٦٩) مما يدل على أن هذه الأمراض لم تكن معروفة أو منتشرة لديهم وربما انتقلت إلى البلاد العربية بعد الحروب الصليبية.

ثانياً: الأمراض المعدية التي تتسبب عن الطفيليات وهي:

١ — **الجمرة الخبيثة**: كان ابن سينا أول من أشار إلى هذا المرض ووصفه في القانون بقوله: «فصل في الجمرة والنار الفارسية هذان اسمان ربما أطلقا على كل بثرة اكال منفط محرق محدث خشكريشة... وربما أطلق اسم الفارسية من ذلك على ما كان هناك من جنس النملة اكال محرق منفط فيه سعي ورطوبة... قليل السواد قليل التعقير... وأطلق اسم الجمرة على ما يسود المكان ويفحم العضو من غير رطوبة ويكون كثير السوداوية غائصاً..» (٥ ج ٣ ص ١١٨).

٢ — **مرض النوم**: إن أحمد بن محمد القلقشندي (٧٥٦-٨٢١هـ) كان أول من أشار إلى مرض النوم عندما تحدث عن أحد ملوك مالي في كتابه صبح الأعشى.

٣ — **الجـــرب**: هناك من يقول بأن ابن زهر كان أول من أشار إلى الحشرة المسببة لمرض الجرب في كتابة التيسير، إلا أن البعض يقول بأن أحمد الطبري كان الأول حيث جاء في كتابه المعالجات

البقراطية ما نصه: «اعلم أن الجرب أنواع كثيرة منها رطب يسيل منه مدة وصديد وأكثر حدوده الرأس، شديد الوجع شبيه بالسعفة وربما يتولد منها حيوان مثل الصبيان وهي مختلفة الصور» (٥١ ص ٥).

ولو دققنا النظر في قول الطبري على حد قول البعض الآخر لوجدنا أنه إنما يشير إلى بيوض القمل (الصئبان) وليس حشرة الجرب إذ من الصعوبة جداً رؤية حشرة الجرب بالعين المجردة.

٤ ـ **حبة بغداد:** وتسمى أيضاً «حبة بلخ: أو البلخية»: إن أقدم من وصف هذا المرض وأعطى أعراضها بصورة دقيقة وواضحة كان أبو منصور بن نوح القمري البخاري (أحد أساتذة ابن سينا توفي سنة ٩٩١م). وممن أشار إلى حبة بغداد ابن سينا وقد ذكرها باسم قرحة أو حبة بلخ. وأيضاً ممن أشار إلى هذا المرض أبو الفضائل اسماعيل بن الحسن الجرجاني (والذي يسمى غالباً سيد اسماعيل والمتوفي سنة ١١٣٧م/ ٥٣١هـ)، حيث ذكر أن حبة بلخ ـ أي حبة بغداد ـ كانت ولا تزال متوطنة في بلخ وأنها كانت موجودة في خانات دهستان، حيث يطلق السكان في قصبة بلخ اسم عضة البعوض (بيش غاز بيداجي) على الحبة. إنه من المناسب هنا أن ننبه إلى أن الناس في البدء ربطوا بين المرض وبين عضة البعوض (علماً بأن ناقل هذا المرض حشرة تشبه البعوض وليس البعوض) وقد يكون ذلك من أقدم الإشارات إلى حدوث أو انتقال مرض مستديم بعد عضة البعوض أو بكلمة أخرى حشرة ما (٩ ص ٣٦٩).

ثالثاً: الديدان

إن تعرض الأطباء العرب والمسلمين لموضوع الديدان اعتمد أساساً على شكل الديدان البالغة كما تبدو للعين المجردة، وما كان لهم أن يذهبوا إلى أبعد من ذلك حيث أنهم لم تكن لديهم المجاهر التي تكشف عن دقائق تركيب هذه الديدان وأطوار نموها كالبويضات واليرقات. وللسبب نفسه لم يوفقوا في فهم مصدر هذه الديدان وقالوا إنها تتولد في الأمعاء من البلغم إذا كثر العفن مستندين بذلك على نظرية الأخلاط الأربعة. (٢٥ ص ٧١-٧٣).

ولكن عدم معرفتهم بطبيعة الديدان ودورات حياتها لم تمنعهم من وصف أعراضها وصفاً دقيقاً فقالوا إنها كثيراً ما تتولّد في الأطفال والصبيان وهي تهيج عند المساء ووقت النوم أكثر، ومن أعراضها الجوع والخفقان الشديد والغثيان والمغص والإسهال وانتفاخ البطن، وإذا اشتدت العلة والوجع سقطوا أو تشنجوا والتووا كأنهم مصروعون دون فقد عقولهم وربما تأذت الرئة والقلب بمجاورتها فحدث سعال يابس وخفقان في البطن، ويعرض لبعضهم يرقان. ومن علاماتها سيلان اللعاب، أما الصغار فيدل عليها حكة المقعدة ولزوم الدغدغة عندها ويعرض صراخ وتململ.

والمبدأ العام في علاج الديدان: «أن يمنعوا من المادة المولدة لها من المأكولات الرطبة اللزجة مثل الفواكه والبقول والألبان واللحم الخام. وأن تنقى البلاغم التي في الأمعاء التي منها تتولد، وأن تقتل بأدوية هي سموم بالقياس إليها... ثم تسهل بعد القتل إن لم تدفعها الطبيعة بنفسها ولا يجب أن يطول مقامها في البطن بعد الموت، ثم يصفون عشرات الأدوية كالشيح والترمس وبذر الكرفس والثوم وقشر الرمان وورق الخوخ. وأما حب القرع فإنها تحتاج إلى أقوى من الأفسنتين كالسرخس أما المحمولات فهي أولى بأن تخرج من أن تقتل، إلا ما كان في المستقيم من صغار الديدان فهذه قد يقتلها احتمال الملح والاحتقان به، وأقوى من ذلك احتمال النفط الأبيض أو القطران. والتعب والرياضة الشديدة قد تسهل خروج الديدان. أما أهم الديدان التي جاء ذكرها في كتبهم فيمكن تقسيمها إلى نوعين:

أ ـ الديدان المعوية وهي:

١ ـ **الديدان الطوال العظام (الحيات):** وهي تشمل الديدان من صنف الأبكار.

٢ ـ **الديدان الصغار (دود الخل):** وهي تشمل الأكزيورس.

٣ ـ **العراض (حب القرع):** الديدان الشريطية: يقول البلدي عنها بأنها إن خرجت كلها تخلص المريض منها وإن انقطعت تولدت ثانية، وهذا قول صحيح لا شك (١٤ـ المقدمة).

٤ ـ **الديدان المستديرة:** ذكرها ابن سينا ويقال بأنها دودة الأنكليستوما، وقد أكد ذلك الدكتور محمد عبد الخالق عام ١٩٢١م وقد أقرت مؤسسة روكفلر الأمريكية ذلك فسجلت أن ابن سينا عرف مصدر هذا المرض قبل أن يعرفه الطبيب الايطالي (دوبيني) الذي ينسب إليه الكشف عن هذا المرض.

ب ـ داء الخيطيات (داء الفيلاريا Filaviasis) مما ذكروه من أنواعها:

١ ـ **داء الفيل:** **Filaria Bancrofli** يقول ابن سينا عن هذا الداء: «هو زيادة في القدم وسائر الرجل على نحو ما يعرض في عروض الدوالي فيغلظ القدم». وعن علاجه يقول: «أما داء الفيل فخبيث قلما يبرأ ويجب أن يترك بحاله إن لم يؤذ فإن أدى إلى تقرح وخيفت الأكلة لم يكن إلا القطع من الأصل» (٥ ج ٢ ص ١١٦).

٢ ـ **العرق المدني: (دودة المدينة) Medina Worm .Ginea Worm ـ Dracanculo ـ Medinensis**

لا يكاد كتاب من الكتب الطبية العربية يخلو من ذكر العرق المدني، إلا أننا لا نظن أحداً وصف هذه العلّة حتى عصرنا هذا بأكثر مما قاله الرازي عنها وقوله فيها صواب كله. والمعروف أنها سميت كذلك نسبة إلى المدينة المنورة (يثرب) أو على الأقل نسبة إلى الجزيرة العربية (٢٦ ص ٣٩٧ـ ٣٧٩). يقول الرازي: «العرق المدني قد يكون في البلاد الحارة بسبب شرب المياه الرديئة.

و يقول: «ويحدث في البلاد اللطيفة الهواء والحارة وفي الأ بدان الرطبة المترفة إذا انتقلت إليها» (٢٥ ص ٢٩٣- ٢٩٤) و يتولد في الهند ومصر و يعرض في الأعضاء العضلية مثل المعصمين والساقين والفخذين، وأما في الصبيان فقد يعرض في الجنين، وكونها تحت الجلد ويخرج منه طرف العرق فإن مد عرضت عنه أوجاع شديدة وخاصة إن انقطع» (٣٥ ج ١١ ص ١٩١).

أما عن طر يقة التخلص من هذه الدودة فنذكر قول الزهراوي حيث تكلم هو الآخر كلاماً يستوجب الإعجاب، يقول في سل العرق المدني: «هذا العرق يتولد في الساقين في البلاد الحارة كالحجاز و بلدان العرب وفي الأبدان الحارة القضيفة القليلة الخصب وربما تولد في مواضع أخرى من البدن غير الساقين... وعلامته ابتداء حدوث هذا العرق إن يحدث في الساق تلهب ثم تنفط الموضع ثم يبتدىء العرق يخرج من موضع ذلك التنفط كأنه أصل نبات أو حيوان» و بعد ذلك يقول: «فإذا ظهر منه طرفه فينبغي أن يلف على قطعة صغيرة من رصاص تكون زنتها من درهم إلى درهمين وتعقده وتترك الرصاص معلقاً في الساق، فكلما خرج منه شيء إلى خارج لففته في الرصاص وعقدته فإن طال كثيراً فأقطع بعضه ولف الباقي ولا تقطعه من أصله قبل أن يخرج كله لأنك إن قطعته تقلص ودخل في اللحم فأحدث ورماً وعفناً في الموضع وقرحة رديئة فلذلك ينبغي أن يداري ويجر قليلاً قليلاً حتى يخرج عن آخره ولا يبقى منه شيء في البدن، وقد يخرج من هذا العرق في بعض الناس ما يكون طوله خمسة أشبار وعشرة... فإن انقطع لك في حين علاجك له فادخل مروداً في الثقب و بطه طو يلاً مع البدن حتى يفرغ كل ما فيه من مادة وحاول تعفين الموضع بالأدو ية أياماً ثم عالجه بعلاج الأورام، وقد يكون هذا العرق ذا شعب كثيرة ولاسيما إذا ظهر في مفصل الرجل أو الرجل نفسه فيحدث له أفواه كثيرة ويخرج من كل فم شعبة فعالجه كما ذكرنا في التقسيم وبما تقدم» (٤١ ص ٢٩٤). إن طر يقة العلاج هذه هي الطر يقة المستعملة للتخلص من الدودة حتى اليوم.

٢ ـ الدود المتولد تحت الجلد Loiasis (*):

خصص الزهراوي لهذه الدودة فصلاً خاصاً تحت اسم «الشق على الدود المتولد تحت الجلد و يسمى علّة البقر) فقال: «هذا المرض يسمى في بعض البلدان عندنا علّة البقر من أجل أنه كثيراً ما يعرض للبقر، وهي دودة صغيرة واحدة تتولد بين الجلد واللحم وتشب في الجسم كله صاعدة وهابطة تتبين للمس عند دبيبها من عضو إلى عضو حتى تخرق حيث ما خرقت في الجلد موضعاً وتخرج وتكونها

(*) اعتقد أنهم يعنون بهذا المرض الذي يتسبب عن دودة (Loa — Loa).

من عفونة بعض الأخلاط» إلى أن يقول: «وإنما يتوقع من أذيتها أنها إذا دبت في الجسم وارتفعت إلى الرأس و بلغت العين فربما فتحت فيها وخرجت فأبطلت العين و يعرض ذلك كثيراً فإذا أردت علاجها وإخراجها فإنما يكون ذلك عند دبيبها وظهورها للمس فينبغي أن تشد ما فوقها وتحتها بر باط شداً جيداً ثم تشق عليها وأخرجها، فإن غاصت في اللحم ولم تجدها فاحمل على الموضع الكي بالنار حتى تحرقها» (٤١ ص ٦٠٥).

سادساً: الأمراض الجلدية في الأطفال

لقد تكلم أغلب الأطباء العرب عن الأمراض الجلدية في الأطفال بشيء من الإيجاز فما كتبه الرازي في رسالته عن أمراض الأطفال لم يتعد التحدث عن:

١ — السعفة.

٢ — الجرب.

٣ — الحكة والنفاط.

يقول الرازي في السعفة في الأطفال:

«تظهر السعفة في الأطفال في الوجه والرأس، تتولد نتيجة الدم والرطوبة في الجلد، علامته إصابة صغيرة ينضح منها ماء، تنتشر في الوجه والرأس و يصحب ذلك حكة وصراخ وسهر مما يدفع إلى تمزيق جلده». ومن جملة العلاجات التي يصفها لهذا المرض مرهم الرصاص يقول: «خذ مرهم الرصاص الأ بيض، أوكسيد الرصاص من كل واحد ٥ دراهم، من ماء رماد الكرم ٣ دراهم، دهن الورد فنجان (اونس واحد)، شمع ١/ ٢ فنجان. يذاب الشمع مع دهن الورد ثم يدق و يسحق مع العلاج ويخلط مع بيضتين مطبوختين و يدهن به رأس الطفل» (٣٨).

ومع علمنا بأن مرهم الرصاص قد يؤدي إلى التسمم بالرصاص أحياناً فإن المؤرخين لتار يخ العلاجات يذكرون بأنه كان أول من استعمل مرهم الرصاص في الأمراض الجلدية، كالسعفة والبرص والذي استمر حتى اليوم، وكان هذا المرهم يسمى باسمه في القرون الوسطى (٣١ ص ١٨٨).

كما وأن الرازي هو أول من أدخل الزئبق أيضاً في المراهم (٣٣ ص ١٩٢). بعد قيامه بتجر بة تأثيره على القردة.

يقول الرازي في الجرب في الأطفال:

«إن الجرب نوع من البثور في هذه الحالة يظهر في الإصابة نوع من القشور و يكون الجلد مخدشاً نتيجة للحكة الشديدة ومن هذه التقرحات ينضح نوع من الإفرازات التي تشبه العسل»(٣٨). و يصف لمعالجة ذلك مرهم الرصاص أيضاً.

و يقول في الحكة والنفاط في الأطفال :

«تحدث في الأطفال في منطقة الورك من حدادة البول وأحياناً إصابات مختلفة تحدث على جسم الطفل نتيجة فساد الحليب نفسه، قسم من هذه البثور بيضاء، بعضها أحمر، بعضها أسود، بعضها مؤلمة جداً، بعضها غير مؤلمة إطلاقاً. إذا كان النوع الأسود مصحوباً بارتفاع الحرارة فإن ذلك ينذر بالموت» (٣٨).

ولمعالجة ذلك يصف استحمام الطفل ببعض المحاليل والأدو ية و يؤكد عدم استعمال المراهم.

وللرازي رأي واضح حول كيفية حدوث جميع أنواع الطفح في الأطفال وكذلك، الحصبة والجدري، الأكزيما، التهاب الجلد حيث يعزى ذلك إلى حدوث التخمّر في الدم والذي ينتج بدوره مواد غر يبة تقذف للخارج من خلال مسام الجلد في شكل طفح، انه اشتق نظريته هذهمن ملاحظته لكيفية تخمر الخمر، إن هذه النظر ية تطورت فيما بعد وأصبحت أساساً للفكرة الحديثة عن الخمائر والأنزيمات. (٣٨).

وقسم ابن سينا بثور البدن في الأطفال إلى :

١ — قرحي أسود (قتال).

٢ — الأبيض (أسلم منه).

٣ — الأحمر (أسلم منه).

أما أحمد بن محمد الطبري فقد كان أكثر إحاطة من كل من كتب في الأمراض الجلدية في الأطفال مع قليل من الارتباك حيث ذكرها بشيء من التفصيل والإيضاح فهي حسب تقسيمه :

(١) الجرب (الحرقة : التر بنك). وأنواع الجرب حسب رأيه :

١ — الحرقة.

٢ — النار الفارسية (هي عبارة عن النملة).

٣ — السعفة الرطبة وقسمها إلى :

أ — الشهدية.

ب — السعفة.

(٢) العجز.

(٣) رؤوس الإبر.

(٤) القوبي.

(٥) تعفن أفخاذ الطفل.

(٦) البرص.

جاء في الباب الأول من المعالجات البقراطية للطبري:

«في الجرب المعروف بالحرقة و يسميه العامة التربك، وهي ثلاثة أعلال يشبه بعضها بعضاً لاسيما إذا التزقت فأحدها الحرقة والثانية السعفة ـ الرطبة، والثالثة النار الفارسي- وهي عبارة عن النملة. والسعفة تنقسم إلى قسمين، الشهدية والثانية السعفة والفرق بينهما أن السعفة تلتزق وتصير قطعاً إذا كانت رطبة والشهدية يكون شكلها شكل كور الزنابير، والحرقة شيء يظهر فيسمر الجلد، ونأخذ في الحرقة السعفة الشديدة وتنتشر في البقعة بثور حمر وترق جلدة البثور حتى يخيل للناظر إليه أنها مدة رقيقة ثم لا يكون فيها مدة بل يسكن و يزول الحمرة من غير أن يسيل منها مدة. والنملة هي بثور صفراء كأنها حب الماورس مؤذية مؤلمة فإذا التزقت شابهت السعفة» (٥١ ص ٤-٥).

وجاء في الحاشية من نفس الصفحة: «اعلم أن الجرب أنواع كثيرة منها رطب يسيل منه مدة وصديد وأكثر حدوده للرأس شديد الوجع شبيه بالسعفة وربما يتولد منها حيوان مثل الصبيان وهي مختلفة الصور». لقد ذكرنا تعليقنا على هذه الفقرة سابقاً ولا نرى حاجة لتكرار ذلك.

ثم يمضي في ذكر بقية الأمراض الجلدية فيقول:

«في العلّة التي تعرف برؤوس الإبر وتحدث في رؤوس الأطفال حتى تعرف برؤوس الإبر وذلك إذا كان في الرجال يسمى الحصف و يولد ذلك في الطفل من حمى تلحق الرأس من المخدة».

«في العلّة التي تعرف بالعجز وهي شبيهة بالدماميل يخرج ولا ينضج...» (٥١ ص ٦).

وعن الأمراض الجلدية حول ذكر الطفل يقول الطبري:

«في القوبى التي تحدث للأطفال سيما على أفخاذهم ومذاكيرهم وسبب ذلك فساد الرطوبة أو غلظ لبن المرضعة، ومداواته بإصلاح لبن المرضعة وترقيق دمها بالأغذية اللطيفة ثم طلي الخل الذي أضيف فيه الحرمل على ذلك القوبا فإنه يزول» ثم يقول:

«في تعفن أصول أفخاذهم حتى ربما يعفن... وأكثر ما يحدث ذلك من كثرة ترطبه بالبول وتغافل المرضعة عنه، وتقميطه وهو رطب، معالجته بأن... يمسح كلما يرطب وتذر عليه ورق الآس المسحوق والمنخول مع الورد المسحوق فإنه... بذلك لم يحدث فيه التعفن» (٥١ ص ٥٢).

«في البرص الذي يظهر في وقت الرضاع قد يحدث بالطفل برص في وقت الرضاع ولا يكون مولوداً معه فينظر إلى الأبوين والجدين فإن لم يكن بهم ذلك ولا شيء منه، طمع في برئه وأصلح لبن المرضعة، وأحميت المرضعة من الأطعمة الغليظة... فإنه ربما هلك، وأما إذا كبر الطفل فلا طمع في برئه وقد حدث به في حال الطفولة» (٥١ ص ٥٢ ــ ٥٣).

سابعاً : أمراض الفم والأنف والأذن والحنجرة في الأطفال

كتب الأطباء العرب عن الأمراض التي تصيب فم الطفل وأنفه وأذنه وحنجرته بشيء من التفصيل، نذكرها باختصار:

(١) أمراض الفم: وتشتمل على :

١ — لذع اللثة.

٢ — القروح العارضة في أفواه الصبيان وهي على أنواع :

أ — القلاع.

ب — السلاق.

ج — القروح .

د — الحر.

هـ — البثر.

٣ — أورام تعرض لهم في اللثة عند نبات الأسنان.

٤ — على اللسان وجفاف اللسان.

(٢) أمراض الأنف:

١ — حكاك المنخرين.

٢ — انتفاخ الأنف.

٣ — سدة الأنف.

٤ — الزوائد اللحمية في الأنف.

(٣) أمراض الأذن:

١ — حكاك الأذن.

٢ — سيلان الرطوبة من الأذن.

٣ — خروج الصديد من الأذن.

٤ — وجع الأذن.

(٤) أمراض الحنجرة والبلعوم:

١ — ورم الحلق.

٢ — الخوانيق.

٣ — التهاب اللوزتين.

٤ — أورام تعرض لهم عند أوتار في ناحية اللحيين وتشنج فيها.

٥ — الضفادع (ما نسميه تورم العقد اللمفية).

و بعد تعدادها نذكر فيما يلي أهم وأبرز ملاحظاتهم في هذا الباب:

يقول الرازي عن تقرحات الفم عند الأطفال:

«تحدث التقرحات في فم الطفل في الجزء الأول من أدوار حياته من رداءة الحليب أو غلظه. إن هذه التقرحات اما تزداد بصورة مادة مطردة أو تبقى كما هي، علامة النوع الحاد هو احمرار مع ألم شديد وجر يان اللعاب، وعلامة النوع البسيط هو أن التقرحات تنقلب إلى لون أبيض، وقليلة الألم وإن السوائل التي تجري داخل الفم تكون كثيرة» (٣).

و يقول ابن الجزار في ذلك: «وقد يعرض للصبيان في الدرجة الأولى من أسنانهم قرح في الفم يسمى القلاع، وإنما يعرض لهم لأن اللبن يخرج و يلدغ اللسان، لأن فيه رطوبة نابية حارة ليست باليسيرة واللثات من الطفل لا تحتمل ملاقاة اللبن لها فيحدث فيها قرح لغاية ما بينا» (٦٧ ص ١٠٨). ثم يمضي بوصف العلاجات الموضعية لالتهاب الفم بعضها من ابتكاره. وعن سيلان الرطوبة من الأذن يقول الرازي:

«تحدث هذه العلّة في الأدوار الأولى من الحياة من رطوبات الدماغ، وعلاج ذلك يكون بوضع فتيلة من السلك القديم في أذن هؤلاء الأطفال وعندما تتشرب ارمها وأبدلها بأخرى، لحسن الحظ ربما تشفى نهائياً بذلك، وإذا لم تشف خذ الشب وذوبه في الخمر وشبع به الفتيلة وادخلها في الأذن فإنها تشفى» (٣٨).

أما عن جر يان السم من الأذن فيقول الرازي:

«يحدث ذلك للأطفال من جراحة أو قرحة في الأذن لذلك يكتفى بتقطير عسل مغلي مع الماء وذلك لأنه ينظف السم» (٣٨).

ولمعالجة أمراض الأذن استعملوا أيضاً القطرات المستحضرة من النباتات مثل ز يوت الأزهار والورد (من البنفسج) ودهن اللوز وز يوت أخرى مثل ز يت البط. أو محاليل تحتوي على المواد الكيميائية مثل الخل، الشب، الزنجار، كما استعملوا حليب المرأة والعسل والبول.

لقد أثبت الطب الحديث أن اليوريا من العناصر المهمة في البول مفيدة في قطرات الأذن لالتهابات الأذن المزمنة، واتفقوا في جميع المراجع الطبية على أن يكون كل ما يقطر في الأذن حار فاتر وكل ما يغسل به الأذن لا بارد ولا حار» (٥٩).

و يعلل البلدي أسباب **الرعاف** المتكرر والنز يف في أي مكان في الجسم تعليلاً علمياً قر يباً لما نذكره اليوم فيقول، إنه أما لكثرة الدم، أو فساد في كيفيته. كما وأن طر يقته بوضع الفتائل في أنف الطفل و وضع الكمادات الباردة على الجبهة بين العينين لمعالجة الرعاف لا تزال مستعملة حتى اليوم.

أما عن التهاب اللوزتين فيقول عريب:

«لأن الصبيان إذا نطقوا وقوي كلامهم وكثرت حركة ألسنتهم بالنطق سخنت اللوزتان في أصل اللسان و يصفيان الرطوبة من فضل الدم...» (٦٥ ص ٧٥). وفي الجملة الأخيرة لا شك نجد إشارة من عريب إلى وظيفة اللوزتين، وهي ملاحظة مهمة يقره عليها العلم الحديث.

ثامناً: أمراض العين

إن أمراض العين التي ذكرها الأطباء العرب بالنسبة للأطفال كانت:

١ — سلاق في الجفن.

٢ — الحول.

٣ — الرمد.

٤ — انتفاخ العين.

٥ — بياض في الحدقية.

٦ — الرماد في العين.

٧ — تناثر الأشفار.

٨ — الغموض.

٩ — في انطباق الأجفان.

١٠ — في الدمعة وعلاجها.

١١ — الجرب.

١٢ — السبل.

١٣ — البثور.

قبل الخوض في تفصيل النقاط البارزة هنا لا بد من ذكر تقسيم عبد الله بن القاسم الاشبيلي لأمراض العين لأهميته العلمية حيث يقول:

« ومن أمراض العين:

١ — ما يعدي و يتوارث.

٢ — ومنها ما يعدي ولا يتوارث.

٣ — ومنها ما يتوارث ولا يعدي.

٤ — ومن أمراض العين ما لا يعدي ولا يتوارث.

الأول كالسبل. والثاني كالرمد ولا سيما إلى عين من ينظر إليه. والثالث كالشعر الزائد.. والرابع

أكثر الأمراض كالبياض والبثور وغير ذلك» (١٦ ص ٩٥ ج ١).

يقول محققا كتاب الأشبيلي «السبل: هو انحدار أوعية دقيقة من الملتحمة الكروية فوق القرنية. وهو اختلاط من اختلاطات الرمد الحبيبي كما هو معروف الآن. وقد عدوه مرضاً مستقلاً. أما عدواه فهي حقيقة. إذ أن الجرب أي الرمد الحبيبي يعدي و يؤدي إلى إحداث السبل ولذلك اعتبروا السبل مرضاً معدياً.

أما الثاني فهو الرمد وهو التهاب الملتحمة الحاد فإنه حقاً يعدي ولا يتوارث كما ذكروه.

أما النوع الثالث من أمراض العين فهو الشعر الزائد لا يتوارث كما ذكروا وإنما هو اختلاط من اختلاطات الرمد الحبيبي في دوره المتأخر.

وأما ما يتعلق بالنوع الرابع فقد جاء صحيحاً فأمراضه لا تعدي ولا تورث كالبياض والبثور» (١٦ ص ٩٦ ج ١).

في التهاب وتورم الأجفان يقول الرازي:

«تحدث أمراض مختلفة في أعين الأطفال من بينها انسداد الأجفان الورمي، يحدث ذلك بالصدفة من تأثير المواد التي تضعها الأم على رأس الطفل مثل الحناء وما شابه ذلك لأن قسماً من الفضلة تسيل إلى الأسفل من الرأس إلى العين. أو بالصدفة أيضاً نتيجة جريان القيح الساخن أو البارد إلى العين» (٣٨).

و يقول عريب في الحول:

«وقد يعرض لبعض الصبيان حول لزوال الحدقة اما في بطون أمهاتهم واما بعد ولادتهم. ويحتاج ذلك من العلاج أن يسوي موضع الصبي في المهد ويجعل بإزائه في الليل سراج مضيء فإن كان الحول مما يلي الجانب الأيمن يحول السراج إلى الجانب الأيسر وإن كان الحول في الجانب الأيسر وضع السراج في الجانب الأيمن. وتؤخذ خرقة حمراء فتربط في أذن الصبي إذا زاغت الحدقة عن جانبها إلى الجانب الثاني، يقع نظر الصبي عليها» (٦٥). و يؤكد الرازي وابن الجزار نفس المعنى، إلا أن خير من كتب عن ذلك كان عبد الله بن القاسم الحريري الأشبيلي حيث قال:

«وقد يكون ــ الحول ــ عن يبوسة كما يعرض في الأمراض الحادة، وقد يكون من تشنج بعض العضل فتميل إلى المقلة... وكثيراً ما يحدث الحول بعد عطل دماغية مثل الصرع والسدد وقرانيطس ونحو ذلك» وعن مداواته يقول:

«أما ما كان منه في الأطفال فكما قلنا للين أعصابهم ولكثرة رطوباتهم الغريزية. فيتواتر النظر إلى خلاف الجهة وحصره وتسوية المهد ووضع السراج لينظر إليها. وكذلك قد يربط خيط ابريسم أحمر لشيء يقابل ناحية الحول. أو يلصق بشيء أحمر عند الصدغ المقابل للحول أو الأذن» (١٦ ص ١٠١

ج٢). ثم يمضي بوصف العلاجات للأنواع الأخرى إلى أن يقول: «والحول قد ينجع فيه العلاج نادراً وقد لا ينجع» (١٦ ص ١٠٢ ج ٢).

إن الطب الحديث يؤكد بأن المداخلة الجراحية هي العلاج الوحيد للحول إلا أنه في معالجة حول الأطفال يمكن الاستفادة من النظارات أو غلق العين السليمة واستعمال العين الحولاء وما إلى ذلك.

يقول الحريري أيضاً في الدمعة وعلاجها:

«الدمعة رطوبة مائية ترطب العين وربما سالت. ومنها ما يكون مع الولادة ومنها ما يكون بالعرض وقد تكون لازمة في حال الصحة وقد تكون تابعة لمرض» (١٦ ص ٥ ج ٢). وقوله صحيح في أغلبه حيث أن الدمعة عرض من أعراض كثير من الأمراض التي تصيب العين ولكن قد يكون المرض في الغدة الدمعية أو الغدد الأخرى المنبثة في حافة الجفن. أو أن يكون هناك ضيق القناة الدمعية يحول دون نزول الدمع إلى الأنف كالعادة، و يكون هذا الضيق إما ولادياً أو مكتسباً.

تاسعاً: الأمراض الوراثية والتشوهات الخلقية

يروي لنا عريب في وصف بعض الحالات النادرة من تشوّهات الولادة فيقول: «فمن بعض ذلك توأمان ولدا ملتصقا بطونهما ووجوههما بعضهما إلى بعض، وصبي ولد برأسين». وروى له أيضا «بناحية اليمن بموضع يعرف بدهلك جاريتين مملوكتين لشخص كل واحدة منهما تامة الصورة برأس وسمع و بعينين و يدين و بطن وفرج ثم ترجعان في أسفلهما إلى رجلين اثنتين كأنهما شخص واحد» (٦٥ ص ٣٤).

و يعلل أسباب التشوهات الخلقية تعليلاً لا يقرّه العلم الحديث في بعضها و يؤ يده في أغلبها فيقول: «وربما عرض للجنين الشهر الثامن بسبب الأورام الذي يعرض له فيها آفات تلزمه بعد الولادة وتبقى عليه ولا تنحل فيولد أعرج أو اعمى أو ذا عاهة وذلك بأن تدفع الطبيعة مادة فضل الغذاء إلى أضعف أعضاء الجنين فيألم ذلك العضو و يتغير عن شكله وحاله». «وربما كانت العاهات الحادثة في الأجنة من قبل اعوجاج الأرحام وفساد شكلها».

«وقد تعرض الز يادة والنقصان في الأعضاء من كثرة مادة المني وقلتها فيكون الجنين بست أصابع وربما كان من قلتها فيكون بأربع أصابع في اليدين أو في الرجلين أو فيهما معاً» (٦٧ ص ٣٨).

وهذه إشارة إلى علاقة الحيامن المنو ية الحاملة للكروموسومات بالتشوهات الخلقية الوراثية.

ولعلي بن ر بن الطبري قول له علاقة بهذا الموضوع حيث يقول: «فالرأس الفاضل ما كان فلكياً معتدل الدماغ، فأما ما صغر جداً فإنه يدل على قلّة الدماغ وفساد الذهن وما عظم جداً دل على البله والخبل وما اعتدل منه وشاكل البدن دلّ على الذكاء والتوقد، وكذلك إفراط طول البدن أو قصره أو

إفراط عظم العين وجحوظها أو إفراط صغرها أو غورها دليل على فساد الاعتدال والذهن» (٥٢ ص ٤٥).

وقول أحمد بن محمد الطبري: «وربما أصاب الطفل... الاسترخاء، فينظر فإن كان ذلك وراثة مثل أن يكون بأبيه وأمه استرخاء فلا حيلة فيه» (٥١ ص ١٤). نجد هنا إشارة صريحة للشلل الناتج عن الوراثة.

وأجاد ابن سينا في أرجوزته — كما سيأتي ذكر النصوص عند التحدث عن الأرجوزة فيما بعد— حينما ذكر أن من أسباب التشوهات الخلقية في الطفل:

١ — التغيرات في غذاء الحامل.

٢ — التغيرات المرضية في تركيب الرحم.

٣ — التغيرات في المني.

٤ — إصابات الولادة غير الطبيعية.

عاشراً: جراحة الأطفال

جراحة الأطفال عند العرب والمسلمين أحد المواضيع التراثية الهامة المتعلقة بالطفولة، والتي على ما أعتقد لم تبحث بشكل مستقل واف حتى الآن. نحن حاولنا هنا جمع شتات ما جاء بالكتب الطبية العربية في هذا الباب بغية سد هذا النقص قدر المستطاع، ولا ندعي أننا أحطنا بالموضوع من كل جوانبه لقلة مصادر البحث أولاً ولأن الكمال في مثل هذه المواضيع صعب المنال.

مما لا شك فيه أن هناك أمراضاً وعمليات جراحية يشترك فيها الكبار والصغار على حد سواء، ذكرها الأطباء العرب بصورة عامة دون تخصيص تماماً كما يفعل أطباء اليوم ومن بين ذلك: «الخراجات، والجراحات، وإخراج الأجسام الغريبة من الأنف والأذن، إخراج العقد التي تعرض في الشفتين، وورم اللهاة، اللحم النابت في الأنف، الثآليل النابتة في طرف الأنف، خياطة الأنف والشفة والأذن، شق الحنجرة، قلع الأسنان، علاج أغلب أنواع الكسور والخلوع، بعض أمراض العين، كالثآليل، انقلاب الجفن، سيلان الدمع، الشعر الناخس في العين، الظفرة...».

إلا أنه لم تقف عنايتهم عند هذه المواضيع الجراحية العامة بل نجد بين ثنايا كتبهم ذكراً لبعض الأمور التي اختصت بجراحة الأطفال بشكل متميز، ولكي نبرز مساهمات الأطباء العرب والمسلمين في حقل جراحة الأطفال فإن هذا يقتضينا أن نقسم الموضوع إلى ثلاثة أقسام تشكل في مجموعها الصورة النهائية للبحث:

أولاً : جراحة التشوهات الخلقية:

سبق وأن ذكرنا ما قاله بعض الأطباء العرب عن قسم من تشوهات الولادة النادرة، لا نرى حاجة لتكرارها هنا خاصة لأننا لم نعثر على أية إشارة لأ ية محاولة جراحية في معالجة تلك التشوهات الشديدة. بينما وجدنا لدى الكثيرين منهم محاولات جراحية لمعالجة بعض التشوهات الخلقية البسيطة وأهم هذه التشوهات كانت:

١ ـ **شقاق الشفة** : يعد الرازي من أوائل الذين أشاروا إلى الجراحة التجميلية كفرع من فروع الجراحة فقد تكلم عن كيفية تعديل التشوّه في الشفة في الجزء السادس من الحاوي حيث يقول: «قشر الوسط واكشر الجلد في الجانبين واقطع اللحم الذي في الوسط الذي عنه كشطنا ما قد صلب منه وارم به ثم خط الجلد من غير أن يكون يتخلص منه شيء و يلحمه فيكون العضو يرجع إلى طوله لذهاب ذلك المقلص من وسط الجلد».

و يقول الزهراوي عنه: «كثيراً ما يحدث شقاق في الشفة يسمى شعرة ولا سيما في شفاه الصبيان فإنه كثيراً ما يحدث» (٤١ ص ٦١). و يذكر أن علاج ذلك هو الكي.

٢ ـ قطع الرباط الذي تحت اللسان ويمنع الكلام Tonguetie يقول الزهراوي في كتابه «التصريف» حول هذا الموضوع: «قد يكون هذا الرباط الذي يعرض تحت اللسان، أما طبيعياً يولد به الإنسان، واما أن يكون من جرح قد اندمل. والعمل فيه أن تفتح فم العليل ورأسه في حجرك وترفع لسانه ثم تقطع ذلك الرباط بالعرض حتى ينطلق اللسان من إمساكه... واحذر أن يكون الشق في عمق اللحم فيقطع شرياناً هناك فيعرض النزف، ثم ضع تحت اللسان فتيلة من كتان يمسكها العليل كل ليلة، لئلاّ تلتحم ثانية فإن حدث نزف فضع على المكان زاجاً مسحوقاً فإن غلبك الدم فاكوِ الموضع...» (٤١ ص ٢٩٧).

٣ ـ **سدة الأذن** : نوجز بعضاً من أقوال الزهراوي في ذلك حيث يقول: «قد يخرج الأطفال من بطون أمهاتهم ومسمع آذانهم غير مثقوب... وقد يعرض أيضاً لبعض الناس سد في مجرى الأذن.. وعن جرح أو لحم نابت فيها وهذا السد يكون في عمق الأذن لا يدركه البصر وقد يعرض إلى خارج الثقب قليلاً و يدركه البصر... فإن رأيت السد ظاهراً فافتحه بمبضع لطيف» (٤١ ص ٢٠١).

٤ ـ **تشوهات الأصابع** : عن الاصبع الزائد يقول الزهراوي: «وأما الاصبع الزائد التي تتولد في بعض أيدي الناس فربما كانت لحمية كلها وربما كانت في بعضها عظام»... «فما كان منها لحمياً فقطعه يسهل وذلك أن تقطعه عند أصله... وأما التي نباتها في أصل المفصل فعلاجها عسر، وأما التي تنبت في الاصبع عند أحد السلاميات فينبغي أن تقطع أولاً لحمها مستديراً ثم

تنشر العظم» أما عن التحام الأصابع فيقول: «وأما الالتحام الذي يعرض للأصابع بعضها ببعض فكثيراً ما يعرض ذلك مما يولد به الانسان و يكون عند اندمال جرح أو حرق نار ونحو ذلك، فينبغي أن تشق ذلك الالتحام حتى ترجع الأصابع على هيئتها الطبيعية ثم تضع بينها فتلاً أو خرقاً مشربة في دهن الورد لئلا يلتحم سريعاً..» (٤١ ص ٥٩٣).

٥ ـ المقعدة غير المثقوبة Imporforate Anus في الفصل التاسع والسبعين من كتاب التصريف للزهراوي نجد هذا الكلام العلمي الصحيح حيث يقول: «في علاج المقعدة غير المثقوبة، قد يولد كثير من الصبيان ومقاعدهم غير مثقوبة، قد سدها صفاق رقيق، ينبغي للقابلة أن تثقب ذلك الصفاق باصبعها، وإلاّ فتبطه بمبضغ حاد وتحذر العضلة لا تمسها ثم يوضع عليها صوفة مغموسة في الشراب والزيت وإن خشيت أن ينسد فاجعل في الثقب أنبوبة رصاص أياماً كثيرة وتنزع متى أراد الطفل البراز، وقد يعرض سدة المقعدة أيضاً من اندمال جرح أو ورم فينبغي أن يشق ذلك الاندمال ثم يعالج بما ذكرنا من العلاج والرصاص» (٤١ ص ٥٠١).

٦ ـ **انسداد مجرى البول الولادي**: عن علاج الأطفال الذين يولدون ومواضع البول منهم غير مثقوبة أو يكون الثقب ضيقاً أو في غير موضعه يقول الزهراوي: «قد يخرج بعض الصبيان من بطن أمه وكمرته غير مثقوبة فينبغي أن يبادر بثقبه من ساعة يولد بمبضع رقيق جداً... ثم تضع في الثقب مسماراً رقيقاً من الرصاص وتربطه وتمسكه ثلاثة أيام أو أربعة فمتى أراد البول نحي عنه وبال ثم رده... والذي يكون ثقبه ضيقاً فيعالج بالرصاص كما قلنا... والذين يكون منهم الثقب في غير موضعه وذلك أن منهم من يولد والثقب عند نهايةالكمرة فلا يقدر أن يبول إلى قدام حتى يرفع الاحليل بيده إلى فوق ولا يولد له من قبل أن المني لا يقدر على الوصول إلى الرحم على استقامة وهي علّة قبيحة جداً» (٤١ ص ٣٨٩). إن ملاحظاته هنا جاءت وكأنها من نتاج عالم معاصر في الطب حيث أنها صحيحة في جملتها. ففي حالة الثقب في العجان لا يمكن أن يصل المني ونتيجة لذلك لا يحدث الإنجاب.

٧ ـ **الخنثى**: يقول ابن سينا: «ممن هو خنثى من لا عضو الرجال له، ولا عضو النساء، ومنهم من له كلاهما لكن أحدهما خفي وأضعف والآخر بالخلاف، و يبول من أحدهما دون الآخر ومنهم، من كلاهما فيه سواء... وكثيراً ما يعالجون بقطع العضو الأخفى وتدبير جراحته» (٥ ج ٢ ص ٥٤٩).

ثانيا: الجراحة العامة وجراحة المجاري البولية:

إن أهم المسائل التي جاء ذكرها لدى الأطباء العرب والمسلمين في هذا القسم كانت:

١ ــ **ختان الصبيان : Circumcision** لقد تكلم أكثرهم عن ذلك إلا أن الزهراوي بعد أن عدد الطرق المعتادة في الاختتان ذكر طريقة خاصة له من ابتكاره أطلق عليها: «التطهير بالمقص والرباط بالخيط» وعدد مزايا طريقته ووصفها في كتابه التصريف فقال: «ثم يقوم بين يديك منتصب القامة ولا يكون جالساً، واخف المقص في كمك أو تحت قدمك حتى لا يقع الصبي عليها البتة ولا على شيء من الآلات ثم تدخل يدك إلى احليله وتنفخ في الجلدة وتشيلها إلى فوق حتى يخرج رأس الاحليل ثم تنقيه مما يجتمع فيه من الوسخ ثم اربط الموضع المعلم بخيط مثنى ثم اربط منه قليلاً رباطاً ثانياً، ثم تمسك إبهامك والسبابة موضع الرباط أسفل إمساكاً جيداً وتقطع بين الرباطين، ثم ارفع الجلدة إلى فوق بسرعة واخرج رأس الاحليل، ثم تنظفه بخرقة رطبة ثم تذر عليه من رماد القرع اليابس المحرق...» (٤١ ص ٣٩٩). نجد في هذه الفقرة نقطتين علميتين في غاية الروعة، الأولى مسألة إخفاء المقص لكي لا تقع عين الصبي عليه، والأخرى تأكيده على تنقية رأس الاحليل مما يجتمع فيه من الوسخ قبل القص.

٢ ــ **القيلة المائية Hydro cele** : يتكلم الزهراوي عن ذلك في باب الشق على الأدرة المائية بقوله: «الأدرة المائية اجتماع الرطوبة في الصفاق الأبيض الذي يكون تحت جلدة الخصي المحيطة بالبيضتين ويسمى الصفاق. وقد تكون في غشاء خاص تمد به الطبيعة في جهة من البيضة حتى يظن أنها بيضة أخرى وتكون بين جلدة الخصي وبين الصفاق الأبيض الذي قلنا». وهذه ما نسميها باسم Spermatocele.

«وتولد هذه الأدرة من ضعف يعرض للأنثيين، وقد يعرض عن ضربة على الأنثيين. وهذه الرطوبة تكون ذات ألوان كثيرة إما أن يكون لونها إلى الصفرة، وإما أن تكون دمية حمراء، وإما أن تكون سوداء، وإما أن تكون مائية بيضاء وهي أكثر ما تكون. والعلامات التي يعرف بها حيث اجتماع الماء، فإن كان الصفاق الأبيض الذي قلنا فالورم يكون مستديراً إلى الطول قليلاً بشكل البيضة ولا تظهر الخصية، لأن الرطوبة تحيط بها من جميع النواحي Hydro cele وإن كانت الرطوبة في غشاء خاص بها فإن الورم يكون مستديراً لجهة من البيضة ولهذا يتوهم الإنسان أنها بيضة أخرى Spermato cele. وأما إذا أردت معرفة لون الرطوبة فأسبر الورم بالمدس المربع... فما خرج في أثر المدس حكمت عليه» (٤١ ص ٤٢٥).

هذا التفريق الكلينيكي بين القيلة المائية والكيس المنوي يعتبر رائعاً ولا يمكن أن نزيد عليه في وقتنا هذا، ثم إن استعمال المدس يشابه ما نعرفه بالبزل (٢٥ ص ١٢٥).

٣ ــ **الحصى المتولد في الأطفال** : لقد تناول الأطباء العرب موضوع الحصى المتولد في الأطفال

بطر يقة علمية، حيث تكلموا عن أسباب حدوثه، وكذلك عن أسباب إصابة الذكور به أكثر من الإناث، كما ذكروا أعراض الإصابة به حسب مواضعه وكيفية تفر يقه عن الأمراض الأخرى بصورة رائعة، وكذلك طرق التخلص منه بالعلاج، ومارسوا عملية استئصال حصاة المثانة جراحياً. نذكر فيما يلي بعضاً مما قالوه في هذا الباب:

يقول ابن الجزار في الحصى المتولد في مثانات الصبيان: «وتولد الحصى مرض خاص للصبيان الذين في الدرجة الثانية... فتجتمع في بدنه أخلاط كثيرة فينحدر من أعلاها شيء في البول إلى المثانة فتصبح مادة تولد الحصى في المثانة... لأن عنق المثانة منه تكون ضيقة فيعوق المادة الغليظة من النفوذ» «وقد يتبع الحصى المتولد في مثانات الصبيان أعراض لازمة منها عسر البول، وشدة الوجع ويجد الصبي حكة في احليله، و يقوم من أدنى سبب وربما كان قائماً أبداً».

«واعلم أنه لا يتولد الحصى في الجواري كما يتولد في الغلمان، وإنما ذلك لأن المادة المولدة لا تحدث في الجواري، وإنما صارت المادة التي يتولد منها الحصى لا تجتمع في الجواري لأر بعة أسباب، أحدها أن رقبة المثانة فيهن قصيرة، والثاني أنها واسعة المجرى، والرابع أنهن أقل شر باً للماء من الغلمان» (٦٧ ص ١٣٠-١٣١).

إن تصور ابن الجزار لتكون الحصى من نواة يتراكم عليها أملاح مختلفة تصور صحيح، وقد أجمع عليه معظم من كتبوا في هذا الموضوع من الأطباء العرب كالرازي وعر يب وابن سينا وغيرهم.

أما تعليله لأسباب حدوث الحصى في الصبيان أكثر من البنات تعليل علمي في أغلبه وخاصة ذكره الفرق التشريحي بين مجرى البول في البنات عنه في الذكور مما يدل على معرفة عميقة بعلم التشر يح.

ولابن سينا ملاحظة مهمة حول تكون الحصى في البلاد الحارة «واعلم أن حصاة المثانة تكثر في البلاد الشمالية وخصوصاً الصبيان» (٥ ص ٥٠٩ ج ٢).

(وتأكيد الرازي بأن المر يض إذا ما أحس الرغبة في التبول وحبس البول فإن المثانة تتمدد و يكون الحصر ملاحظة جيدة ومقبولة. وذكره تفاصيل دقيقة عن العلاج الجراحي للحصاة ومضاعفات هذه العملية يدل على علم جيد بهذا الموضوع (٢٦ ص ٩٦).

وعن علاج الحصى يقول الرازي: «وعلاج ذلك في الحمام، حم الطفل يومياً بماء حار واعط العلاج التالي، علاج مدرر ومفتت للحصى» (٣٨). واستعمال الأفيون بإذابته وتشر يبه بخرقة وجعل الخرقة في الدبر في علاج آلام المثانة يشبه استعمال الأقماع المحتو ية على الأفيون لنفس الغرض في الوقت الحاضر.

وفي الفصل الستين من التصر يف يتكلم الزهراوي عن إخراج الحصاة فيفرق بين حصاة

الكلية والمثانة بشكل بين ومن بين أقواله في هذا الباب: «و يسهل برء الصبيان منها إلى أن يبلغوا أربع عشرة سنة» (٤١ ص ٤١١). ثم يصف العملية الجراحية لإخراج الحصاة مؤكداً بأن الشق فقط يكون على حصاة المثانة أو قناة مجرى البول ومن وصفه يتضح لنا أنه كان يستخرج حصاة المثانة عن طريق الشق على العجان أو ما نسميه نحن Perineal Urethrotomy ونجده يحذر من أن يكون القطع كبيراً وإلا أدى إلى سلسل البول Incontinence ونصح في حالة ما إذا كانت الحصوة كبيرة بتكسيرها بالكلاليب وإخراجها قطعاً، وهذا أول وصف في الجراحة لعملية تفتيت الحصوة التي نعرفها باسم Litholopaxy وكذلك ففي علاج حصاة قناة البول ذكر وصفاً آخر لتفتيتها لم يسبقه إلى ذلك أحد (٢٥ ص ١٢٣- ١٢٤).

أما في الفصل الثامن والخمسين فقد تكلم الزهراوي عن علاج البول المحتبس في المثانة ومن جملة ما ذكره: «إذا اشتد الأمر على العليل فينبغي أن يستعمل إخراجه بالآلة التي تسمى قساطير Catheter وهي تصنع من فضة وتكون رقيقة ملساء مجوفة» (٤١ ص ٤٠٣) ثم يصف طريقة إدخال هذه القساطير وصفا ممتازاً مازالت طريقته هي المتبعة حتى الآن في إدخال القساطير والممدات ومنظار المثانة.

ونجد للزهراوي في كتابه أيضاً وصفاً لآلة هي أشبه ما تكون بالآلة التي تستعمل اليوم لحقن المثانة حيث يقول في الفصل الخاص بـ«كيف تحقن بالزراقة وصورة الآلات التي تصلح لذلك» «إذ عرض في المثانة قرحة أو جمد فيها دم، أو احتقن فيها قيح، وأردت أن تقطر فيها المياه والأدوية يكون ذلك بآلة تسمى الزراقة» (٤١ ص ٤٠٢). و يعود له أيضاً فضل اكتشاف المحقنة الشرجية Bulbesyringe فهو أول من وصف محقنة شرجية مربوطة عليها جليدة واستعملها لحقن الأطفال.

٤ ــ **الفتوق** : إن خير من تكلّم عن أنواع الفتوق وعلاجها كان الزهراوي، فقد عقد الفصل الخامس والستين للتكلم عن علاج الأدرة المائية و يعني هنا الفتق الاربي الذي ينزل إلى الصفن، يقول: «تحدث من شق يعرض في الصفاق الممتد على البطن في نحو الأنثيين من أطراف البطن، فتنصب المعي من ذلك الفتق إلى أحد الأنثيين. وهذا الفتق يكون إما من الصفاق وإما من امتداده ويحدث هذان النوعان من أسباب كثيرة، إما من ضربة وإما وثبة أو صيحة أو لرفع شيء ثقيل ونحو ذلك. وعلامته إذا كان من امتداد الصفاق أن يحدث قليلاً قليلاً في زمن طويل و يكون الورم مستوياً إلى نحو العمق من قبل أن الصفاق يعصر المعي.

وعلامته إذا كان من شق الصفاق أنه يحدث من أوله وجع عظيم وقعه، و يكون الورم مختلفاً ظاهراً تحت الجلد بالقرب، وذلك لخروج المعي إلى خارج الصفاق.

وقد يخرج مع المعي الثرب فتسمى هذه الأدرة معوية ثربية وقد تحبس في المعي الزبل ويحتبس هناك، فيكون معه هلاك العليل، لأنه يحدث وجعاً صعباً وقرقرة ولا سيما إذا عصره» (٤١ ص ٤٠٧). وهذا يشبه ما نسميه في الطب الحديث Incarceration وهو دخول الأمعاء الغليظة في داخل غشاء الفتق و يكون عاملاً مساعداً لحدوث الانسداد التام و يعتبر هذا من أنواع الانسداد الخطرة إذا لم تعالج جراحياً. ثم بعد ذلك يصف طريقة إجراء العملية و يبين في ذلك طريقة استئصال كيس الفتق وطريقة تشريحه من البيضة والكيس المحيط بها وبعد إدخال الأمعاء إلى البطن يصف طريقة ربط عنق الكيس ربطاً مزدوجاً، بعدها يقص الكيس وأخيراً يشق جلد الصفن من أسفله لخروج الدم عندما يحدث الالتهاب Drainage (٢٥ ص ١٢٨).

وفي الفصل السابع والستين يتكلم عن الفتق الذي يكون في الأربية و يقصد هنا ما نسميه بالفتق الأربي المباشر Direct Inguinal Hernia فيقول: «قد يعرض الفتق في الأربية، فيفتق الموضع ولا ينحدر إلى الانثيين من المعي. وإن انحدر كان ذلك يسيراً و يرجع في كل الأوقات ولكن إذا طال الزمان زاد الفتق في الصفاق حتى ينحدر المعي أو الثرب في الصفاق و يعرض ذلك من امتداد الصفاق الذي يكون في الأربية كما قلنا، وذلك إن يمتد الصفاق ثم يسترخي» (٤١ ص ١٢٩). مع علمنا أن حدوث ذلك في الأطفال نادر جداً إلا أن سياق الحديث دفعنا إلى ذكره.

ثم يذكر العملية اللازمة في علاج هذا النوع من الفتق وهو هنا لا يستأصل كيس الفتق، بل يكتفي بدفعه إلى الداخل بواسطة المرود ثم يخيط المنطقة الضعيفة التي برز منها كيس الفتق من خلال جدار البطن وهذه أول محاولة في تاريخ الجراحة لعمل الرتق الجراحي للفتق الأربي Hernial Repair (٢٥ ص ١٢٩). والأبحاث الحديثة تؤكد قول الزهراوي في عدم استئصال الكيس في حالة الفتق المباشر.

وعن تورم السرة وبروزها يقول الرازي: «بروز السرة في الأطفال يحدث عند بكائهم بكثرة، أو عند العصر، أو من السعال الشديد أو صدفة أو ربما يحدث من حادثة أو ضربة عمداً» (٣٨). وعن علاج ذلك يقول: «إذا كانت من النوع التي تصغر عند الدفع اكو السرة حول الحلقة، وليس في البقعة التي تصغر منها بسبب رقة الجلد» (٣٨).

إن الطريقة التي ذكرها الرازي وغيره لمعالجة فتق السرة و بقية أنواع الفتق كانت الغاية منها عمل ندبة متليفة لسد الفتق وهي وإن تُركت الآن علمياً إلا أنها مازالت مستعملة في بعض بقاع العالم. وجاء ذكر العملية الجراحية لفتق السرة في الحاوي مع ذكر خطورتها ومضاعفاتها.

وعن نتوء السرة أيضا يقول الزهراوي: «يكون نتوء السرة من أسباب كثيرة، إما من انشقاق الصفاق الذي على البطن فيخرج منه الثرب Omento cele أو المعاء على ما يعرض في سائر الفتوق وإما من دم ينبعث من وريد أو شريان Hemangioma (٤١ ص ٣٧٧) ثم يعطي

العلامات الفارقة بين هذه الأنواع و يصف العملية الجراحية لفتق السرة مع ذكر طرق معالجة كل نوع.

٥ ــ **الثآليل :** يقول الزهراوي في ذلك: «وأما الثآليل اليابسة فالواحدة منها هو نتوء صغير خشن متلبد مستدير فوق سطح البدن وكثيراً ما يعرض في أيدي الصبيان وعلاجه أن تمد الثلول وتقطعه أو تحزمه بخيط حرير أو بشعرة حتى يسقط وإن شئت كويته على ما تقدم بالنار أو بالدواء الحاد» (٤١ ص ٥١٧).

٦ ــ **حالة كزاز في طفل نتيجة إصابته بجرح:** يقول الرازي في الحاوي: «كان صبي أصابة نخس في الجانب الأيسر من عضده في العضل، فوضع عليه الطبيب دواء قد امتحنه في جراحات أخرى فتشنج الغلام ومات لأن جراحته لم تكن واسعة لكن كانت نخسة». هذه حالة كزاز (تيتانوس) سببها ضيق فم الجرح والتقيح الحادث في عمقه و يؤكد الرازي في هذه الحالة ضرورة توسيع الجرح وهذا ما ينصح الأطباء في كل حالة مماثلة حتى اليوم» (٢٦ ص ٤١).

ثالثا : جراحة الرأس والرقبة والفقرات:

١ ــ تجمع الماء في رؤوس الصبيان: يفرق الزهراوي بين حالتين من ذلك فيقول: «وهذه الرطوبة إما أن تجتمع بين الجلد والعظم Meningo cele وإما أن تجتمع تحت العظم على الصفاق» «وإن كانت تحت العظم علامته أن ترى خياطات الرأس مفتوحة من كل جهة» Hydrocephalus ثم يقول: «ولم أر هذه العلّة في غير الصبيان وجميع من رأيت منهم أسرع إليه الموت فلذلك رأيت ترك الطفل به» (٤١ ص ١٧١-١٧٣). إلا أنه على الرغم من ذلك يشرح كيفية التخلص من هذا الماء جراحياً.

٢ ــ **إخراج العظم وغيره مما ينشب في حلق الصبي إذا بلعه:** يقول البلدي في ذلك: «وإن كان ما ينشب في الحلق شوكة أو عظم يحتال في أن يبلغ الصبي لقماً كباراً مرة بعد مرة فإنه ربما نزل الشيء الذي نشب في حلقه... وأدخله الحمام وجرعه بعض الأدهان الحارة دفعات ثم أطعمه لقماً كباراً فإنه ينزل ذلك الشيء» إلى أن يقول: «وإلا فانزل في الحلق الآلة التي تدفع بها مثل ذلك إلى أسفل وهذه الآلة تتخذ من رصاص في شكل السكينة إلا أنها طويلة ولها تعقيف» (١٤ ص ١٤٢).

٣ ــ **أنواع كسور الرأس :** في الفصل الثاني من الباب الثاني من التصريف يتكلم الزهراوي عن «الكسر العارض في الرأس» ونجده يفرق بين أنواع الكسر مثل: الكسر القدومي كما يفعل القدوم في الخشبة Dpressed F. والكسر الشعري Fissured Fracture والكسر النافذ قرب الغشاء الذي تحت العظم، والتقعير الذي يحدث في رؤوس الأطفال Pond Frature.

ومن جملة ما يذكر قوله: «ومنه كسر يكون عن سقطة أو صكة حجر ونحوه، يدخل صفحة العظم إلى داخل و يصير للموضع تقعير كما يعرض لقدر النحاس إذا أصابتها ضربة فيدخل جزء منها إلى داخل وأكثر ما يكون ذلك في الرأس الرطب العظم كرؤوس الصبيان» (٧١ ص ٦٩٦).

كما تميز الزهراوي بوصف الخطوات العملية لجراحة الجمجمة وما يجب على الجراح تحضيره من أدوات خاصة لكل نوع من الاصابات فقال «فإن كان كسر العظم قد بلغ الغشاء الخشبي على الدماغ وكان مع هشم ورض فينبغي أن تقطع الجزء المتهشم المرضوض على ما أتى وصفه لك، وهو أن يحلق رأس العليل المجروح فإن عرض لك عند الكشف على العظم نزف دم فانتظر حتى يسكن الورم وتأمن النزف، ثم تأخذ في تقو يم العظم وذلك يكون على أحد وجهين من العمل فإما الوجه الواحد فهو أن تقطع العظم بمقطع لطيف ضيق الشفرة وهذه صورته فإن كان العظم قو يا «صلبا» فينبغي أن تثقب حوله قبل استعمالك القاطع بالمثاقب التي سموها «غائصة» وهذه المثاقب تسمى اليوم TREPHINE.

ولقد أتى عبداللطيف البغدادي بشاهد حي على ازدهار جراحة الجمجمة وممارستها في أيامه عكس ما قاله الكثيرون أن العرب نقلوا للجراحة ولم يمارسوها فقد ذكر أن عددا من المرضى عولجوا من كسور الجمجمة وتحسنوا فقال: «ولقد رأيت من أخذ من رأسه قطع من العظام وسلم ورأيت إنسانا قد أخذ من قحفة قطعة عظيمة وصار في رأسه حومة إذا صاح أو استرق النفس على الموضع من القحف كان كالرمانة العظيمة».

٤ ـ **الخنازير**: يقول الرازي في ذلك: «الخنازير تكون في الصبيان أكثر منها في سائر الأسنان» (٣٥ ج٢ ص ١٢٣). و يشير إلى أن الغدد الدرنية تتصل اتصالاً وثيقاً بالأنسجة التي حولها وتغور فيها. كما أنه يصف طريقة الفحص المعروفة الآن بالتموج Fluctualtion وكيف يميز بها محتو يات الخنازير والخراجات المختلفة» (٢٦ ص ٣٩٤).

و يتكلم الزهراوي عن الشق على الخنازير التي تعرض في العنق كثيراً Tuberculus Lymphadenitis فيقول:

«تعرض هذه الأ ورام في العنق وتحت الابطين وفي الاربتين وتكون كثيرة وتتولد بعضها من بعض، وكل خنزيرة منها تكون في داخل صفاق خاص. وأنواع هذه الخنازير كثيرة منها متحجرة ومنها خبيثة لا تجيب إلى العلاج» (٤١ ص ٣٣٣). وخلاصة قوله في علاج الخنازير قوله إنه كان يستأصل الغدد الليمفاو ية من الرقبة، وإن كانت ملتصقة في الوريد الودجي أو الشريان السباتي فإنه يربطها و يبقها و يتركها حتى تسقط، أما إذا كانت تحولت إلى خراج بارد فيكتفي بأن يشق عليها ليستخرج الصديد» (٢٥ ١١٦).

٥ ـ **درن الفقرات** : يقول الرازي في الحاوي : «من أصابته حدبة من ربو أو سعال قبل نبات العانة فإنه يهلك لأن كل من تصيبه حدبة بلا ضربة ولا سقطة ولا سبب ظاهر إنما يكون ذلك لخراج داخل يجذب خرز الصلب ، وهذا الخراج متى كان من خلط غليظ غاية الغلظ لا ينضج البتة فإنه يقتل على هذه الجهة . فإنه إذا حدث في هذا الوقت منع الصدر أن يتسع و يبلغ مقدار ما يحتاج إليه الرئة والقلب في التنشق فيقتل لذلك بضيق النفس وأن نضج زعم أنه وقت سيلانه يقتل صاحبه» (٣٥ ص ٨٢-٨٨ ج ١١) .

لو أننا نقلنا هذه الفقرة إلى لغة الطب الحديث لظهر لنا ما فيها من معلومات صحيحة رائعة فهي تقرر أن درن الفقرات متى كان في الصبيان فإنه يقتل وتقرر أيضاً أن الحدبة التي ليس لها سبب ظاهر تكون من خراج داخلي بارد يسمى تجنساً Cold Abcess وهذا لا يبرأ البتة . وزاد على ذلك أنه إذا سال الصديد من الخراج البارد T.B. Abcess open فإنه يقتل صاحبه (٢٦ ص ٣٩١) .

أما الزهراوي فإنه يعالج **نتوء** خرزة الظهر بالكي وعلى الأغلب يقصد بذلك الحدبة الناتجة عن تدرن الفقرات (٤١ ص ١٢٩) .

حادي عشر : الناحية الكمية في إعطاء العلاجات للأطفال

لم يقتصر اهتمام الأطباء العرب على كيفية العناية بالطفل ونموه وتربيته فحسب وإنما اهتموا بالناحية العلاجية الفارماكولوجية على حد سواء ، ودليلنا على ذلك ما يلي :

١ ـ تأكيدهم على اختلاف علاج الأطفال عن الكبار من الناحية الكمية :

يقول أحمد بن محمد الطبري : «فأما الأدوية التي تستعمل في الكبار فلا تصلح للأطفال البتة ولا **تحتملها معدهم** ولا أمزجتهم» (٥١ ص ٣٣) .

إن تأكيد الطبري حول الدقة عند تقدير العلاجات Dosages لأجل تجنب الأخطاء الخطرة والتسمم العرضي ملاحظة مهمة جداً في تاريخ الصيدلة والعلاجات (٢٨ ص ٧٢) .

و يؤكد نفس المعنى ابن جزلة البغدادي في كتابه تقويم الأبدان في تدبير الإنسان حيث يقول : «و ينبغي أن يراعي في وقت المداواة لكل مرض نوع ذلك المرض وقوة المريض ومزاجه الخارج عن الطبع وسن المريض) .

و يقول ابن هبل البغدادي في نفس المعنى أيضاً : «واعلم أن معالجات الأطفال والصبيان لأمراضهم الخاصة بهم متنوعة من جملة علاج الأمراض وإنما يقتصرون من الدواء ما تملكه قواهم وتراكيبهم الضعيفة» (١٥ ص ١٩٦) .

ولابـن سيـنـا بيت شعر في أرجوزته بهذا المعنى إذ يقول: «مالشيخ في مزاجه كالطفل... كلا ولا الصبي كالكهل».

وكـان الرازي حذراً في استعمال علاج الديدان عن طريق الفم في الأطفال بل ميالاً إلى استعمال المعـاجين مـن الخـارج بـخلاف الكبار يقولُ في رسالته: «في ديدان الأطفال ليس من الصواب إعطاء عـلاجـات قـويـة لـيشربها و يتخلص من هذه الآفات، ولكن يجب أن نختار من بينها تلك التي تستعمل خارجية» (٣٨).

وللبلدي ملاحظة ذكية حول اختلاف تأثير العلاجات المختلفة بالنسبة لشدة المرض وعمر المريض يـقـول: «وهـذه وصـيـة يجـب أن تـسـتعمل في الأطفال والصبيان في كل مرض، فتقيس بين من ابتدأ يـأكـل الـطـعـام و بين مـن لـم يبتدىء بأكله بعد، و بين من هو أقوى من المبتدىء بأكل الطعام كثيراً وقسماً بين من سعيه أكثر وأقل، و بين من هومنهم أقوى وأضعف» (١٤ ص ١٣٤).

٢ — لقد انفرد البلدي في تأكيده على اختلاف العلاجات باختلاف الأشخاص كما أكد على ضعف تأثير العلاج على الشخص نفسه بمرور الأيام لتعوده عليه. يقول:

«وإن تـغير الأدو يـة على الـعـليل أصلح أن تكون معالجته بها وهذا لأن الطبيعة إذا اعتادت الدواء الواحد وألفت قوته على نفعه ولم يؤثر فيها أثراً حسناً كثيراً، ولأن كل واحد من الناس ربما كـان في طـبـعـه يـداوم لـدواء مـن الأدو ية دون غيره فينتفع به ولا ينتفع بغيره. وإن كانت قوة الـدوائين واحـدة في الـعلّة الواحدة بعينها، وذلك أن الأدو ية لا تسري قواها في نفسها لاختلاف مـا بينها في طبائع أشخاصها وما يختص بشخص شخص منها ولا يسري فعلها في الناس كلهم في العلة الواحدة لاختلاف أشخاص الناس أيضاً» (١٤ ص ١٤٥).

إن هـاتين المـلاحـظـتين مـهـمـتـان جـداً في تـار يخ الـصـيـدلـة والعلاجات وهما جديرتان بالإعجاب، والعلم الحديث توصل مؤخراً إلى ذلك.

٣ — يـظـهـر جـلـيـاً مـن استعراض الوصفات والعلاجات المركبة التي استعملوها في معالجة كثير من أمـراض الأطـفـال على أنهـم اسـتـعـمـلوا الأوزان الصغيرة جداً ولا شك بأن استعمال مثل هذه الأوزان الـصغيرة دليل على حرصهم ودقتهم في وصف العلاجات للأطفال والجدول التالي يبين الأوزان التي كانوا يستعملونها مع معادلتها **بالجرامات**:

جدول الأوزان مع بيان معادلاتها بالجرام (٦٧ ص ١٣٩)	
الوزن	ما يعادله بالجرام
الحبة	٠ر٠٦٨٩
القيراط : حبتان ونصف تقر يباً	٠ر١٦٤٧
الدانق : سدس درهم	٠ر٥١٤٣
الدرهم	٣ر٠٨٩٨
الأوقية	٣٣ر٠٣٩٠

وكمثال للوصفات الطبية التي كانوا يصفونها نورد ما يلي:

وصفة لابن سينا ذكرها لمرض القلاع (التهاب الفم) :

عروق وقشور الرمان

الجلنار — لكل منهم ستة دراهم

السماق

العفص — أر بعة دراهم

الشبت — درهمان

يدق و ينخل و يذر.

وصفة للرازي ذكرها لسعال الأطفال :

الخشخاش الأبيض

كثيراء بيضاء — من كل واحد نصف درهم

قثاء مقشور — درهم واحد

وصفة للبلدي لإزالة آثار الجدري من الجسد :

دقيق الحمص — من كل واحد ثلاثة دراهم

دقيق الباقلاء

بذر البطيخ	خمسة دراهم
المرداسنج المبيض	درهمان
أصل القصب اليابس	ثلاثة دراهم

يسحق الجميع و يطلى بعد الاستحمام

٤ ــ معالجة الطفل وعدم الاكتفاء بمعالجة المرضع:

يؤكد أحمد الطبري في مقدمة كتابه كلام بعض الأطباء من كون معالجة الأطفال من مقام الجزئيات من الأمراض، وعدولهم عن معالجة الأطفال إلى معالجة المرضعات حتى يخلص إلى حقيقة علمية نسجلها له بفخر وهي ضرورة معالجة الطفل المريض نفسه وعدم الاكتفاء بعلاج المرضعة وهذا على ما أعتقد يعتبر طفرة عظيمة في حقل علاجات الأطفال لم يسبقه بها أحد، حيث يقول:

«وهذا أمر لم يتكلم فيه واحد من الأوائل كلاماً شافياً واعتمدوا في ذلك على أن الطب عام وعلمه يشتمل على الأطفال وغيرهم... وذكر بعض الأوائل من الفلاسفة أن معالجة الأطفال هو من مقام الجزئيات من الأمراض وأن استخراج معالجتهم على الطبيب...» إلى أن يقول: «فلا بد من مداواة الأطفال» (٥١ ص ٤).

٥ ــ انتقال العلاجات عن طريق الحليب للطفل:

إن تأكيد الأطباء العرب على حمية المرضعة وتعديل غذائها وإعطائها العلاجات في أغلب الأحيان عند تمرض الطفل دليل على اعتقادهم القوي بانتقال بعض العلاجات عن طريق الحليب من الأم للطفل ومن بين الأسباب الوقتية التي اشترطها ابن سينا لمنع الرضاعة من الأم أخذها العلاجات حيث كان على ثقة من انتقال البعض منها عن طريق حليب الأم للطفل، وهذا ما أثبته العلم الحديث، و يقول ابن سينا عند ذكر أسباب إرضاع الطفل من مرضعة غير أمه «وكذلك إذا أحوجت الضرورة سقيها دواء له قوة وكيفية غالبة» (٥ ص ١٥١).

٦ ــ طعم علاجات الأطفال:

ملاحظة ابن الجزار حول وجوب كون طعم العلاجات التي تعطى للأطفال، عذبة الطعم تستوجب الذكر، فيقول مثلاً في معالجة السعال «فإذا أردت علاجهم من السعال العارض لهم فينبغي ألاّ تقاربهم الأدوية القوية جداً، لأن أبدانهم لا تقوى على ذلك لضعف في قوتها ورخاوة لحمها، لكن ينبغي لنا أن نعالجهم بالأدوية التي تشبه الأغذية وتكون عذبة الطعم لئلاّ يكرهها الصبي قبل منفعته بها» (٦٧ ص ١١١).

الفصل الخامس

مؤلفات الأطباء العرب في طب الأطفال



مؤلفات الأطباء العرب في طب الأطفال

يتفق أغلب مؤرخي تاريخ الطب (من أمثال رادبل، جوستاف لوبون، سيغريد هونكة... الخ) على أن الرازي كان أول من فصل بين طب الأطفال والأمراض النسائية وجعله يأخذ شكلاً مستقلاً بذاته عندما ألف رسالته في طب الأطفال في حدود سنة ٩٠٠م.

لقد ألف الرازي رسالته هذه بطريقة جديدة مخالفة لمن سبقه من المؤلفين والأطباء العرب واليونانيين، حيث تناول أمراض الأطفال بصورة عامة وليس كما تناوله السابقون له، بتقسيم أمراض الأطفال حسب أعمارهم أو كما سموه أسنان الطفل. إن هذه الرسالة لا توجد منها على علمنا أية نسخة باللغة العربية الآن ولا نعلم على وجه التحديد فيما إذا كان الرازي ألفها باللغة العربية أم الفارسية كما يقول رادبل (٣٤ ص ٣٧٠). وإن كنا نميل إلى كونها ألفت باللغة العربية لأن المعروف عن الرازي أنه لم يؤلف أي كتاب طبي بأية لغة غير العربية.

إن الجزء الخاص بعلل الأطفال والذي كتبه أحمد بن محمد الطبري في كناشه المعالجات البقراطية والذي لا يزال مخطوطاً، وكتاب عريب بن سعد القرطبي «خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين»، كتبا في زمن متقارب ولا نعلم بالتحديد أيها الأسبق. وهما في غاية الجودة ويمكن اعتبارهما أقدم ما وصلنا من كتابات الأطباء العرب والمسلمين في طب الأطفال باللغة العربية (على اعتبار عدم وجود الأصل العربي لرسالة الرازي).

ثم كتب ابن الجزار القيرواني كتابه سياسة الصبيان وتدبيرهم الذي يبدو وكأنه أكمل تأليف في طب الأطفال سلك فيه مؤلفه مسلكاً تخصصياً، إلا أنه لم يحط بالموضوع من كل جوانبه.

وجاء بعده أحمد بن محمد البلدي وألف كتابه تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم، والذي نعتبره القمة التي وصل إليها طب الأطفال عند العرب والمسلمين، وذلك لكونه أشمل من كل ما كتب قبله وبعده في هذا الموضوع حيث أنه يحتوي إضافة لمسألة العناية بالطفل من الناحية الجسمية والنفسية والتربوية أمراضاً لم يذكرها غيره من الأطباء (١٤ المقدمة).

وكتب ابن سينا أيضاً فصولاً جيدة عن تربية الطفل وكيفية العناية به ومعالجة أمراضه إلا أن كتابته جاءت متفرقة في القانون وغيره. وفي تراثنا الطبي العربي غير ما ذكرنا العديد من الكنوز الدفينة، والتي تستوجب منا الغور في بحورها درساً وتمحيصاً وتقييماً وتحقيقاً. نذكر فيما يلي جميع ما استطعنا العثور عليه من المؤلفات في طب الأطفال وحسب التسلسل الزمني لمؤلفيها مع استعراض بسيط للبعض منها حسب ما يقتضيه المقام.

علي بن سهل الطبري

هو أبو الحسن علي بن سهل بن الطبري. ولد في مدينة مرو من أعمال طبرستان سنة ٧٨٠م أو سنة ٧٧٠م.

أشهر كتبه في الطب كتاب «فردوس الحكمة» الذي يعتبر أقدم تأليف جامع لفنون الطب من كتب العرب، وهو مقتبس عن الكتب الطبية اليونانية والهندية.

خصص الباب الأول والثاني من المقالة الرابعة للتحدث عن تربية الأطفال وحفظ الصحة وتربية الصبي إذا ترعرع، وهي بمجموعها منقولة من جالينوس ذكرنا بعضاً منها عند التحدث عن جالينوس. ومن أقوال الطبري التي لم نذكرها والتي جاءت في فردوس الحكمة قول عن الحصاة في الصبيان فيه الكثير من الصحة والقيمة العلمية.

«وأكثر ما تعرض الحصاة للصبيان من قبل غلظ أطعمتهم... فإن رأيت في البول دماً مختلطاً دل على أن ذلك في الكلية وإن كان الدم غير مختلط بالبول فالقرحة في المثانة... وإن وجد الوجع في الأنثيين فالحصاة في الكلية وإن وجد في السرة فالحصاة في المثانة».

ولم يوفق الطبري كغيره من الأطباء الذين قبله والذين عاصروه في التفريق بين مرض الجدري والحصبة وتكلم **عنهما** كمرض واحد. وله قول في أنواع الألبان جدير بالذكر وإن لم يكن مصيباً في بعض ما ذكر يقول:

«حليب البقر رأس الألبان وأفضلها... ولبن الجاموس بارد فيه منافع لبن البقر... لبن المعز جيد... لبن الضائنة أوضع الألبان وهو حار غير ملائم للبدن... ولبن كل ذي حافر خفيف... وخير اللبن ما شرب حاراً حين يحلب».

وعن فسلجة الاحتلام والطمث يقول:

« علة ذلك أن الصبي إذا بلغ وتولدت فيه مادة الزرع واستحكمت وقويت حرارة البدن واتسعت مجاري عروقه تحركت الطبيعة لإخراج تلك المادة إذا كثرت فيه فتخرجها بالاحتلام. فأما الصبيان فإن عروقهم دقيقة ضيقة ممتلئة رطبة وحرارتهم غير مستحكمة فإنهم لا يحتلمون والطمث في الإناث كالاحتلام في الذكران» (٥٢ ص ٥٤).

يوحنا بن ماسويه

ولد سنة ١٦١ هـ/٧٧٧م توفي سنة ٢٣٤ هـ/٨٥٧م. له مقالة في الجنين وكونه في الرحم، رتبها على فصول. لهذه المقالة أهمية تاريخية من حيث كونها أول مؤلف مستقل في علم الأجنة باللغة العربية.

علماً بأنها مقتبسة في مجموعها عن كتاب الأجنّة لأبقراط وآراء جالينوس في هذا الموضوع. وهناك نسخة خطية منها في مكتبة المتحف العراقي- بغداد، ضمن مجموع برقم (١٣٢١٢). كتبت سنة ٦٣٥ هـ/١٢٣٧م. ناقصة قليلاً من الوسط، عدد صفحاتها ثمانية، تبدأ بهذه الجملة: «قال إن أول ابتداء الإنسان نطفتان يجتمعان في الرحم من الرجل والمرأة» ومن أقواله الأخرى فيها «وللجنين ثلاثة أغشية تشمل عليه...»

«ووقت تمام خلقة الجنين إذا كان ذكراً ثلاثون يوماً وإن كان أنثى فأربعون يوماً...».

«ووقت تحرك الجنين الذكر في الرحم عند تمام ثلاثة أشهر ووقت تحرك الجنين الأنثى عند تمام أربعة أشهر...».

ثابت بن قرة

توفي سنة ٢٨٨ هـ/٩٠٠م. مؤلفاته التي ذكرها ابن أبي أصيبعة (٣ ص ١٩٨) في طب الأطفال ثلاثة هي:

١ — جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر.

٢ — رسالة في الجدري والحصبة.

٣ — مقالة في صفة كون الجنين (وهي من التآليف الضائعة).

لم يتيسر لنا الاطلاع على أي من هذه الكتب وكل ما اطلعنا عليه فصل في كتاب «الذخيرة في علم الطب عن أوصاف الحليب» سبق ذكره.

حنين بن اسحق

ولد بالحيرة عام ١٩٤ هـ/ ٨٠٩ — ٨١٠م. مؤلفاته في طب الأطفال:

١ — كتاب المولودين (أو كتاب فيمن يولد لثمانية أشهر على طريقة المسألة والجواب). جاء ذكر هذا الكتاب لدى المؤرخين بأسماء مختلفة حقق عن نسخة ميونيخ الوحيدة، يقع في ٢٤ صفحة (مطبعة الشعب— بغداد/ ١٩٧٨). والكتاب مؤلف على طريقة السؤال والجواب وقد اعتمد في تأليفه على كتاب أبقراط في المولودين لثمانية أشهر وإن كان ليس ترجمة حرفية له. حاول فيه تعليل سبب عدم امكانية عيش المولودين لثمانية أشهر بشكل منطقي بالنسبة لزمانه، إلا أن العلم الحديث لا يوافقه فيما ذهب إليه.

٢ — مقالة في كون الجنين، مجمع من أقوال جالينوس وأبقراط.

٣ — كتاب في اللبن أو مقالة في اللبن.

٤ — المولود لسبعة أشهر.

الــرازي

هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، ولد في الري (جنوب طهران) في حدود سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٥م وتوفي فيها سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م. من أعظم أطباء القرون الوسطى، ألف أكثر من ٢٢٤ كتاباً.

مساهماته في طب الأطفال:

أولاً: كتاب مختصر في اللبن ذكره ابن أبي أصيبعة (٣ ص ج ١ ص ٣٢١). ولم نطلع عليه.

ثانياً: الحاوي: على الرغم من كون الحاوي سجلاً لمشاهدات الرازي ليس إلا فإننا نجد فيه تدوينا للملاحظات السريرية لأول مرة في تاريخ الطب ونجد بين تلك الملاحظات فقرات تبحث عن أمراض الأطفال، ذكرنا بعضاً منها فيما سبق وأبرز مالم نذكره:

١ ـــ يبتديء الحاوي بفصل عن العناية بالوليد.

٢ ـــ هناك فصل في مساعدة الطفل على النوم، المشكلة التي شغلت الكثيرين في القرن العاشر وحتى يومنا هذا.

٣ ـــ الرازي فرق التهاب العظم Spina Ventosa من بقية الأورام في الأطفال.

٤ ـــ وهو أول من وصف السنسنة المشقوقة Spinabihda .

٥ ـــ وفي نفس الكتاب شرح أيضاً اختلاجات الأطفال Infentile Convulsions والتسنين الصعب.

٦ ـــ وفي الجزء الأول وصف حالة ضعف العضلات بالاسترخاء، ويقول في ذلك: «إذا وقع الاسترخاء بعقب مرض ما قصد إسخان تلك المواضع التي أصابت تلك الأعصاب فإن منها أخلاطاً باردة» وفي محل آخر يقول: «فإن كان العضو عصب حسّي وعصب حركي فربما حدثت الآفة بأحدهما».

وفي قسم آخر من الكتاب نفسه يتكلم عن العلاج الطبيعي فيقول: «قوة العضو تقوى بالدلك المعتدل في الكمية والكيفية والحركة الموافق والدم ينجذب إليه. ويصب الماء الحار عليه بقدر معتدل وبتحريكه ودلكه فإن الدلك والتحريك مع تقويتها القوة يجذبان الدم».

نستدل من هذه الفقرات التي أوردها الرازي في وصفه لضعف العضلات على نظرته الصائبة وهذا ما هو معمول به الآن في علاج حالات شلل الأطفال (١٧ ص ١٠).

٧ ـــ وهناك فقرة أخرى تبحث عن التقيؤ عند الأطفال.

٨ ـــ وذكر التبول والعطاس والبكاء كعلامة من علامات الحياة في الطفل حديث الولادة، ذكر ذلك في قسم الأمراض النسائية من الحاوي.

وهناك ملاحظات أخرى وحالات متعددة عالجها الرازي لا مجال لذكرها جميعاً.

٩ — كلامه عن مرضى الجدري والحصبة نذكره فيما بعد.

ثالثاً : كتاب المنصوري: المقالة الرابعة في تدبير الأطفال (٣٩ ص ٣٢ — ٧٤).

يتكلم فيه الرازي عن كيفية العناية بالوليد ثم كيفية الرضاعة والفطام، وعن اختيار المرضعة وتدبيرها، ثم يتكلم عن تدبير الأسنان وفيه يتكلم عن معالجة الصبيان وتدبيرهم. وفي مكان آخر شرح الوقاية من كبر الخصية في الأولاد والثدي في البنات.

وفي سرده للحالات المرضية أدخل الرازي بعض حالات الأطفال فمثلاً: «طفل كان لديه التهاب الفم مع إفرازات صفراء، حمى، طفح، تبول دموي، نزف في الشرج وتوفي» عزى ذلك الرازي للعلاجات التي اجتمعت في الجلد من الضمادات(٣٤).

رابعاً : رسالة في أمراض الأطفال والعناية بهم :

سبق أن ذكرنا بأن الرازي كان أول من فصل بين طب الأطفال والأمراض النسائية وجعله يأخذ شكلاً مستقلاً بذاته عندما ألف رسالته هذه في طب الأطفال، في حدود سنة ٩٠٠م.

ترجمت هذه الرسالة قديماً إلى العبرية، ثم ترجمت للاتينية قبل ظهور الطباعة في مدرسة جيرارد كريمونا (١١٤-١٨٧م) قبل سومون.

أول كتاب طبع في طب الأطفال كان كتاب (بيكالاردوس سنة ١٤٧٢م)، الذي اعتمد اعتماداً كلياً على رسالة الرازي هذه، كما أنه من الحقائق المؤكدة بأن جميع كتاب الأطفال من القرن العاشر حتى السابع عشر ساروا بكتاباتهم على غرار النسخة اللاتينية من رسالة الرازي (٣٤).

طبعت هذه الرسالة باللاتينية سنة ١٤٨١م لأول مرة، بعد ذلك طبعت مرات عديدة وعلى الأغلب كانت تلحق بكتاب المنصوري للرازي أو فصول الطب لابن الهيثم.

وفي العصر الحديث ترجمت منها فقرات للألمانية من قبل بيبر Pieper وللإنجليزية من قبل روهرا Ruhra ومن قبل ستيل سنة ١٩٥٩م وترجمت الرسالة بكاملها للايطالية.

وقام بترجمتها بأكملها مؤخرا رادبل Samuel. Radbill للانجليزية ونشرها في مجلة أمراض الأطفال الأمريكية (عدد ٥ مجلد ١٢٢ لسنة ١٩٧١م). و يذكر فيها بأنه ترجمها عن النسخة الإيطالية والعائدة لـ Manza لسنة ١٤٩٧م والتي هي بحوزته وأن هذه الترجمة تعتبر أول وأكمل ترجمة مطبوعة باللغة الانجليزية وهي الترجمة التي اعتمدنا عليها في ترجمتنا للرسالة إلى العربية (طبعت الترجمة العربية التي قمنا بها ضمن دوريات المؤتمر القطري للطفولة والذي انعقد في بغداد في الفترة ٩ــ ١٣/ كانون الأول/ ١٩٧٩).

أبواب الرسالة : وهي أربعة وعشرون باباً، وتشمل ما يلي:

الباب الأول: في السعفة في الأطفال.

الباب الثاني : في الجرب في الأطفال.
الباب الثالث : في كبر الرأس في الأطفال.
الباب الرابع : في انتفاخ البطن في الأطفال.
الباب الخامس : في العطاس في الأطفال.
الباب السادس : في السهر عند الأطفال.
الباب السابع : في الصرع عند الأطفال.
الباب الثامن : في المرض المسمى أم الصبيان.
الباب التاسع : في جريان الصديد من أذن الطفل.
الباب العاشر : في جريان السم من الأذن.
الباب الحادي عشر : في أمراض العين في الأطفال.
الباب الثاني عشر : الحول.
الباب الثالث عشر : أمراض الأسنان.
الباب الرابع عشر : تقرحات الفم في الأطفال.
الباب الخامس عشر : في التقيؤ في الأطفال.
الباب السادس عشر : في إسهال الأطفال.
الباب السابع عشر : في إمساك الأطفال.
الباب الثامن عشر : في سعال الأطفال.
الباب التاسع عشر : في الحكة والنفاط في الأطفال.
الباب العشرون : في ديدان الأطفال.
الباب الحادي والعشرون : في بروز السرة في الأطفال.
الباب الثاني والعشرون : في فتق الأطفال.
الباب الثالث والعشرون : في حصى المثانة في الأطفال.
الباب الرابع والعشرون : في شلل الأطفال.

القيمة العلمية للرسالة:

الرسالة بالإضافة لكونها أول مؤلف في طب الأطفال فإنها تتضمن آراء ونظريات الرازي في طب الأطفال مكتوبة بطريقة جديدة مخالفة لمن سبقه من المؤلفين والأطباء اليونانيين وبعض الأطباء العرب، فقد تناول أمراض الأطفال بصورة عامة وليس كما تناوله السابقون له بتقسيم أمراض الأطفال

حسب أعمارهم أو كما سموه (أسنان الطفل). ونستخلص فيما يلي بعض الفقرات التي تبين القيمة العلمية لهذا السفر الثمين:

١ — كون الرازي أول من استعمل مرهم الرصاص في الأمراض الجلدية، الذي استمر استعماله حتى اليوم، علماً بأنه قد يؤدي في بعض الأحيان إلى التسمم بالرصاص.

٢ — تمييزه استسقاء الدماغ الداخلي Hydrocephalus يحدث عن الارتشاح المصلي أو الدموي عند التحدث عن كبر الرأس.

٣ — كما أنه يقول عن صغر الرأس Microcephalus بأنه إذا حدث من الولادة ليس له علاج (٣٨). وهذا لا شك قول صحيح.

٤ — وفي قوله: «في أغلب الأحيان يحدث انتفاخ البطن لدى الأطفال الذين لديهم تضخم أكثر في الرأس» ربما يشير إلى انتفاخ البطن الذي يصحب مرض الكساح.

٥ — وفي باب التحدث عن الصرع استطاع أن يفرق بين النوع الوراثي والعرضي.

٦ — يظهر أنه استطاع أن يفرق أيضاً بين التهاب الأذن الداخلية والخارجية، كما واستعمل بعض الوصفات العلاجية لشفاء التهابات الأذن.

٧ — وللرازي ملاحظات وطرق جديدة في العلاج تدل على ثقة بالنفس حيث يذكر في مواضع عدة بأنه جرب كذا أو أخذ نتائج في تجربة العلاج الفلاني، الأمر الذي يؤكد كونه لم يكن مقلداً أعمى لمن سبقه بل استطاع أن يستقصي الحقيقة و يتحرى الجديد والمفيد لمرضاه.

٨ — تقسيم الرازي الحول في الأطفال إلى نوعين: نوع ولادي وآخر يحدث بعد الولادة ملاحظة صائبة.

٩ — و يتكلم بإسهاب عن التقيؤ في الأطفال و يعزى ذلك لأسباب ثلاثة (٣٨):

١ — زيادة الحليب عمّا يستطيع هضمه.

٢ — رداءة الحليب.

٣ — كون الطفل ذا معدة رطبة ضعيفة.

كما يؤكد على ضرورة فحص التقيؤ من ناحية رائحته لمعرفة سببه.

١٠ — وأما أسباب الإسهال في الأطفال عنده فهي:

١ — ظهور الأسنان.

٢ — أو من سبب البرد.

٣ — أو من سبب تعفّن الحليب من الصفراء والبلغم.

وهنا أيضاً كان مصيباً حين أكد على ضرورة فحص الخروج من ناحية اللون والرائحة لمعرفة سبب الإسهال وإعطاء العلاج اللازم.

إن هذه الفقرة والتي قبلها ورأيه في أسباب فتق السرة ربما يرى فيها القارىء المعاصر مجرد

بديهيات ومسلمات، وهي عندي خير شاهد على المنحى العقلي الذي ميّز فكر الرازي إذ أن ما يثير الإعجاب فعلاً هو هذا الربط المنطقي بين ظواهر عدة في تسلسل يربط السبب بالمسبب.

١١ ــ ووضع الرازي ملاحظات مهمة حول استحمام الطفل وحذر من استعمال الدهان التي تجمع الأوساخ والغائط.

١٢ ــ وكان حذراً في استعمال علاج الديدان عن طريق الفم في الأطفال وكان ميالاً إلى استعمال المعاجين من الخارج.

١٣ ــ تقسيمه لأنواع السعال ووصف العلاجات المختلفة لكل نوع تقسيم جيد.

١٤ ــ بروز السرة (فتق السرة) عنده:

١ ــ إما يحدث عند بكائهم بكثرة.

٢ ــ أو عند العصر.

٣ ــ أو من السعال الشديد.

٤ ــ أو صدفة.

٥ ــ ربما يحدث مع حادثة بضربه عمداً.

وأما في علاج ذلك فهو ينصح علاجه دوائياً تماماً مثل علاج الفتق المغبني، والطريقة الجراحية الوحيدة التي ذكرها في علاج ذلك كان كي حلقة السرة وذلك لعمل ندبة متينة لسد فتحة الفتق، طريقته هذه لا تزال مستعملة في بعض بقاع العالم.

١٥ ــ إن الحماس الشديد الذي كان حول الفصد في الكبار كان هو ضده في الصغار حتى سن البلوغ.

١٦ ــ في الباب الأخير يتحدث عن شلل الأطفال، كما أنه أدخل الشلل الوراثي وإصابات الولادة في هذا الباب عندما لمح لهؤلاء المصابين منذ الولادة، وعند ذكر العلاج يؤكد على ضرورة العلاج الطبيعي بوضع الطفل في حمام ودهن مفاصله ببعض الدهان والمعاجين يومياً.

خامساً: كتاب في الجدري والحصبة:

الكتاب الذي اعتمدت عليه في إعداد البحث هو نسخة من كتاب محفوظ في مكتبة الأوقاف بالموصل (في القسم العائد للدكتور داود الجلبي). وهو كتاب مطبوع بنفقة المدرسة السورية في بيروت سنة ١٨٣٢.

جاء في مقدمة الكلية بأن الكتاب قد ضبط على النسخ المطبوعة في بلاد أوروبا وعلى نسخة خط في المكتبة الدوقية في مدينة البندقية (٤٠ ص ٢).

والكتاب المطبوع يقع في (٦٨) صفحة من القطع الصغير.

لقد نال الكتاب شهرة عظيمة في أوروبا فترجم للاتينية وغيرها من اللغات عدة مرات، الأمر الذي جعل سيغريد هونكة تقول: «فكان هذا الكتاب بحق آية من نوعه نشر في أوروبا أربعين مرة ما بين ١٤٩٨ـ ١٨٦٦م» (٧٤ ص ٢٥).

فصول الكتاب

يحتوي الكتاب على مقدمة قصيرة تكلم فيها الرازي عن سبب تأليفه هذا الكتاب من حيث أنه لم يجد لمن سبقه من الأطباء كتاباً كافياً في هذا الموضوع، ثم ذكر ما يحتويه الكتاب بإيجاز.

الفصل الأول: في سبب الجدري ولم صار لا يكاد يفلت إلا الواحد من الناس ومقدار ما ذكر جالينوس في الجدري.

الفصل الثاني: انتقل الرازي في هذا الفصل إلى ذكر الأبدان المستعدة للجدري والأوقات التي يكثر فيها.

الفصل الثالث: وهذا الفصل يعتبر أهم فصل في الكتاب حيث أن الرازي أعطى الدليل القطعي فيها بأن الحصبة والجدري لَيْسَا مرضاً واحداً، ووصف أعراض كل مرض على حدة.

الفصل الخامس : تحدث الرازي هنا عن الاحتراس من الجدري قبل ظهوره ومنعه من أن يكثر بعد ظهوره.

الفصل السادس : فيما يسرع بإيجاز إبراز الجدري والحصبة.

الفصل السابع والثامن: خصص الرازي هذين الفصلين في العناية بالعين والحلق ثم الأذن والأنف والمفاصل في حالة ظهور علامات الجدري وما يساعد على نضج الجدري.

الفصل التاسع والعاشر: يتكلم في هذين الفصلين فيما يخفف الجدري وفيما يقلع القشور الجافة وفيما يذهب آثار الجدري من العين وسائر الجسد.

الفصل الثاني عشر والثالث عشر: في تدبير غذاء المجدور وفي تدبير طبيعة المجدور.

الفصل الرابع عشر: في هذا الفصل الأخير يتكلم الرازي عن أنواع الجدري والحصبة ويسميها السليم والمهلك من الجدري والحصبة ويناقش الفرق بين السليم والمهلك.

القيمة العلمية للكتاب :

١ ـ إن كتاب الرازي في الجدري والحصبة هو الأول من نوعه حيث صور هذين المرضين تصويراً علمياً صحيحاً وعلى شكل كتاب مستقل. يقول الرازي في مقدمته: «فأحب هذا الرجل...

أن أعمل مقالة في هذا المرض متقنة إذ لم يجد في ذلك لأحد من القدماء والمحدثين إلى هذه الغاية قولاً مستقصياً ولا كافياً فعملت هذه المقالة رجاء الثواب» (٤٠ ص ٦).

وجاء في مقدمة الكلية السورية في الكتاب: «إن الشيخ الرازي هو أول من ألف كتاباً في الجدري والحصبة» (٤٠ ص ٢).

٢ — إن الرازي في هذا الكتاب ولأول مرة في تاريخ الطب فرق بين مرضي الجدري والحصبة، ووصف كلاً على حدة بصورة تفصيلية خلافاً لمن سبقه من الأطباء اليونان والعرب إذ أنهم كانوا يعتبرون المرضين واحداً كما يعترف بذلك الغالبية من المؤرخين من أمثال جوستاف لوبون، دوكلاس جوثري، هونكة.. وغيرهم.

والرازي فرق بين المرضين في كتابه هذا في ثلاثة مواضع:

أ — في الفصل الثاني حين ذكر أوقات انتشار المرضين كلاً على انفراد إذ يقول: «وأما الأوقات التي يعتاد فيها الجدري و يكثر فأنا ذاكرها إن شاء الله تعالى، فأواخر الخريف وابتداء الربيع وإذا كان في الصيف أمطار متواترة وهبت جنائب (رياح جنوبية) كثيرة متتابعة، وإذا كان الريح دفيناً جنوباً). وعن أوقات انتشار الحصبة يقول: «وأما إذا كان الصيف قوي الحرارة واليبس وكان الخريف حاراً يابساً، وأبطأ المطر جداً فإن الحصبة تسرع إلى المستعدين لها (٤٠ ص ١٨).

ب — في الفصل الثالث يعطي الرازي الدليل القاطع بأن الحصبة والجدري لَيْسَا مرضاً واحداً فبعد أن تكلم عن أعراض المرضين المشتركة يقول: «غير أن القلق والغشي والكرب في الحصبة أكثر منه في الجدري، ووجع الظهر أمضى هذه بالجدري» وفي محل آخر يقول: «غير أنه لا تكون في الحصبة من وجع الظهر ما يكون مع الجدري ولا في الجدري من الكرب والغشي ما يكون مع الحصبة» (٤٠ ص ٢٠).

ج — وفي الفصل الرابع عشر يمضي الرازي في وصف الطفح للنوع السليم والنوع المهلك لكلا المرضين الجدري والحصبة كلاً على حدة في أسلوب علمي يعتبر قمّة المعرفة بالنسبة لزمانه.

وللرازي في كتاب الحاوي وصف رائع لمرضى الحصبة يؤكد قوله في رسالته عن الجدري والحصبة، يقول في الحاوي: «على ما رأيت بالتجربة علامات الجدري والحصبة حمى لازمة وتفزع في النوم وحكة في الأنف ووجع بشدة التثاؤب والتمطي الدائم واشتعال اللون» (٣٥ ج ١٧ ص ٦).

أما العلامات الخاصة بالحصبة عنده فهي: «أن يغلظ الصوت وتحمر العينان والوجنتان، ووجود وجع في الحنجرة، والصدر، ويجف اللسان وتنفتح الأصداغ، ويحمر الجسد، وتدمع العينان ويهيج التهوع، فإن رأيت هذه فستظهر الحصبة» وللتفريق بين الجدري والحصبة يقول: «وإن الحصبة إنما تكون حمرة في سطح الجلد وليس لها عمق البتة، أعني نتوء له علوما، والجدري يكون كما سيبدو مستديراً وله نتوء... ومتى اشتبه عليك فلا تحكم إلا بعد هذه الحالة بيوم أو يومين فإن لم يظهر نتوء

فليس يجب أن تحكم بأنه جدري» .

٣ — يعتبر الرازي أول من بين نوع الطفح في مرض الحصبة وشدة المرض عندما قال: «وأسلم الحصبة التي ليست شديدة **الحمرة** وأما الكمدة فردية وأما الأخضر والبنفسجي منها فهلكان» (٧٢٤٠) . إن ما ذكره عن الأخضر والبنفسجي قد يدعو إلى الاستغراب لأول وهلة إلا أننا نعتقد بأنه ربما قصد بذلك الاحتقان الشديد الذي يصحب الطفح في الجلد عندما تكون الإصابة شديدة والذي تبقى آثاره بعد الشفاء أحياناً بألوان مميزة قريبة من الأخضر والبنفسجي .

٤ — من ملاحظاته المهمة في الفصل الأول أن الهواء العفن يساعد على انتشار المرض .

٥ — **وله رأي جليل خالف به من قبله من الأطباء وهو استعمال الماء البارد لتخفيف الحرارة الشديدة** والتي قد تودي كثرتها بحياة المصاب فيقول: «و يسقون الماء البارد بالثلج وماء العيون الصادقة البرد» (٤٠ ص ٢٣) . وفي موضع آخر يقول: «ومن أقوى ما يطفيء به عنه أن نسقيه من الماء المبرد بالثلج غاية التبريد» «وليغتسلوا بالماء البارد في أنصاف النهار» (٤٠ ص ٢٤») .

٦ — تمتاز آراء الرازي في هذه الرسالة في كونها بريئة من المعتقدات السابقة والخاطئة و بعيدة عن النظريات المعقدة، كما و ينم هذا المؤلف عن حرص الرازي على الدقة في وصف العلاج بما فيه الطعام الملائم وعن اعتقاده أن للطعام أثراً كبيراً في الأسقام والأبراء .

٧ — الكتاب يعطينا دليلاً قاطعاً على أن الرازي كغيره من كثير من الأطباء العرب لم يكن علمه ومؤلفاته(**مقتصرة** ،على النقل عن من قبله، بل إنه مبدع مجدد بجانب كونه ناقلاً أميناً فقد استطاع في كتابه هذا أن يتحرر من أفكار السابقين في الخلط بين مرض الحصبة والجدري، ولم يكتف بمجاهرته بأنهما ليسا مرضاً واحداً فحسب بل تمكن بجرأة العالم العارف والطبيب الحاذق أن يعلن آراءه الجديدة والمبنية على البحث والتجربة في أسلوب العلاج فجاءت أفكاره صائبة وتقديراته صحيحة من الناحيتين العلمية والطبية كما ذكرنا .

أحمد بن محمد الطبري

هو أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري . لم يمن علينا المؤرخون بترجمة وافية بأبي الحسن، فاكتفى ابن أبي أصيبعة (م ١ ص ٣٢) بالقول إنه كان طبيب الأمير ركن الدولة، ولم يأت القفطي على ذكره، ولكن أحد المستشرقين (بروكلمن م ١ ص ٣٧٥) يذكر أنه عاش بين سنة ٣٢٠ هـ وسنة ٣٦٦ هـ . وهذا هو نفس التاريخ الذي ملك فيه ركن الدولة (راجع تاريخ دولة الإسلام فصل ١٨٢) وأهمية هذا المؤلف تظهر لمن طالع كناشة (*) الذي سماه «المعالجات البقراطية» الذي قال فيه ابن أبي أصيبعة

(*) الكناش : هو لفظة يونانية معناها المعالجات من الرأس وإلى القدم وجمعه الكناشات (المخطوط — حاشية ص ١) .

أنه من أجلّ الكتب وأنفعها، ونحن نقر ابن أبي أصيبعة على هذا (ه).

أهمية المخطوط :

إن القسم الخاص بطب الأطفال من كتاب الطبري «المعالجات البقراطية» له مكان خاص في طب الأطفال من حيث كونه:

١ — أحد أقدم ما وصل إلينا من كتابات الأطباء العرب والمسلمين في هذا الموضوع باللغة العربية، كما أن الطبري على الرغم من مجيئه بعد الرازي إلا أننا لا نجد له أية إشارة لكتابات الرازي في هذا الباب، ولا نعلم إن كان ذلك تجاهلاً له أم أنه لم يطلع عليها، وإذا صح الاحتمال الأخير فإنه يزيد الكتاب قيمة وأصالة.

٢ — يؤكد المؤلف في مقدمته بأنه لم يتكلم أحد قبله في علاج الأطفال كلاماً شافياً بل اعتمد في ذلك على أن الطب علم وعلمه يشتمل على الأطفال وغيرهم في باب المعالجة، ويمضي الطبري في تفنيد كلام البعض الآخر من كون معالجة الأطفال من مقام الجزئيات من الأمراض وعدولهم عن معالجة الأطفال إلى معالجة المرضعات حتى يخلص إلى حقيقة علمية نسجلها له بفخر تلك وهي ضرورة معالجة الطفل المريض نفسه وعدم الاكتفاء بعلاج المرضعة وهذا على ما أعتقد يعتبر طفرة عظيمة في حقل معالجة الأطفال لم يسبقه إليها أحد.

أبواب الكتاب :

جاء في بداية الفهرس من الكناش المعروف بالمعالجات البقراطية في علل الأطفال وتدبيرهم حين **يولدون، وآداب المرضعة وتدبيرها، وهي ستون باباً على هذه الترتيبات المذكورة.**

الباب الأول: في الجرب المعروف بالحرقة، وفيه كلام عن أنواع الأمراض الجلدية التي تصيب رأس الطفل. والأمر المهم في هذا الباب قوله: «اعلم أن الجرب أنواعه كثيرة: منها رطب يسيل مدة وصديد وأكثر حدوده للرأس... شديد الوجع شبيه بالسعفة وربما يتولد منها حيوان مثل الصبيان وهي مختلفة الصور» (٥١ ص ٥). حيث يعتبره بعض مؤرخي الطب بذلك مكتشفاً لحشرة الجرب إذ لم يسبقه أحد من الأطباء في الإشارة إلى ذلك، إلا أن البعض الآخر يعتقد بأن ذلك ليس حشرة الجرب وإنما بيوض القمل (الصئبان) لاستحالة رؤية حشرة الجرب بالعين المجردة.

وفي الأبواب الخمسة الأخرى يذكر أمراضاً جلدية أخرى تصيب رأس الطفل وأنفه وأذنه ويذكر فيها العلاجات اللازمة لكل منها.

(ه) مقتطف من كتاب مآثر العرب في العلوم الطبية للدكتور سامي حداد– بيروت ٩٣٦ ص ٣٨.

أما الباب السابع فقد أفرده للتحدث عن الصرع، يقول من جملة ما يقول: «فيتولد من بخارات غليظة رطوبية فيملأ بطون الدماغ من الطفل و يسد فلا يجري القوة النفسانية في مجاريها فيهتز لذلك الدماغ ويحدث منه حالة شبيهة بالصرع ومثل هذه الحالة إذا كانت بالكبار كان صرعاً. و يعسر تحلله في الكبار بل لا يطمع في برئه إذا كان فيمن على سنه وفي الأطفال يزول بأهون سعي بسرعة ميلان طبايعهم إلى ما يميلها إليه وسهولة قبولها» (٥١ ص ٩). ثم يمضي في تعليل أسباب هذا المرض وعلاجه وعرض أراء الأطباء في ذلك.

و يتحدث في الباب الثامن عن العلة التي تعرف بالاصطكاك أي الكزاز الذي يحدث في الأطفال وقد مر ذكر أقواله.

ونجد للطبري في الباب التاسع التفاتة جميلة، حيث يقسم الاسترخاء في الأطفال إلى نوعين: مكتسب ووراثي، و يؤكد عدم إمكان معالجة الاسترخاء الوراثي.

وفي الباب الثالث عشر والرابع عشر يتناول المؤلف أمراض الأنف و يصف الجراحة في معالجة الزوائد اللحمية في الأنف وفي حالة عدم استجابتها للعلاج.

أما الأبواب السبعة التي تلي ذلك فقد خصصها لأمراض العين **ومعالجاتها**.

وفي الباب الثاني والعشرين يختصر الطبري أسباب البكاء في الأطفال في هذه الكلمات القليلة والتي تعني معنى كبيراً فيقول: «إذا بكى الطفل دائماً فهو لأحد أربعة أسباب إما لوجع في بعض أعضائه أو لاحتباس اللبن في معدته أو لشيء يؤذيه في مضجعه أو لقلة الغذاء وجوعه» (٥١ ص ٢٣). وفي معالجة ذلك يوصي بعدم استعمال المخدرات للطفل بل يعالج السبب المباشر.

أما أمراض الفم واللسان فيسردها في الفصول الأربعة التي تلت ذلك.

أما الأبواب الخمسة الأخرى فيناقش فيها الخرخرة في حلوق الأطفال، وانطباق المرىء وتعوج رقبة الطفل، والعطاس... الخ» ولم نجد فيها ما يلفت النظر سوى قول في غاية الصحة: «فأما الأدوية التي تستعمل في الكبار فلا يصلح للأطفال البتة ولا تحتمله معدتهم ولا أمزجتهم (٥١ ص ٢٣).

أما أمراض المعدة والأمعاء في الأطفال فقد خصص لها الأبواب التي تلت ذلك حتى الباب الأربعين، تناول فيها أورام المعدة والسرطان والاستمراء واضطرابات الهضم والقراقر والرياح وأنواع القيام (و يقصد بذلك الإسهال).

وعن الأسباب التي تجعل الطفل ممتنعاً عن شرب الحليب وعن اللوى (المغص) في الأطفال.

أما الباب الحادي والأربعون فقد تعرض فيه للسعال وأسبابه وعلاجه.

وفي الباب الذي بعده يستعرض نفث الدم والرعاف وأسبابه و يفرق بين الدم الذي يخرج من الصدر والأنواع الأخرى بأنه يخرج مصحوباً مع السعال، وهذه حقيقة علمية تسجل للطبري.

أما البـاب الثالث والأربعون فقد تكلم فيه عن الجدري والحصبة، ووصف الطفح لكل منهما على حدة وعلاج ذلك.

والأبـواب الثـلاثـة التـالية تحدث فيها عن بعض الأمراض الجلدية التي تصيب ذكر الطفل وفخذه وجسمه.

و ينتقل في الباب الثامن والأربعين لذكر الديدان الصغار والكبار.

وفي الأبـواب الأخـرى التي جـاءت بـعـده يـتـحدث عن خروج المقعدة وتورم الخصية وأنواع ذلك، حيث يفرق بين ورم الخصية نفسها والفتق وكذلك يتحدث عن رجوع القضيب والتهابه. وعند التحدث عن أمراض الجهاز البولي يتكلم عن بول الرمل والحصى والدم وخروج شيء شبيه بالمني أو اللبن.

وفي البـاب السـادس والسابع والخمسين يبحث في تورم الأربتين (طرفي آلات التناسل) ووجع المفاصل.

و يتكلم عن أنواع الحميات في باب خاص وعلى طريقة سابقيه من المؤلفين العرب.

وفي الباب التاسع والخمسين يتناول آداب المرضعة وتدبيرها.

ويختم كـتـابـه في الباب الستين والذي أفرده للتحدث عن كيفية العناية بالطفل وتدبيره من الولادة وكيفية تغذيته وتربيته حتى تنبت أضراسه.

ابن الجزار القيرواني

هو أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن خالد المعروف بابن الجزار، وهو من عائلة وطيدة الصلة بالطب. ذكر الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب في كتابه «ورقات» أنه ولد في حدود سنة (٢٨٥ هـ/ ٨٩٥م). وكانت وفاته عام ٣٦٩ هـ أو ٣٧٧ هـ. (٦٧ ص ٢٨ — ٣٢).

مؤلفاته في طب الأطفال:

يظهر من العرض الشامل لآثار ابن الجزار الذي قام به الأستاذ الحبيب الهيلة أنه لم يؤلف في طب الأطفال سوى كتاب واحد هو كتاب: «سياسة الصبيان وتدبيرهم».

قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور محمد الحبيب الهيلة ونشر سنة ١٩٦٨ م. إن أصل الكتاب مخطوط عثر عـليه المحقق الدكتور الهيلة ضمن مجموع طبي برقم (١٥٧) في مكتبة مارشيانا بالبندقية. وهو يقع في ٢٥ ورقـة بـخط شرقي و بكل صفحة ١٧ سطراً، وهو كثير الأخطاء ناسخه مجهول الاسم لم يذكر تاريخ نسخه للكتاب.

بـالمخطوط نقص يشمل نهاية الباب العشرين وكامل الباب الواحد والعشرين و بداية الباب الثاني والعشرين (٦٧ ص ٥١).

القيمة العلمية للكتاب :

يقول ابن الجزار في خطبته: «إن معرفة سياسة الصبيان وتدبيرهم باب عظيم الخطر، جليل القدر، ولم أر لأحد من الأوائل المتقدمين المرضين من ذلك كتاباً كاملاً شافياً بل رأيت ما يحتاج من علمه ومعرفته من ذلك متفرقاً في كتب شتى وأماكن مختلفة (٦٧ ص ٥٧).

وأكثر محتويات الكتاب تناولها ابن سينا في كتاب القانون في الجزء الأول وفي قسم (التعليم الأول)، وعرض هذه الموضوعات في نظام وأسلوب مشابه لنظام وأسلوب ابن الجزار. يقول الدكتور الهيلة في ذلك: «ولا يستبعد أن يكون ابن سينا قد اطلع على الكتاب ونقل عنه، فنحن نعثر أحياناً على بعض الجمل التي هي نقل حرفي لما في سياسة الصبيان» (٦٧ ص ٥٤).

وفي نظرنا وكما سبق أن ذكرنا، يعتبر كتاب ابن الجزار أكمل تأليف مطبوع في طب الأطفال لحين طبع كتاب البلدي الذي جاء أكثر إحاطة وأزخر علماً منه.

محتويات الكتاب:

يحتوى الكتاب على اثنين وعشرين باباً كما ذكرنا:

الباب الأول: في تدبير الأطفال عند خروجهم من الرحم: و يشمل العناية بسرة الطفل حديث الولادة وفتحاته، وكيفية حفظ صحته عند الولادة، وغذاء الرضيع، وكيفية غسله وتنظيفه، وأوصاف مضجعه، وأوقات غذائه، وكيفية تدريبه على الجلوس والمشي وكيفية العناية به عند البكاء. وهناك تشابه ظاهر بين أقواله هنا وأقوال ابن سينا.

ومما يجدر ذكره هنا إشارة ابن الجزار وعلى ما أعتقد لأول مرة إلى حقيقة علمية في كيفية بلع الطفل وهوما نسميه البلع الانعكاسي Suking Reflex (٦٧ ص ٦١ — ٦٨).

وأما عن كيفية تنظيف وغسل واستحمام الطفل وأوقاته فقد كتب ابن الجزار كلاماً جميلاً وكأنه يتكلم بلسان أطباء الأطفال اليوم، وقد نقل ابن سينا عنه أكثر أقواله في هذا الباب (٦٧ ص ٦٣-٦٨). فمن ذلك تأكيده على ضرورة تعويد الطفل الأغذية الاعتيادية بالتدريج وألا يكون الانتقال فجأة، وتأكيده على فائدة التنغيم لتسكين طباع الطفل عند البكاء ومساعدته للنوم.

الباب الثاني: في صفة المرضعة التي تحتاج لرضاع الصبيان.

الباب الثالث : في صفة لبن الظئر المحمود منه والمذموم وكيف ينبغي أن يكون.

الباب الرابع : في الأطعمة والأشربة التي تدبر بها المرضعة ليكون لبنها صحيحاً.

الباب الخامس : في سبب قلة اللبن وتغير لونه.

الباب السادس : في تدبير المرضعة القليلة اللبن وإصلاحه.

الباب السابع : في الأعراض التي تعرض للصبيان في كل درجة من أسنانهم. يعدد ابن الجزار الأمراض التي تصيب الأطفال حسب أعمارهم و يسلك في ذلك سبيل أبقراط في كتاب الفصول، ثم

ينتقل إلى الأمراض التي تعرض للصبيان و يتناول فيها موضوع مداواتها حسب ترتيب أعضاء الجسم.

الباب الثامن : في السعفة والرية المتولدة في رؤوس الصبيان. يتحدث هنا عن بعض الأمراض الجلدية التي تصيب الأطفال.

الباب التاسع : في الداء المسمى الداوس العارض للصبيان وعلاجه. و يتحدث هنا عن كبر الرأس وصغره فمن ذلك يقول: «فأما صغر الرأس خلقة وتركيباً فلذلك ليس فيه حيلة ولا إلى علاجه سبيل» (٦٧ ص ٩٣). **كما يتحدث في هذا الباب عن ورم اليافوخ، وانتفاخ البطن، ودواء العطاس.**

الباب العاشر: في داء الصرع للصبيان و يسمى ابليمبسيا. لقد سبق أن ذكرنا تقسيمه اللطيف لأسباب الصرع ولا نرى حاجة لتكراره.

الباب الحادي عشر: في السهر المعارض للصبيان تعليله لأسباب البكاء سبق وأن ذكرت وهو تعليق صائب.

الباب الثاني عشر: في الرطوبة السائلة من آذان الصبيان.

الباب الثالث عشر: في زوال الحدقة وهو الحول العارض للصبيان. يتكلم هنا ابن الجزار عن أنواع الحول في الأطفال ومعالجة ذلك.

الباب الرابع عشر: في الوجع الحادث للصبيان في حين خروج الأسنان من أقواله هنا: «فتنبت الأسنان والصبي من سبعة أشهر، ومنهم أكثر من ذلك، ومنهم من يبدأ إنبات أسنانهم من أسفل.. فأما الأضراس فقد تنبت العليا والسفلى وكذلك الأنياب» (٦٧ ص ١٠١١).

الباب الخامس عشر: في القروح العارضة في أفواه الصبيان (القلاع).

الباب السادس عشر: في السعال العارض للصبيان وعلاجه. من ملاحظاته هنا وجوب كون العلاجات التي تعطى للأطفال عذبة الطعم. وتصنيفه أدوية السعال إلى نوع سهل ونوع للسعال المصحوب مع الرطوبة وآخر لمن به صريرة في النفس جديرة بالذكر.

الباب السابع عشر: في القيء والاختلاف العارض للصبيان.

الباب الثامن عشر: في الحيات والدود التي تتولد في أمعاء الصبيان. يتكلم هنا بإسهاب عن أنواع الديدان التي تصيب الأطفال ومواضع عيشها في الأمعاء.

الباب التاسع عشر: في نتوء السرة العارض للصبيان.

الباب العشرون : في الحصى المتولد في مثانات الصبيان. وقد مر ذكر بعض آرائه المهمة في هذا الباب.

الباب الواحد والعشرون : ناقص من المخطوط و يتوقع المحقق **أن يكون ابن الجزار قد تناول فيه** مرض (شلل الأطفال) (٦٧ ص ٥٢).

الباب الثاني والعشرون: وهو الباب الأخير، تحدث فيه ابن الجزار عن طباع الصبيان وتربيتهم وقد فقد أوله من المخطوط كما ذكر المحقق. وآراؤه هنا تعتبر أساساً في تربية الطفل حتى اليوم، وسوف نأتي على ذكرها في الفصل القادم.

ويختم ابن الجزار كتابه بهذا القول: «ولولا حب الاختصار وترك الإكثار لأتينا الطريق إلى نهايته ولكنه فيما ذكرنا كفاية لمن فهم عنّا المعنى والمراد في كلامنا. وقد أتممنا كتابنا و بلغنا فيه مرادنا والله المستعان لا رب غيره» (٦٧ ص ١٣٨).

وفي نهاية الكتاب وضع المحقق الأستاذ الدكتور محمد حبيب الهيلة معجماً للألفاظ الفنية الواردة في النص وجدولاً للأوزان مع معادلاتها بالأوزان المعروفة.

عريب بن سعد الكاتب القرطبي

لا نعرف بالتحقيق تاريخ مولده ولا نعلم تاريخ وفاته. عاش مدة في جوار الأمير الأموي الحكم الثاني المعروف بالمستنصر بالله الذي ملك قرطبة سنة ٣٥٠هـ-٣٦٦هـ. لم يذكر المؤرخون له مؤلفاً في طب الأطفال سوى كتابه الذي وضعه بإشارة من المستنصر سنة ٣٥٣هـ «خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين» الذي يعتبر من أشهر مؤلفاته وأعظمها شأناً. كما يعتبر من المؤلفات الجيدة في علم الولادة.

أما ما احتواه من علم طب الأطفال فإننا نعتبره من الأبحاث النفسية، فقد ضم علماً غزيراً، مما يدل على عمق في التفكير وأصالة في صناعة الطب التي كانت ولا تزال صعبة المسالك والدروب بالنسبة لرواد المعرفة. ولدى تصفح هذا السفر الثمين نجده قد نسق تنسيقاً جميلاً و بوب تبويباً كاملاً من الناحية الأكاديمية ليسهل على طالب الطب الإحاطة به ودراسته بالنسبة لتلك الحقبة من التاريخ الحضاري وعلى مر العصور والأجيال.

ومما تستوجب الأمانة العلمية ذكره هو أن الكتاب بجانب هذه المزايا القيمة احتوى على بعض المثالب والأخطاء العلمية، لا نقره عليها اليوم قياساً لما نعرفه في علم الطب الحديث.

أبواب الكتاب:

الكتاب الذي اعتمدناه في إعداد هذا القسم هو أحد منشورات كلية الطب والصيدلة بالجزائر طبع سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م مع ترجمته الفرنسية. وقد اعتنى بتصحيحه وترجمته والتعليق عليه الأستاذ نور الدين عبد القادر والحكيم هنري جاييه الأستاذ بكلية الطب بالجزائر آنذاك.

يحتوي الكتاب على خمسة عشر باباً وهو كتاب يبحث في علم الولادة وطب الأطفال على السواء كما جرت به عادة الأوائل من الأطباء لاعتبارهم الواحد متمماً للآخر والآن نمضي في سرد محتويات الكتاب حيث أنها تعتبر خلاصة آراء عريب في علم الأطفال.

يبحث المؤلف في الأبواب الخمسة الأولى في علم الأجنةمن ابتداء خلق الإنسان إلى غاية كماله وعن كيفية تكون المني وأسباب العقم وعن الأعضاء التناسلية للذكر والأنثى بأسلوب لطيف وكلام موزون من الناحية العلمية.

وأفرد الباب السادس للتحدث عن مدة الحمل وحدوده وعن المولودين لسبعة أشهر، سبق ذكر مقتطفات لأقواله في فصل سابق.

وأما الأبواب الثلاثة التي أعقبت ذلك فنجده يتكلم فيها عن كيفية العناية بالحامل ومعالجتها، وعن أسباب الإسقاط وعلاجه وكيفية الولادة وتسهيل ذلك وكيفية العناية بالمولود الجديد، وكيفية استحمامه، وتدبير النفساء وعن استخراج المشيمة. وعن تكون اللبن وإرضاع المولود، وحفظ صحة المرضع.

أما القسم المتبقي من الكتاب فخصصة لطب الأطفال.

تكلم في خمسة أبواب منها عن أسنان المولودين (أجزاء حياتهم) حيث قسمها على طريقة من سبقوه إلى أربعة أجزاء حسب أعمارهم وتكلم في كل جزء من الأجزاء عن كيفية نمو الطفل أعضائه وحواسه وحركاته، والأمراض التي تصيبه في كل دور، وكيفية علاج ذلك بطريقة تدل على دقة ملاحظته وطول باعه في حقل طب الأطفال بالنسبة لتلك الفترة الحضارية. وسوف أذكر فيما يلي بإيجاز أبرز النقاط التي ذكرها في كل جزء خوفاً من الإطالة.

١ ــ **الجزء الأول**: وهو الجزء من الولادة إلى أن يبلغ أربعين يوماً.

يتكلم في هذا الجزء عن الأمراض التي قد تصيب الطفل في هذا الدور، ومن جملة ذلك يذكر القلاع (أو التهاب الفم). القيء، السعال، السهر، الفزع، ورم السرة، والرطوبة السائلة من الأذن، السعفة والرية، الرؤاس (كبر الرأس). صغر الرأس.

وفي معالجة هذه الأمراض يذكر وصفات طبية قسماً من ابتكاره وقسماً آخر منقولاً عن غيره مع ذكر اسم صاحب الوصفة بأمانة علمية.

٢ ــ **الجزء الثاني**: وهو الجزء من أربعين يوماً إلى وقت نبات الأضراس.

وحسب رأيه أن نبات الأضراس يكون بين ٥ـ١٠ أشهر. والأمراض التي أدخلها في هذا الجزء مصيص اللثة (أي حكة وألم في موضع نبات الأسنان). و يسجل عريب هنا كغيره من الأطباء العرب تغير حال الطفل عند نبات الأسنان (وهو ما نسميه أعراض التسنين) فيقول بأنه: يحدث لديه قيء وإسهال وحميات، إلا أن العلم الحديث يستوجب حالياً نفي سبب هذه الأمراض بالفحص الطبي، فإذا ما فعلنا ذلك عزوناها للتسنين، علماً بأن غالبية الأطفال لا تحدث لديهم أية أعراض أثناء التسنين.

و يتحدث هنا أيضاً عن علّة الصبيان (أي الاختلاجات) . وفي نهاية هذا الجزء يتكلم عن الحول، أنواعه وعلاجه.

٣ — **الجزء الثالث :** وهو الجزء من نبات أضراسهم إلى وقت أثغارهم.

يتكلم في هذا الجزء عن مواعيد كلام الطفل ومشيه وفطامه وكيفية العناية به خلال هذه الفترة وتدر يبه على الكلام والمشي والتدرج في الفطام... الخ كل ذلك بطر يقة علمية صحيحة. وأما الأمراض التي ذكرها في هذا الجزء ورم الحلق إذ يقول: «وقد يعرض للطفل في هذا الحد من السنة إلى وقت إثغاره ورم الحلق، وذلك لأن الصبيان إذا نطقوا وقوي كلامهم وكثرت حركة ألسنتهم بالنطق سخنت اللوزتان في أصل اللسان، و يصفيان الرطوبة من **فضل** الدم»، في الجزء الأخير نجد إشارة من عر يب إلى وظيفة اللوزتين. ومن ملاحظاته في هذا الجزء الوصف الدقيق والجميل لمرض الر بو حيث جاء وصفه مطابقاً لما يذكره أطباء اليوم.

وكان محقاً إلى حد ما حين تكلم عن الحصاة، كيفية حدوثها والظروف الملائمة لتكونها حيث قال: «فأما الحصى المتولد في مثانة الصبي فإنه مرض خاص بهم ولا سيما من كان في الدرجة الثالثة من حدود أسنانهم، وذلك لأنه يتجاوز الطر يق القصوى في المطعم من بعد فطامه بالرضاع، فتجتمع في بدنه أخلاط كثيرة و ينحدر من أغلظها شيء في البول إلى المثانة وتهيجها الحرارة التي هي في أصحاب هذا السن كثيرة فتصير مادة لتولد الحصى وذلك لأن عنق مثانة الصبي ضيقة فلا تنفذ فيها المادة الغليظة فتتحجر تلك المواد».

ثم يمضي في سرد وصفات لعلاج الحصى وعسر التبوّل والبول في الفراش، وعن الدود والحيات ومن أقواله الصحيحة في الدود «فيتولد الدود الدقيق في أسفل الأمعاء وتتولد الحيات في أعلى الأمعاء... وأما الدود العر يض الذي يشبه حب القرع فقليل ما يتولد في الصبيان» وفي نهاية الجزء يتحدث عن بعض الأمراض الجلدية وعلاجاتها والتي لا تخلو من ملاحظات صائبة أيضاً.

٤ — **الجزء الرابع :** وهو الجزء من أثغارهم إلى وقت أشعارهم وقرب احتلامهم.

في بداية هذا الجزء يقول: «قد يعرض للصبيان في هذا الجزء الرابع من أسنانهم كثير من العلل المتقدمة في الأسنان الأول». و يتكلم في هذا الجزء عن الجدري والحصبة إلا أنه لا يفرق بينهما وكذلك عن الرمد وحدود ختن الصبي وكيفيته.

والباب الخامس أي الباب الأخير من الكتاب يتكلم فيه عن احتلام الغلمان وحيض الجواري ومواقيت ذلك وما يحدث معه من التغيرات لدى البنت والولد من الطباع والشكل. وكذلك يتكلم عن تجزئة الأسنان بالنسبة لحياة الإنسان بصورة عامة.

آراء عر يب في تربية الأطفال:

يقول عريب : «وفي الفصل الرابع من أسنان الطفل يضمون إلى التأديب ويحملون على تعلم شرائع الدين و يؤمرون بالصلاة، و يوعدون من الخير ما يبقى راسخاً في القلوب.

و يؤمر عند ذلك بدفع الصبي إلى معلم حاذق رقيق يدار يه بالتخويف مرة و باللين أخرى، لأن الصبي يربو جسمه وتحسن تربيته وخصبه مع السرور و ينحل بدنه بالذبول مع الخوف وتعب النفس وربما تبلد عند ذكر التخويف والحذر.

فإذا بلغ الغلام اثنتي عشرة سنةعلم الحساب والمساحة وسائر ذلك من علوم الفلسفة والطب فإن ذهنه يقوى على ذلك في هذا السن و يلقن ما يعلم به هذا السن آخر أسنان الأطفال ثم تأخذهم بعد ذلك أحكام الرجال» (٦٥ ص ٥٩).

علي بن العباس المجوسي

مجوسي الأصل إلا أنه مسلم، من سكان الأهواز، من أبناء القرن العاشر الميلادي. والكتاب الملكي المعروف بكامل الصناعة الطبية من أشهر كتبه و يعتبره البعض من أحسن الكتب الطبية باللغة العربية حتى ظهور قانون ابن سينا (٣٠ ص ١٣٧).

وقد خصص علي بن العباس في الجزء الثاني من كتابه هذا ثلاثة أبواب لطب الأطفال (٦٩ ص ٥٢-٥٨).

الباب العشرون : في تدبير أبدان الأطفال: و يبحث فيه كيفية العناية بالمولود حديث الولادة وبعض الأمراض التي يصاب بها ومعالجتها.

الباب الحادي والعشرون : في تدبير الظئر: و يبحث فيه عن شروط المرضعة وكيفية العناية بصحة المرضعة.

الباب الثاني والعشرون : في تدبير الصبيان الذين قد تجاوزوا حد الرضاع: و يبحث فيه كيفية العناية بالطفل وتربيته حتى سن اثنتي عشرة سنة.

وهوفي كل ما كتبه عن طب الأطفال يضاهي ما كتبه ابن سينا إن لم يكن أجود منه.

إخوان الصفا

من أشهر الجماعات السرية الهدامة على رأي البعض التي نشطت في مطلع القرن الرابع الهجري، زمن عضد الدولة، وضعت المؤلفات العلمية والفلسفية والدينية على شكل رسائل، وكان الظاهر من غاياتهم الإصلاح الاجتماعي إلى جانب تبسيط ونشر الأفكار العلمية الحرة.

الأمور المتعلقة بالطفل والأم الحامل نجدها ضمن رسالتين من رسائلهم:

أولا : الرسالة الخامسة والعشرون من رسائل إخوان الصفا «في مسقط النطفة».

تبحث هذه الرسالة في خمسة الفصول الأولى منها في أمور الحمل وعلم الأجنة، حيث تبدأ الرسالة بالتحدث عن مدة الحمل ثم تطور نمو الجنين في الرحم والتغيرات التي تحدث فيه شهراً بعد شهر، وعن موعد الولادة. وهم يعتقدون بأن كل ذلك مرتبط بشكل أساسي بالكواكب السيارة السبعة، ومسار أفلاكها. فالتدبير في الشهر الأول لزحل، وفي الثاني للمشتري، وفي الثالث للمريخ، وفي الرابع للشمس، وفي الخامس للزهرة، وفي السادس لعطارد، وفي السابع للقمر، ثم يرجع التدبير في الثامن لزحل وأخيرا في التاسع للمشتري. إلا أنه على الرغم من ذلك فإن ذكرهم للتغيرات التي تحصل في الجنين وتطوره لا تخلو من الأفكار الصحيحة.

ثانياً : الرسالة الثانية والخمسون من رسائل إخوان الصفا:

جاء في هذه الرسالة ذكر خمسة فصول قصيرة لها علاقة بالحامل، متى كان الحمل، ومتى تلد، وفي اختيار وقت الحمل، وفي موت الجنين في بطن أمه، وحال المولود في بطن أمه. وهنا أيضاً أساس علمهم مبني على علم التنجيم وقراءة الطالع.

أحمد بن أبي الأشعث

ظهر بعد موت الرازي، ملأ حديثه الآفاق كطبيب ومعلم وتوافدت عليه طلبة العلوم الطبية لتستفيد من محاضراته (٣ ص ٢٤٨) وكان يدرس في الموصل. كانت وفاته في سنة ثلاثمائة ونيفاً وستين للهجرة.

أشهر مؤلفاته في طب الأطفال، كتاب في الجدري والحصبة والحميقاء مقالتان (٢٨ ص ١٠). لم نطلع عليه.

أحمد بن محمد البلدي

هو الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى البلدي. عربي مسلم مدينة بلد (بلط)، وهي مدينة إسكي موصل الحالية والقريبة من مدينة الموصل في العراق. من أبناء القرن الرابع الهجري. كان حياً قبل ٣٦٨هـ. من أبرز تلامذة أحمد بن أبي الأشعث.

مؤلفاته:

إن كتابه الوحيد الذي ذكره ابن أبي أصيبعة وغيره هو: «كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم». لقد أكملنا تحقيقه وصدر عن وزارة الثقافة والإعلام

العراقية في نهاية سنة ١٩٨٠م.

لم نعثر على مؤلف آخر له سوى إشارة في كتابه آنف الذكر حول عزمه تأليف كتاب في الجدري والحميقاء، ولا ندري إن كان قد ألفه أم لا.

محتويات الكتاب:

إن الكتاب في نظرنا يعتبر أكمل وأحسن ما كتب في بابه ليس بالنسبة لزمانه فحسب بل حتى عصر النهضة العلمية الأوروبية بسنوات، لاحتوائه آراء الأطباء الذين سبقوه وعاصروه إضافة لحصيلة **ضخمة من خبراته وتجاربه في كيفية العناية بالحامل وعلم الولادة ومعالجة الأمراض النسائية، والعناية بالطفل من الناحية الجسمية والنفسية والتربوية، ومعالجة أمراضه المختلفة.**

قسم الكتاب إلى ثلاث مقالات:

المقالة الأولى: وهي تشتمل على سبعة وخمسين باباً:

في تدبير الحبالى والأطفال والأجنة ومداواة ما يعرض من الأعراض والأمراض فيهم وذكر ما ينبغي أن يتقدم بذكره.

لقد سبق أن اقتطفنا الكثير من أقواله في مواضع مختلفة من الكتاب، لا نرى حاجة لتكرارها هنا بل سنوجز أهم النقاط التي لها علاقة بالأطفال في هذه المقالة والمقالات الأخرى:

١ — تأكيده على المنهج التجريبي في تربية الطفل وتدبيره ومعالجة أمراضه، حيث بين منهجه المعتمد على الحس والقياس والتجربة والمشاهدة في مواضع مختلفة من الكتاب.

٢ — لقد أفاض في التحدث عن تطور ونمو الجنين في الرحم، وتكلم عن العلامات الدالة على قوة الجنين أثناء الحمل، والعوامل التي تساعد على سلامته كلاماً علمياً صحيحاً.

المقالة الثانية: في تربية الأطفال والصبيان وتدبيرهم وحفظ صحتهم، وأبرز ما ذكره هنا كان:

١ — العلامات التي استدل بها على حال المولود عند الولادة إن كان صحيحاً أو سقيماً في جملتها صحيحة، ولم يضف الطب الحديث عليها سوى بعض العلامات التي لا تعتبر أساسية في التشخيص.

٢ — تعاليمه في كيفية العناية بصحة الطفل من ناحية نومه واستحمامه وملابسه وفراشه وتغذيته وتطور حركاته ونموه، كلها في غاية الدقة والصحة العلمية ولا زالت تطبق حتى اليوم.

٣ — لقد اتضحت في كتاباته أهمية الصحة النفسية في تربية الطفل، وجاء منهجه الصائب في التربية

النفسية والأخلاقية للطفل وكأنه من نتاج العصر الحاضر.

المقالة الثالثة : في الأمراض والأوجاع الحادثة بالأطفال والصبيان ومداواة كل واحد منها:

من أهم ما نذكره له في هذا الباب:

١ ــ لقد انفرد البلدي في تأكيده على اختلاف تأثير العلاجات باختلاف الأشخاص وأكد على ضعف تأثير العلاج على الشخص نفسه بمرور الأيام لتعوده عليه وهي ملاحظة جديرة بالإعجاب والإكبار، لأن العلم الحديث توصل مؤخراً إلى إثبات هذه الحقيقة. كما وأنه أكد في مواضع أخرى من الكتاب على اختلاف تأثير العلاجات حسب اختلاف الأعمار.

٢ ــ أن ما كتبه عن أمراض الأطفال ومعالجتها شملت أجهزة الجسم المختلفة المعروفة في زمانه، وأهم ما جاء ذكره حسب التقسيم الحديث لأجهزة الجسم كان:

١ ــ **أمراض الجهاز الهضمي:** تكلم هنا عن القيء، والمغص العارض للصبيان، الحصر والاعتقال، خروج المقعدة، خروج السرة، الدود والحيات، القلاع.

٢ ــ **الجهاز التنفسي:** الزكام، السعال، الربو، سوء التنفس.

٣ ــ **الجهاز العصبي :** التشنج، العطاس، السهر.

٤ ــ **الجهاز البولي :** عسر التبول، ورم المثانة، فيمن يبول في الفراش.

٥ ــ **الأمراض المعدية:** الكزاز، الحصبة، الجدري، الحميقاء، وهويقصد به (الجدري الكاذب).

وتجدر الإشارة هنا إلى نقطتين مهمتين بالنسبة لتاريخ الطب.

الأولى: أن البلدي استعرض وصفاً منفصلاً لمرضي الحصبة والجدري مما يدل على أنه كان عارفاً بأنهما مرضان مختلفان وليسا مرضاً واحداً ولا نعلم إن كان قد أخذ ذلك عن الرازي أو غيره أم أنه توصل إلى ذلك بخبرته.

الثانية: يظهر أن البلدي كان أول من ذكر فكرة الحصانة ضد الأمراض وليس ابن رشد كما يدعي البعض. فقد سبقه البلدي بالتأكيد على أن المصاب بالجدري والحصبة مرة لا يصاب به مرة أخرى كما ذكرنا تفصيل ذلك سابقاً.

٦ ــ **الأمراض الجلدية:** السعفة، القروح، البثور، القوباء، السحج والرطوبة، الثواليل.

٧ ــ **أمراض الأنف والأذن والحنجرة:** رطوبة الأذن، قروح الأذن، اللحم النابت في الأذن، الدود في الأذن، الرعاف، أورام الحلق.

٨ ــ **أمراض العين:** الرمد، بياض العين، الحول.

٩ ــ **جراحة الأطفال :** فتح الخراجات، شق المثانة لإخراج الحصاة، شد الثوليل لإخراج الأجسام الغريبة من البلعوم.

الزهراوي

هو أبو القاسم خلف بن العباس الزهراوي، نسبة إلى الزهراء وهي مدينة قرب قرطبة، كان مولده سنة ٩٣٦م حيث عاش ومارس الطب وتوفى سنة ١٠١٣م. هو أعظم من نبغ في الجراحة بين العرب.

آراؤه القيمة في جراحة الأطفال أعدها في كتابه المشهور: «التصريف لمن عجز عن التأليف»، وقد أتينا على ذكر أهمها في قسم جراحة الأطفال.

ابن مندو يه الأصفهاني

هو أحمد بن عبد الرحمن بن مندو يه الأصفهاني، المتوفى سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م له رسالة في أوجاع الأطفال.

هناك نسخة خطية منها في مكتبة المتحف العراقي ضمن مجموعة مكتوبة سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٦م.

الرسالة تقع في خمس صفحات يتحدث فيها عن تنفط الجلد، السعال، نبات الأسنان، الإسهال، الاعتقال، الكزاز، بثور اللثة، الشرى، انسلاخ أصل الفخذ، الرطوبة السائلة من الأذن، ورم اليافوخ، ضرر النفس، انتفاخ العين، البياض، العطاس، قطع السرة، وتربية الطفل. والرسالة لا جديد فيها يذكر. وكل ما جاء فيها تكرار لما قاله الآخرون السابقون من الأطباء العرب.

ابـن سينـــا

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، رائد من رواد الفكر الإنساني. ولد في بخارى ٣٧١هـ/ ٩٨٠م ألف ٢٧٦ كتاباً. ما يخص الأطفال منها:

١ — لقد خصص ابن سينا في كتابه «القانون» في الطب في الجزء الأول قسماً لتربية الأطفال وأمراضهم وسماه «التعليم الأول في التربية» وهو أربعة فصول، وفي الجزء الثالث من القانون ثبت ابن سينا فصلاً في الحصبة والجدري وآخر في الحميات، وكذلك فصلاً في تشنج الأطفال ولإعطاء صورة مصغرة متكاملة عن آراء ابن سينا في طب الأطفال رأيت أن أستعرض الموضوع حسب تقسيمه هو للموضوع:

الفصل الأول : في تدبير المولود كما يولد إلى أن ينهض: في هذا الفصل نجد آراءه وآراء من سبقوه في الأمور الواجب اتباعها والاعتناءات الواجب اتخاذها في رعاية المولود حديث الولادة.

الفصل الثاني : وبعد شرحه المتكامل لكيفية تهيئة الطفل الوليد، ينتقل هنا للكلام عن كيفية الرضاعة وعن اللبن (الحليب) ومزاجه وقيمته الغذائية. ثم يسرد تعاليمه وشروطه بالنسبة للمرضعة، بتعبير صحيح وأسلوب سلس بليغ لا يقل من الناحية العلمية عما يكتبه أي كاتب حديث في طب

الأطفال. ثم بعد ذلك ينتقل إلى الحديث عن كيفية الفطام وأوقاته.

الفصل الثالث : عقد ابن سينا هذا الفصل للتحدث عن الأمراض التي تعرض للصبيان وعلاجاتها في أسلوبه المتسم بالبساطة والسهولة، فسرده للأمراض وعرضه للعلاجات ينساب في سلاسة خلال الفصل كله ويمكن إيجاز ذلك فيما يلي:

١ ــ **أمراض الأنف :** وتشمل عنده أورام اللثة، لذع اللثة، القلاع.

٢ ــ **أمراض العين :** انتفاخ العين، بياض في الحدقة، سلاق.

٣ ــ **أمراض الأذن :** وجع الأذن، سيلان الأذن.

٤ ــ **أمراض الجهاز التنفسي :** سوء التنفس، السعال، الزكام، ورم الحلق.

٥ ــ **أمراض الجهاز الهضمي :** استطلاق البطن، القيء، الفواق، المغص، ضعف المعدة، خروج المقعدة، الزحير، الديدان.

٦ ــ **أمراض الجهاز العصبي :** البكاء، عدم النوم، ريح الصبيان، الأحلام المفزعة.

الفصل الرابع : وهو الأخير، خصصه لتدبير الأطفال إذا انتقلوا إلى سن الصبا. في هذا الفصل يستعرض ابن سينا فصول التربية النفسية للأطفال على أحسن الطرق التربوية، فيؤكد على تقويم الأخلاق ومعاملة الطفل كإنسان لديه أحاسيس، فأوصى بأن يعامل بالحسنى وألاّ يقيّد بقيود الجدية طول الوقت بل يجب أن يفسح له المجال في اللعب والرياضة و يعتبر ذلك من الأمور الضرورية لنمو عقل الطفل وجسمه على حد سواء. ثم يؤكد أن خير عمر لدخول الطفل المدرسة هي السنة السادسة من عمره.

أما في بقية أجزاء القانون الأخرى نقع هنا وهناك على ملاحظات أخرى وشذرات نفيسة عن أمراض الأطفال، فمثلاً عن أسباب التبوّل في الفراش يقول كلاماً جميلاً و يؤكد على كون الناحية النفسية لها أثر كبير في علاج ذلك. وفي موضع آخر يتكلم عن علّة الصبيان (التشنجات) التي تعرضنا للكلام عنها سابقاً.

٢ ــ الأرجوزة في الطب :

عرض ابن سينا في هذه الأرجوزة كل ما يتعلق بصناعة الطب ــ على خلاف القانون ــ بشكل مختصر وجامع وعلى شكل أشعار من بحر الرجز ليسهل على طالب الطب حفظها. ترجمت للاتينية في القرن الثالث عشر الميلادي باسم كانتيكوم أو كانتيكا (ومعناها الأغنية يعني القصيدة). احتوت الأرجوزة من جملة ما احتوته أبياتاً أوجز فيها ابن سينا علم ذلك الزمان وآراءه في مسألة العناية بالأم الحامل و بالولادة والعناية بالجنين أثناء الحمل والطفل عند الولادة واختيار المرضعة الملائمة، بأسلوب سلس ممتع لم يسبقه إلى ذلك أحد من قبل.

ولأجل الإحاطة بكل ذلك رأينا تقسيمها إلى أربع مجاميع، ذاكرين أرقام الأبيات في بداية كل منها:

المجموعة الأولى: يؤكد ابن سينا في هذه المجموعة أن الطفل يختلف عن الكبير في بنائه الجسمي والفسلجي الأمر الذي يستوجب تمييزه عن الكبير في المعالجة والعناية، وقد جاءت تأكيداته هذه في أماكن متفرقة من الأرجوزة وهي دون شك لا تخلو من الصحة.

(٥٤) والحي يختلف في الأسنان... كلامنا منه على الإنسان

(٥٥) حرارة الشبان والأطفال... مزاجها مقترب الأحوال

(٥٦) لكنما الشبان لليبوسة... والطفل ذو رطوبة محسوسة

(٣٩٣) والطفل نبضه سريع رطب... والكهل نبضه بطيء صلب

(٧٨٣) كالشيخ والناقه والطفل... فضعفهم مختلط بالكل.

المجموعة الثانية: شملت كل ما يتعلق بمسألة العناية بالأم الحامل لكي ينمو الجنين في بطنها نمواً سليماً ويولد ولادة طبيعية. فمن ذلك العناية بغذائها وشرابها، وعدم فصدها أو إعطائها المسهلات، وعدم تعريضها إلى شدات خارجية كالوثبة أو الصيحة أو الضربة. ومن نصائحه عند اقتراب الولادة إدخالها الحمام وتدليكها وتغذيتها غذاءاً جيداً وأن تقوم القابلة بمساعدتها عند الوضع لتسهل ذلك، ولمعالجة اختلاطات الولادة كالنزيف الشديد أو عدم نزول المشيمة يصف الأدوية اللازمة. وللمرضعة عنده كما هي الحال عند أغلب الأطباء العرب شروط لابد من توفرها لكي تكون أهلاً للقيام بذلك. إن عرضه لهذه الأمور كلها كان عرضاً علمياً صحيحاً وبطريقة شاعرية جميلة:

«تدبير الطفل وأولاً في بطن أمه»

(٩١٣) الطفل يحفظ ببطن أمه ... كي لا تصيب آفة في جسمه

(٩١٤) فاحتط على الحامل في معدتها ... كي لا ترى الفساد في شهوتها

(٩١٥) ويصلح الدم وينقى الفضل ... ذاك الذي يكون منه الطفل

(٩١٦) والظئر إن تطعمه أو تسقيه ... فاختر له مدة سن التربية

(٩١٧) إن هاجها دم فلا تفصدها ... بل بالبرود والتطافي أقصدها

(٩١٨) أو هاجها خلط فلا تسهلها ... بل بتلطيف عاملها

«تدبير المخاض»

(٩١٩) فإن دنا وقت لوضع حملها ... فشب أمور وضعها بسهلها

(٩٢٠) الدلك في الحمام للأخصار ... وما يلي الحمل من الأقطار

(٩٢١) بالدهن كيما يستلين العصب ... ولا يكون عند وضع تعب

(٩٢٢) واجعل غذاءها من السمين ... واحسها من مرق دهين

(٩٢٣) واحذر عليها صيحة أو وثبة ... أو روعة أو صرخة أو ضربة

(٩٢٤) واسقها في وضعها من شدة ... طبيخ تمر فيه ماء حلبة

(٩٢٥) واجعل لها قابلة في فطنة ... تمد رجليها بغير حنة

(٩٢٦) ثم إذا تقيمها بمرة ... عاصرة لبطنها بحكمة

(٩٢٧) إن سال منها زائد من الدما ... فاسقها أقرصة من كهربا

(٩٢٨) أو لم يسل منها دم من ضر ... فاسقها أقرصة من مر

(٩٢٩) وإن مشيمة بها لم تنزل ... فاستعمل التبخير بالمحلل

(٩٣٠) كالمر والقطران أو كالأبهل ... ومثل كبر يت ومثل حنضل

«اختيار الظئر»

(٩٣١) واختر له المرضع من فتاة ... في سنها من متوسطات

(٩٣٢) لحمية ليس بها من رهل ... مزاجها يقرب من معتدل

(٩٣٣) جسيمة عظيمة الثديين ... نقية الرأس مع العينين

(٩٣٤) سالمة من كل ضر داخل ... صحيحة الأعضاء والمفاصل

(٩٣٥) ذات لبان ليس باللطيف ... في رقة وليس بالكثيف

(٩٣٦) أبيض لون حلو طعم طيب ... لا منتن متصل إذ يسكب

(٩٣٧) وغذها بالحلو والدهين ... والسمك الرطب مع السمين

المجموعة الثالثة : أفرد ابن سينا لمسألة العناية بالوليد حديث الولادة، استقباله، العناية بجلده، مضجعه، وغذائه فصلاً باسم «تدبير الطفل في خاصته» وأقواله هنا جاءت اختصاراً لما ذكره في القانون في باب تدبير المولود كما يولد إلى أن ينهض وكان صائباً في أكثر ما ذكره:

(٩٣٨) ادهنه بالقابض عند شده ... حتى ترى صلابة جلده

(٩٣٩) وحمه تنظف من أخلاطه ... و وسط الشد على قماطه

(٩٤٠) ولا ترضعه كثيراً فيتخم ... ولا تمانعه زماناً فيحم

(٩٤١) ولا تعامله بشيء يقلقه ... يمنعه المناما أو يؤرقه

(٩٤٢) الزمه إن أردت أن يناما ... مهداً وطيئاً يره الظلاما

(٩٤٣) وامزج له الخشخاش بالطعام ... إن منع الضر من المنام

(٩٤٤) الزمه في يقظته الضياء ... كما يرى النجوم والسماء

(٩٤٥) كثّر له الألوان بالنهار ... لكي تضرّ يه على الأبصار

(٩٤٦) ناغيه بالأصوات في تعليم ... كما تضرّ يه على التكليم

(٩٤٧) ألعقه من عسل أو حنكة ... وامسح به لسانه وادلكه

(٩٤٨) واجعل قليل رب سوس فيه ... وكندر وخلّه في فيه

(٩٤٩) واسعطه يا هذا لكي تشفيه ... من سدة في الأنف أو تصفيه

(٩٥٠) لأن هذا مصلح إحساسه ... وصوته ومطلق أنفاسه

(٩٥١) وامنعه أن يفصد أو أن يسهلا ... حتى تراه يفعة قد اعتلى

(٩٥٢) وما اعترى من ورم أو حب ... فلا تقابله له بجذب

المجموعة الرابعة : وهي الأخيرة جمع فيها ابن سينا أسباب التشوهات التي تحصل في الطفل بشكل دقيق وشامل وكأنه يتكلم بلسان أطباء اليوم، ويمكن إجمال الأسباب التي ذكرها بما يلي:

١ — التغيرات في غذاء الحامل.

٢ — التغيرات المرضية في تركيب الرحم.

٣ — التغيرات في المني.

٤ — إصابات الولادة غير الاعتيادية.

٥ — سوء تدبير الطفل في مضجعه.

٦ — الحوادث، وسوء معالجة الكسور.

٧ — نتيجة إصابته ببعض الأمراض كالجذام، الارتخاء (الشلل)، التشنج.

٨ — الأورام.

يقــول :

(٢٦٩) والسبب المفسد للأشكال ... يكون في إعداد ذي الأمثال

(٢٧٠) بسبب في رحم ردى ... أو قل «الانقياد من منيّ».

(٢٧١) أو من ولاد ساء في الخروج ... يحدث سوء الشكل بالتعويج

(٢٧٢) والظئر إذ تسيء في القماط ... أو رضاع منه أو انحطاط

(٢٧٢) أو ربما كثرت الطعاما ... أو ربما أساءت الفطاما

(٢٧٤) و يقع الطفل بضعف إن ترك ... فتكسر الوقعة أفر يز الورك

(٢٧٥) وتشدخ الأنف فيعروه الفطس ... ولا يرد الطب ما قد انتكس

(٢٧٦) إن حرك الذي يقل صبره ... عظماً كسيراً لم يتم جبره

(٢٧٧) وكثرة في الخلط كالجذام ... وقلة كالكسل في الدوام

(٢٧٨) أو لقوة من ارتخاء عصبه ... أو مثل تشنج يميل الرقبة

(٢٧٩) وأثر الأورام والقروح ... قد تفسد الأشكال في السطوح

٣ ـ رسالة السياسة (أو في سياسة الرجل ولده):

شملت هذه الرسالة الأمور التالية:

(١) اختيار الاسم الحسن والمرضعة الجيدة : وفي ذلك يقول: «إن من حق الولد على والده، إحسان تسميته ثم اختيار ظئره كي لا تكون حمقاء ... ولا ذات عاهة».

(٢) تأديب الطفل وعقابه منذ الصغر : يقول: «فإذا فطم الصبي عن الرضاع بدىء بتأديبه ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة... فينبغي لغنم الصبي أن يجنبه مقابح الأخلاق... بالترهيب أو الترغيب... وبالحمد مرة وبالتوبيخ أخرى ما كان كافياً. فإن احتاج إلى الاستعانة باليد لم يحجم عنه وليكن أول الضرب قليلاً موجعاً... بعد الإرهاب الشديد وبعد إعداد الشفعاء». نجد ابن سينا هنا وهويقرر التربية الخلقية للطفل قد سبق علماء التربية الحديثة، فقد وضع صورة كاملة عن تربية الوليد، إذ أكد ضرورة البدء بتهذيبه وتعويده الخصال الحميدة قبل أن ترسخ فيه العادات القبيحة، أما إذا اقتضى عقابه فإنه يجب مراعاة الحذر فلا يعنف أولاً وإنما يؤخذ باللطف والمديح تارة وبالتأديب أخرى وإذا كان لابد من ضربه فيجب ألاّ يتردد المربي في ذلك على أن تكون الضربات الأولى قليلة ومؤلمة وألاّ يلجأ إليها إلا بعد التهديد والوعيد وتوسط الشفعاء.

(٣) التعليم : إن أسس التعليم عند ابن سينا تدور في الأمور التالية:

أ ـ صفات المؤدب : يؤكد علماء التربية بأن للمحاكاة تأثر بارز في نمو الطفل العقلي والخلقي ولذلك نجد ابن سينا يؤكد على هذه الناحية فيشترط أن يكون المعلم نموذجاً طيباً وقدوة حسنة للطفل لكي لا يؤثر أثراً سيئاً في نفس الطفل المقلد فيقول: «وينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلاً ذا دين، بصيراً برياضة الأخلاق، حاذقاً بتخريج الصبيان، وقوراً رزيناً... غير كز ولا جامد بل حلواً لبيباً ذا مروءة ونظافة ونزاهة».

ب ـ المنهج الأولي للتربية الإسلامية : ومنهجه في ذلك يشمل حفظ بعض السور القصيرة من القرآن الكريم، وحفظ معالم الدين بطريقة التلقين ثم يتعلم حروف الهجاء، وتروى له بعض القصص الدينية والشعر الذي قيل في الأدب والعلم والأخلاق، على أن يكون ذلك بطريق الحفظ والاستظهار بدءاً بالسهل الخفيف ثم الأصعب وحسب المستوى العقلي للطفل، يقول: «ينبغي البدء بتعلم القرآن وصور له حروف الهجاء، ولقن معالم الدين، وينبغي أن يروي الصبي الرجز ثم القصيدة... ويبدأ من الشعر بما قيل في فضل الأدب ومدح العلم... وما حث على بر الوالدين واصطناع المعروف وغير ذلك

من مكارم الأخلاق».

ح – تجنب التعليم المنفرد واختيار الصبية الذين يدرس معهم: يقول: «و ينبغي أن يكون الصبي في مكتبة صبية من أولاد الجلة حسنة آدابهم مرضية عاداتهم، فإن الصبي عن الصبي ألقن وعنه آخذ و به آنس، وانفراد الصبي بالمؤدب أجلب الأشياء لضجرهما فإذا راوح المؤدب بين الصبي والصبي كان ذلك أنفى للسآمة... وأحرص للصبي على التعلم». إن ابن سينا كان على حق في كل ما نادى به حيث أن الأخلاق هي كل شيء في الحياة، والتربية المعاصرة توجب تجنب التعليم المنفرد وتؤكد على حاجتنا للأخلاق الفاضلة قدر حاجتنا إلى العلم كما أن القدوة الحسنة والبيئة الطيبة في أخلاق الطفل أمر مفروغ منه اليوم.

٤ – التربية لكسب العيش: يؤكد هنا ابن سينا ضرورة درس ميول الطالب وأهوائه كما ينادي بمبدأ التخصص بعد الدراسة الثقافية الروحية بغية توجيهه للعلم أو العمل وهو يتفق تماماً مع ما ينادي به اليوم علماء التربية الحديثة عند اختيار الدراسة المهنية للشباب وما يلائم طبيعة الطالب كي نضمن نبوغه في مسلكه، يقول ابن سينا: «وإذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته فوجه لطريقه، فإذا أراد به الكتابة أضاف إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس وما أشبه، وطورح الحساب ودخل به الديوان. وأن أريد أخرى أخذ به فيها بعد أن يعلم مدير الصبيان أن ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية لكن ما شاكل طبعه وناسبه» ثم يقول: «فلذلك ينبغي لمدبر الصبي إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أولاً طبع الصبي وسبر قريحته ويخبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك فإذا اختار له إحدى الصناعات تعرف قدر ميله إليها ونظر هل جرت منه على عرفان أم لا وهل أدواته وآلاته مساعدة عليها أم خاذلة ثم يبت العزم».

الغـــزالي

هو أبو حامد بن محمد الغزالي. فيلسوف مربٍ مسلم ولد في عام ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م وتوفي عام ٥٠٥ هـ/ ١١١١م. أشهر مؤلفاته «إحياء علوم الدين». أما أهم مؤلفاته التي لها علاقة بتربية الأطفال فهي:

١ – قسم في كتابه «إحياء علوم الدين» بعنوان: «بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم» (٦١ ص ٦٢). يؤكد الغزالي هنا بأن التربية من أهم الأمور وأن الطفل أمانة عند والديه عليهما مراعاته وتعويده الأخلاق الحميدة بإرشاده وتوجيهه إلى بيئة صالحة كاملة في البيت والمدرسة والمجتمع وصيانته من قرناء السوء وأن يمنع من مخالطة الأطفال المدللين. وآراؤه في تعليم الطفل وما يجب أن يدرس في المكتب لا عيب فيه.

أما آراؤه في التربية الخلقية فقد شملت تشجيعه للأخلاق الكريمة وعدم الإكثار من لومه وتوبيخه وأن يكون عتابه بحكمة، و يذكر أيضاً وصايا في الآداب العامة كآداب الطعام واللباس والجلوس في المجالس. ومما يؤكده أيضاً تعويده على الزهد، والرفعة في العطاء لا الأخذ، والصبر إذا ضربه المعلم، وإطاعة والديه ومعلمه ومؤدبه.

أما آراؤه في التربية الجسمية هنا فشملت منعه من النوم نهاراً ومن التنعم بل يعود على الخشونة ولا يهمل الرياضة بل يؤكد على استعمال الرياضة للطفل والسماح له باللعب بعد الانتهاء من الكتاب.

لم نذكر هنا نصوصاً من أقواله لأننا سوف نذكر غالبيتها في الفصل القادم.

٢ـ **رسالة أيها الولد: يقدم الغزالي في هذه الرسالة مباديء تربوية مازالت محتفظة بنكهتها الفلسفية والعلمية التي لا تقف حدود فائدتها عند الطفل، بل تتعداه إلى الحدث والفتى والشاب وأبرز المباديء التي يمكن استخلاصها في هذه الرسالة (١٨):**

(١) الايمان وضرورته والتعقل وأثره: يحتل الايمان عند أبي حامد أهمية خاصة في ميدان التربية، فهو الأساس الذي يطمئن إليه في ضمان نقاء وصدق الانسان. أما عن التعقل الذي يعني السيطرة على الشهوات فإنه يؤكد أن العاقل هو من سلك طريق الحق والصواب والحلال وامتاز بالسلوك المتزن والتصرف الحكيم، وفي ذلك فقط إحكام لسيطرة العقل على حاجيات الجسد.

(٢) النقد الذاتي والنية الحسنة أساس الثقة بالجماعة: نحن مطالبون بمراقبة سلوكنا ومراجعة ذواتنا، ووزن أفعالنا وتصرفاتنا، لكي لا نشذ عن الطريق المستقيم، وذلك ما اصطلح عليه بـ«محاسبة النفس» أي النقد الذاتي. و يضع الغزالي للحقيقة الخلقية معايير، منها ترك ثواب العمل ــ النافع ــ لا ترك العمل ذاته، لأن العمل هو الأساس (الدافع) أما الثواب (الأجر المادي أو المعنوي) فيأتي بالدرجة الثانية، وفي ذلك تهذيب للنفس من الجشع.

(٣) الجد والمثابرة وربط العلم بالعمل وتقييم العمل: يحذر الغزالي من خطر إضاعة الوقت في أمور لا تعنينا ويحث على المتابعة والقراءة المستمرة لاكتساب العلم والمعرفة بالليل والنهار و يوصي بوجوب تحويل العلم إلى عمل و وضع المعارف موضع التطبيق العملي فيقول: «العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون، وأفضل العلم هو من تمثله الإنسان واستوعبه» (٦٠ ص ٢٧). و يقول: «لا أجر بلا عمل ولا عمل بلا أجر، إن عاجلاً أو آجلاً ــ فليس للانسان إلا ما سعى ــ» (٦٠ ص ٢٣) **كما يؤكد** مبدأ أخلاقياً آخر وهو أن المطلوب منا بذل الجهد لتحقيق القدر الموازي له في الكسب بحسب قيمة العمل المعنوية.

(٤) الشجاعة في الموازنة بين حقيقتي الموت والحياة: المنطق العقلي المقترن بالايمان الطبيعي يحث الإنسان على أن ينظر إلى (الموت) نظرة طبيعية، يتهيأ له بكل طمأنينة باعتباره قدر لا مفر منه،

وأن الحياة التي يحياها الإنسان في الدار الدنيا أو الدار الآخرة توجب عليه أن يأخذ لكل منها بزاد، «فزاد الدنيا العلم والعمل الذي في سعته وعمقه يكمن زاد الآخرة» (٦٠ ص ٢٧). والابن الخير هو الذي يسعى لزاد الدنيا والآخرة، وفي ذلك السعي موازنة ذهبية تضبط السلوك، وتحكم التصرف وتكون مدعاة للاستقامة والخلق الحميد.

(٥) الأخلاق بالدربة والمثل الأعلى في التربية: يؤكد الغزالي على ضرورة وجود التوجيه المستمر والرعاية الدائبة للطفل والفتى لكي نحول دون انحراف تربيته من جراء تعرضه إلى مؤثرات البيئة غير الموجهة. لذلك اشترط وجود المربي أو المرشد (أو الشيخ) كي يأخذ بيد التلميذ و يسدي له النصيحة لضمان التوجه نحو الخير و«ليخرج الأخلاق السيئة منه بالتربية، و يغرس بدلاً عنها خلقاً حسناً» (٦٠ ص ٣٧). أما المثل الأعلى فقد اعتبر الغزالي وجوده نادراً ندرة الكبريت الأحمر لكنه لم يعدم وجوده بالكلية في تاريخ الأمة ومن الممكن استلهامه من بين السلف الصالح والقادة الأوائل ومتابعة مسيرتهم وسلوكهم وتصرفاتهم واتخاذهم قدوة حسنة لأبنائنا.

(٦) الاستقراء الناقص وأهميته العلمية: لا يجيب الغزالي على أسئلة «الولد» كلها بل يتركه يبحث عن بعض الحقائق بنفسه، يكتشفها باجتهاده لكي لا ينشأ اتكالياً فيخاطبه قائلاً: «اعمل أنت بما تعلم لينكشف لك ما لم تعلم» (٦٠ ص ٦٠). **وأبو** حامد في ذلك يشخص لنا واحداً من المبادىء العلمية التي مازالت تعترف بقيمتها مناهج البحث العلمي والفلسفي المعاصر، ونعني به مبدأ (الاستقراء الناقص) المستند على الاستنتاج والاستنباط والتركيب.

(٧) القيم الخلقية الواجبة الالتزام: يعرض لنا فيلسوفنا ثمرات اكتساب العلم والمصاحبة من قيم خلقية ملتصقة بحياتنا اليومية، تعزز من موقع الانسان وتشده مع الجماعة التي يعايشها وأهمها الاتيان بالأفعال ذات النفع العام، التحكم العقلاني في السلوك والتعامل اليومي مع الآخرين، مساعدة الآخرين والتعاون، التقوى حق وواجب إن كان لله سبحانه وتعالى أو للإنسان، القناعة المتأتية من الجهد الذي يبذله الإنسان، المحبة والتسامح، الوضوح في السلوك والسعي بإخلاص وشرف، التفاؤل المتأتي من التوكل على الله في طلب الرزق.

يحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي

المتوفى سنة ٤٩٣ هـ. من مؤلفاته (كتاب تقويم الأبدان في تدبير الإنسان)، في هذا الكتاب يفرق **بين أمراض الأطفال والشباب والشيوخ على شكل مقارنة و يتكلم عن كثير من أمراض الأطفال وكيفية علاجهم. إلا أننا لم نجد فيه جديداً لم يذكره الآخرون.**

علي بن رضوان

كانت وفاته سنة ٤٥٣ هـ/١٠٦١م بمصر. مؤلفاته (٣ ص ١٧١) التي لم يتيسر لنا الاطلاع عليها:

١ — مقالة في أن جالينوس لم يخلط في أقاو يله في اللبن على ظن قوم.

٢ — رسالة في علاج صبي أصابه المرض المسمى بداء الفيل وداء الأسد (إنها من المؤلفات الضائعة).

أبو الحسن علي بن هبل البغدادي

المتوفى سنة ٦١٠ هـ لقد عقد أربعة فصول عن تدبير المولود وتغذيته ومداواة أمراض الأطفال في كتابه المختارات في الطب الجزء الأول. وفيها الكثير من الأفكار القيمة والآراء السديدة.

حيث سرد في فصل «خلق الإنسان» علم الأجنة بالنسبة لزمانه وفي فصل «في تدبير المولود» ابتداء بتقديم النصائح للحامل للحفاظ على الجنين من أي مكروه ولتسهيل ولادته. ثم تكلم عن كيفية استقبال المولود والعناية به عند الولادة وكيفية تغذيته ونومه. وصفات الحليب الجيد وشروط المرضعة وكيفية تغذيتها. وكيفية تعويد الطفل على الأكل وفطامه والعناية به عند بروز أسنانه ومشيه.

وفي الفصل الذي يلي ذلك تحدث عن مداواة أمراض الأطفال.

والأمراض التي ذكرها كانت (التشنج، الإسهال، القلاع، أورام في ناحية أوتار اللحيين، الكزاز، ورم السرة، القيء، سهر وبكاء، زكام وسعال، **التفزع** سيلان الرطوبة من الأذن، عطاس، ورم اللوزتين **اللهاة**، ريح الصبيان، الفتق، الحمى، البثور، انتفاخ الأجفان، سحج الفخذين، الدود).

وفي الفصل الذي بعد ذلك تكلم عن كيفية العناية بغذاء الطفل وتربيته بعد أن يكبر وكيفية اختيار المعلم الجيد وتعويده الخصال الحميدة وتوجيهه الوجهة الصحيحة بالنسبة لمستقبله.

ابن زهــر

هو أبو مروان عبد الملك بن زهر (١٠٩٤-١١٦٢م). هناك فقرتان في كتابه «الأغذية» لها علاقة بالأطفال:

١ — **ذكر ما يحفظ الأجنّة في الأجواف:** من أقواله الصحيحة هنا: «من ذلك ألاّ تتعرض الحامل لعمل من الأعمال الشاقة الصعبة ولا إلى حركة قوية شديدة ولا إلى استفراغ بفصد ولا بدواء مسهل.. وخاصة في أوائل الحمل... وأن تتجنب الوثب والجري ورفع الأثقال».

٢ — **القول في تدبير الطفل:** ومن أقواله المهمة هنا: «وكانت جرت عادة القدماء وكثير من اليونانيين بأن يذروا على جسم الطفل عند الولادة الملح ليصلب جسمه... فأما أنا فأرى أن

الملح لجسمه غير موافق... وفي ذلك خير من الملح مثل دهن البلوط ففيه من التصليب الحاجة وهو مع ذلك لا يلذع ولا يؤذي ولا يسهر».

نجد في القول السابق دليلاً آخر على أن الأطباء العرب لم يتقيدوا بآراء السابقين ولم يقلدوهم تقليداً أعمى كما اتهمهم به غير المنصفين من المؤرخين.

ومن أقواله الجيدة الأخرى هنا قوله: «... وهكذا الأطفال فإنهم إذا اشتدت أعضاؤهم وقويت. طلبوا كل ما يرون حواضنهم يأكلنه فيأكلونه للاستلذاذ...» «ويجب إذا كان الطفل يأكل باستلذاذ ويستمرىء ما يأكله أن يفطم، وعندما يفطم يجب أن يتعاهد بشرب الألبان المحمودة كلبن المعز بسبب اعتياد اللبن ولأنه أوفق الأغذية له. فإذا اشتد وقويت أعضاؤه لم يمنع اللعب على رفق، وبعد ذلك إذا تجاوز سبع سنين أخذ في تعليمه وتأديبه وفي ذلك كله لا يمنع أن يمرح بعض النهار(*)» (٦ ص ٣٢).

ابن طفيل

ولد أبو بكر محمد بن عبد الملك بن الطفيل القيسي في أوائل القرن الثاني عشر للميلاد في وادي آشن شمال غرناطة. كان فيلسوفاً وأديباً وشاعراً وعالماً بالفلك والرياضيات والطب. صار وزيراً لصاحب المغرب عبد المؤمن وابنه المنصور. توفي في مراكش سنة ١١٨٥م. له كتابان في الطب، الأول: «أرجوزته» التي نعتقد بأن فيها شيئاً له علاقة بطب الأطفال إلا أننا لم نطلع على هذه المخطوطة، والآخر هو قصته المشهورة: «حي ابن يقظان» والتي نجد فيها إشارات إلى مسألة خلق الجنين، وغذاء الطفل وتربيته.

زكريا بن محمد القزويني

من أولاد الفقهاء، ينتهي نسبه إلى أنس ابن مالك خادم رسول الله (صلى الله عليه وسلم).. توفي ٦٨٢ هـ ــ ١٢٨٣ م. كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات كتاب علمي يشتمل على علوم الطبيعة بأسرها. نجد فيه هنا وهناك بعضا مما له علاقة بطب الأطفال، من ذلك:

النظر الثالث ــ في تولد الإنسان: يتكلم هنا عن بداية تكون الجنين، ووضع الجنين في الرحم، سبب الذكورة والأنوثة، في وضع الحمل، كما يحوي بين دفتيه وصفات تتعلق بمعالجة بعض أمراض الأطفال.

(*) كتاب الأغذية الورقة ٣٢/من صورة للورقة مستنسخة بالدفلوب أرسلت لي من قبل الدكتور ضياء نوري حسن الذي يقوم بتحقيق الكتاب.

ابن النفيس

هو علاء الدين بن أبي الحزم المعروف بابن النفيس (٦٠٧-٦٦٩هـ/ ١٢١٠-١٢٩٨م). له رسالة في أوجاع الأطفال لم يتيسر لنا الاطلاع عليها (٢٧ ص ٦٣).

ابن القف

أبو الفرج بن القف (١٢٣٢-١٢٨٦م) يستهل كتابه ١ ـ: «جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض» بكيفية تكوين الجنين والأسنان وأمزجتها وحفظ صحة الحبالى والمرضعات وحفظ صحة الطفل قبل الفطام وبعده وفي أيام الصبا والشباب والكهولة والشيخوخة (٢٩ ص ١٦)، لم يتيسر لنا الاطلاع عليه.

٢ ـ كتاب العمدة في الجراحة تكلم في بعض فصول الجزء الثاني عن أمور تتعلق بطب وجراحة الأطفال ذكرها متفرقة هنا وهناك ومن بين ذلك في الفصل الثاني من المقالة الرابعة عشرة تكلم عن علاج الحصبة وبين بأن ذلك يختلف عن علاج الجدري.

وفي الفصل السادس من المقالة التاسعة عشرة تكلم عن أنواع وعلاج الماء الذي يجتمع في رؤوس الصبيان.

وفي الفصل العشرين والذي يليه من نفس المقالة تكلم عن علاج من يولد من الأطفال وكمرته ومقعدته غير مثقوبة وعن تطهير الأطفال.

وفي الفصل الحادي والثلاثين تكلم عن الأصابع الزائدة والملتصقة.

ابن قيم الجوزية

الشيخ شمس الدين قيم الجوزية هو محمد بن أبي بكر الإمام الفقيه، ولد سنة ٦٩١هـ وتوفي سنة ٧٥١هـ.

سرد آراءه في طب الأطفال في كتابه: (تحفة المودود بأحكام المولود). حيث قسم كتابه هذا إلى سبعة عشر باباً بحث في الأبواب الخمسة عشر الأولى الناحية الشرعية في أحكام المولود، ومن بين الموضوعات التي تكلم عنها، استحباب طلب الأولاد، وكراهة تسخط ما وهب الله من البنات، استحباب بشارة من ولد له ولد ذكر، استحباب الآذان والإقامة في أذنه، في العقيقة، وأحكامها، في حلق رأسه، في ذكر تسميته ووقتها، في ختان المولود وأحكامه، في استحباب تقبيل الأطفال، في وجوب تأديب الأولاد وتعليمهم والعزل بينهم.

وفي الباب السابع عشر والثامن عشر نجد حشداً وخلاصة لآراء الأطباء في بعض ما يتعلق بطب

الأطفال حتى زمانه إضافة لآرائه وما توصل إليه بثاقب بصيرته وفطنته وتجربته في هذا الحقل، والطب الحديث يقره في أغلب ما ذكره والجزء الذي لا يقره عليه لا يشكل عيباً عليه حيث أن العلم الطبي كغيره من العلوم التجريبية دائم التغير والتطور كما هو معلوم. وأبرز مما له علاقة بالطفل، تكونه، ونشأته، وتربيته:

١ — **تكون وتطور الجنين:** يتحدث في الباب الأخير من الكتاب عن كيفية تكوّن الجنين وتخلقه وعن تطوّره وتكون أعضاء الجسم، ثم يتحدث عن مقدار زمان الحمل واختلاف الأجنة في ذلك، وفي سبب الشبه للأبوين أو أحدهما. كما و يتحدث عن المولودين لسبعة وثمانية أشهر وهو في كل ذلك يستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأحياناً بأقوال أبقراط. ولا شك بأن الحق كان معه في بعض المواضيع قياساً لما نعرفه اليوم في علم الأجنة الحديث.

٢ — **بكاء الطفل والعناية به من الناحية النفسية:** بعد أن أكد ابن القيم بأن بكاء الطفل ساعة ولادته يدل على صحته وقوته وشدته يقول: «وإذا وضع الطفل يده وإبهامه أو أصبعه على عضو من أعضائه فهو دليل على ألم في ذلك العضو» (٢٠ ص ٢٢٤). وهذا ما نطبقه اليوم نحن أطباء الأطفال فإننا كثيراً ما نسأل عند فحص الطفل هل شاهدته يمد يده كثيراً إلى أذنه فإن كان الجواب نعم كان عوناً لنا في تشخيص التهاب الأذن الوسطى.

و بعد أن يبين بأنه لا بأس من بكاء الطفل إن لم يكن هناك سبب مرضي، يحذر تعريضه لما يزعجه من الأصوات الشديدة والمناظر الفظيعة والحركات المزعجة، وهو في كل ما ذكر لم يجانب أصول التربية وخصائص علم النفس الحديث.

كما يحذر أيضاً من منع الطفل من القيام ببعض المتطلبات الضرورية له حفظاً على نمو قدراته النفسية بانتظام وتجنباً له من الكبت فيقول: «واحذر كل الحذر أن تحبس عنه ما يحتاج إليه من نوم أو طعام أو شراب أو عطاس أو بول ... فإن لحبس ذلك عواقب رديئة في حق الطفل الكبير» (٢٠ ص ١٨٥).

٣ — تغذية الطفل وفطامه: تناول ابن القيم هنا أوقات الرضاعة ونوعية الغذاء وكيفية تعويد الطفل على الطعام وفطامه بالتدريج ،وكان مصيباً في أغلب ما ذكر.

٤ — **نمو حواس الطفل ومشيه:** لم يغفل ابن القيم عن ذكر تطور ونمو حواس الطفل ونشاطه العقلي، ومشيه بل حاول بثاقب بصيرته تتبع ذلك. وأقواله جاءت مطابقة للأبحاث التربوية الحديثة.

٥ — **تربية الطفل الخلقية والمهنية:** إن ابن القيم شأنه شأن الفقهاء والفلاسفة العرب والمسلمين قاطبة اشترط تعويد الطفل أحسن العادات وأكرم الأخلاق وأجمل النظم، وأكد على القدوة الحسنة من المربي وحسن اختيار جماعة الأصدقاء. كما ونادى بمبدأ التخصص بعد الدراسة

الثقافية الروحية في بدء حياة الطفل وهو ما ينصح به علماء التربية اليوم عند اختيار الدراسة المهنية، فيجب أن نفكر فيما يناسب طبع المتعلم وما يلائمه وما يميل إليه كي ينبغ في دراسته ولنضع كل فرد في المكان الذي يناسبه و يصلح له. يقول في ذلك: «ومما ينبغي أن يعتمد حال الصبي وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها... فإن رآه حسن الفهم صحيح الإدراك جيد الحفظ واعياً، فهذه من علامات قبوله وتهيئته للعلم... وإن رآه بخلاف ذلك من كل وجه وهو مستعد للفروسية وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالرمح... مكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها... وإن رآه بخلاف ذلك... ورأى عينه متفتحة إلى صنعة من الصنائع... وهي صناعة مباحة نافعة فليمكنه منها...» (٢٠١ ص ١٩٠).

كمال الدين محمد بن موسى الدميري

المتوفي (٨٠٨هـ ــ ١٤٠٥م)، نجد بعض الوصفات البسيطة المتناثرة هنا وهناك من الكتاب لها علاقة بمعالجة الأطفال، وهي في غالبيتها منقولة عن السابقين وليس لها أهمية علمية.

داوود الأنطاكي

من أطباء القرن العاشر الهجري. أشهر كتبه هو كتاب: «تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب» أو ما يسمى: (تذكــرة داود). هناك بعض الإشارات لأمراض الأطفال فيه نذكر منها:

يقول عن أسباب مرض «أم الصبيان» وهو ما نسميه الاختلاجات، بأنه يحدث في عدد من أمراض الدماغ و بعضهم أدركه في الاختناق و بعضهم في الحميات (٩ ص ١٣). وفي علاج ذلك يذكر تشر يط الأذن الذي ربما يوحي لنا معرفة قسم من الأطباء العرب بما يشبه المعالجة بالوخز بالإبر الذي يقوم به الأطباء الصينيون قديماً وحديثاً.

وفي الجزء الثالث من كتابه وفي كلمة (مولود) يتحدث عن كيفية العناية بالمولود حديث الولادة. وفي كلمة (الرضاع) يتحدث عن المرضع وشروطها وصفات الحليب الجيد. وكيفية ترو يض الطفل على الرضاع ونجد هنا فقرة مهمة لم نجدها لغيره من الأطباء العرب وهي إعطاؤه أرقاماً على قدر حاجة الطفل اليومية من الحليب حيث يقول: «قالوا وأقل ما يرتضع الطفل في اليوم والليلة مائة وخمسين درهماً والأكثر فيما قالوا خمسمائة» (٩ ص ٣٥). وله قول آخر مهم هنا حول انتقال بعض العلاجات في حليب المرضع فيقول: «وتعالج المرضع إن لم يكن ولا بد من دواء قوي فلا ترضع يومه» (٩ ص ٣٥).

وفي «لبن» يتحدث عن تركيب وأنواع الحليب.

ثم يتحدث عن الفطام قولاً علمياً صحيحاً لا يختلف عمّا نقوله اليوم فيقول: «و يسمى الانتقال الثاني لأنه بالنسبة إلى الرضاع انتقال آخر يجب عند تمام الحولين قطع المولود من اللبن لا لأنه يضر

بعدها كما هو مشهور بل لعدم الاكتفاء به لطلب الأعضاء غذاء يقوم بها فلو أضيف الرضاع إلى غيره جاز» (٣٥٩).

الفصل السادس

القواعد الأساسية في التربية والتعليم عند العرب والمسلمين



القواعد الأساسية في التربية والتعليم عند العرب والمسلمين

لقد عني الفلاسفة والعلماء والفقهاء العرب والمسلمون عناية بالغة بشؤون التعليم والتهذيب والإصلاح. اشتهر منهم في المشرق العربي من أمثال، الفارابي في كتابه (إحصاء العلوم)، وابن مسكويه في كتابه: «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق»، والغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين» ورسالته «أيها الولد»، وكتب علي بن العباس المجوسي فقرات في كتابه: «كامل الصناعة الطبية» عن تعليم الطفل، وأحمد بن محمد البلدي خصص لتربية الطفل فصولاً في كتابه: «تدبير الحبالى والأطفال والصبيان»، ثم جاء ابن سينا بمؤلفه «تدابير المنازل أو السياسات الأهلية» وقد أفرد فيه فصلاً في سياسة الرجل ولده» كما خصص فصلاً في كتابه القانون لتربية الأطفال سمّاه «التعليم الأول في التربية».

أما في المغرب العربي فقد كتب الكثير من الكتاب والفلاسفة في تربية الطفل على رأسهم محمد ابن سحنون من أعلام المغاربة في أواسط المائة الثالثة ألف كتاباً مشهوراً سماه «آداب المتعلمين» واعتمد عليه من جاء بعده في تعليم الأحداث، كما عرف القابس القيرواني بكونه من أعلام أواسط المائة الرابعة في المغرب وهو مؤلف كتاب «الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين»، وهناك القرطبي الأندلسي في كتابه «جامع أشتات العلم وفضله»، وابن الجزار القيرواني الذي كتب فصلاً عن تربية الطفل في كتابه «سياسة الصبيان وتدبيرهم» والفيلسوف ابن خلدون أورد فقرات في التعليم والتربية للأحداث وذلك في مقدمته المشهورة، وخير من كتب في هذا الموضوع برهان الدين الزرنوجي في رسالته تعليم المتعلم طريق التعلم.

نحن هنا سوف نحاول الإحاطة وبإيجاز بأهم القواعد والأسس التي اتبعها وسار على ضوئها هؤلاء الأعلام في تدريس وتربية الأجيال العربية التي رفعت رايات العلم والمعرفة ردحاً طويلاً من الزمان.

١ — بداية سن التعليم :

لم تحدد سن لبدء تعليم الطفل، فكان بعض الآباء يرسلون أولادهم للتعلم حيناً في الخامسة من عمرهم وأحياناً أخرى في السادسة أو السابعة، ولم تلزمهم الحكومة بإرسالهم في سن معينة. وقد انتقد العبدري في كتابه: «مدخل الشرع الشريف» الآباء الذين يرسلون أبناءهم إلى الكتاتيب قبل السنة السابعة من العمر، قائلاً: «إن سن السابعة هي السن التي يكلف فيها أولياء الأمور تعليم الأولاد الصلاة والفضائل من الأخلاق ولكن الأطفال يذهبون الآن للتعليم في سن مبكرة، فليحذر المدرس من

تعليمهم القراءة في سن مبكرة، لأن تعليمهم المبكر في الرابعة أو الخامسة يرهقهم جسمياً وعقلياً».

والتربية الحديثة اليوم تؤكد ما رواه العبدري من علماء الإسلام قديماً في نقد التبكير في إرسال الأطفال إلى المدارس في سن الرابعة أو الخامسة، وإذا أرسلوا في تلك السن فإنهم يرسلون إلى رياض الأطفال ليلعبوا ويتعلموا بطريقة اللعب في التربية (١ ص ١٩٢).

٢ ــ التلقين والتحفيظ:

لقد اعتمد المعلمون على طريقة التلقين والحفظ وذلك لتفضيل العرب الاعتماد على الذاكرة كما ورد في كثير من أحاديثهم، وأسباب ذلك كما نعتقد هو عدم توفر الكتب الكافية وصعوبة الاستنساخ والكتابة، وقد اجتهد العرب في تطوير هذه الطريقة إذ جعلوها على مراحل وكان الأسلوب الشرحي خاصاً بالمراحل العليا من التعليم» (٥٤ ص ٨٨).

٣ ــ السير من المحسوس إلى المجرد:

لقد أكد ابن خلدون على أن الابتداء بالأمثلة الحسية التي تعين المبتدىء على فهم ما يلقى إليه (٥٦). وورد في رسائل إخوان الصفا أيضاً أن السير في التعليم من المحسوس إلى المجرد ومن الحسي إلى النظري والاعتماد على جميع الحواس **الخمس** في اكتساب المعلومات (٥٥ ص ٢١٣) **هو** الأساس في طريقة التعليم وقد أثبتت التجارب التربوية الحديثة صحة ما ذهبوا إليه.

٤ ــ المدة التي يمكثها الطفل في الكتاب:

لم تكن هناك مدة محدودة يمكثها الطفل للتعلم في الكتاب فقد كان الطفل يرسل إلى المكتب فيتعلم مبادىء القراءة والكتابة، ثم يأخذ في حفظ السور القصيرة، ويستمر في حفظه حتى يحفظ بعضه **أو كله، وقد يستمر الصبي في الكتاب إلى سن المراهقة، ويتعلم دروس الدين وبعض الأحاديث والحساب والنحو والشعر (١ ص ١٩٣).**

٥ ــ اختلاف الطرق والأساليب تبعاً لسن المتعلمين:

لقد أدرك العرب أن مفاهيم الطفل تختلف عن مفاهيم وخبرات الكبار، لذلك فقد اختلفت المواد التدريسية تبعاً لذلك وقسم التعليم إلى مراحل تناسب سن الطفل.

وممن نادى بذلك المبدأ الغزالي حيث تحسس الفرق بين إدراك الصغار وإدراك الكبار فقال: «إن من أول واجبات المربي أن يعلم الطفل ما يسهل عليه فهمه، لأن الموضوعات الصعبة تؤدي إلى ارتباكه العقلي وتنفره من المعلم» ويعد هذا الرأي من أهم الآراء في التربية الحديثة في القرن العشرين، ويشاركه **العلامة** ابن خلدون في هذا المبدأ فهو يرى أيضاً مراعاة إدراك الطفل ومستواه عند التدريب» حيث يقول:

«وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا، يجهلون طرق التعليم وإفادته، ويحضرون

للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم، و يطالبون ذهنه بحلها، ويحسبون ذلك مرانة على التعليم وصوباً فيه... فإن قبول العلم والاستعداد له ينشأ تدريجياً، فيكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم جملة، إلا الأقل، وعلى سبيل التدريب والإجمال بالأمثلة الحسنة، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً بمخالفته مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه، والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم التحصيل». فالغزالي وابن خلدون وغيرهما يرون أن تفكير الطفل يخالف الرجل ويجب مراعاة ذلك في طرق التدريس. (١ ص ١٩٣).

٦ ـ فردية التعليم ومراعاة ميول الطفل:

أو بعبارة أخرى جعل الفرد محوراً للطريقة وأساساً لها حيث أكد معظم المربين على ذلك وأشاروا إلى دراسة ميول وقابليات الأطفال ومراعاة ذلك لمعرفة استعداد الفرد وقبوله لما يرد عليه (٥٥ ص ١٤٦-٢١٤). فبين ابن خلدون أن مطالبة الأطفال بدراسة المسائل الصعبة التي هي فوق مداركهم تؤدي إلى إجهادهم إجهاداً عقلياً، وإلى كراهيتهم الدائمة للمعلم والتعليم ونادى بأن تكون المادة مناسبة في سهولتها وصعوبتها لإدراك الطفل. كما طالب علماء التربية العرب والمسلمين بمراعاة استعدادات المتعلم الفطرية وقدراته الطبيعية عند إرشاده إلى المهنة التي يختارها في مستقبل حياته.

فقد نادى ابن سينا بالعناية بدراسة ميول الطفل، وجعل ذلك أساساً لإرشاده وتربيته يقول: «ليس كل صناعة يروقها الصبي ممكنة له مواتية، ولكن ما شاكل طبعه وناسبه، ولذلك ينبغي لمدير الصبي إذا رام اختيار صناعة أن يزن أولاً طبع الصبي، و يسبر قريحته، ويختبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك» (٤).

و يقول المجوسي: «فإذا أتى على الصبي اثنا عشر سنة فينبغي أن يراض الصبي فيما يحتاج إليه من التعليم والتعرف» (٦٩ ص ٥٨). وأقوال ابن القيم سبق أن ذكرناها وهي تؤكد نفس هذه المعاني.

وهنا نلمس أن التربية عند العرب والمسلمين لا تختلف عن التربية الحديثة في مراعاة مستوى الطفل ومن اختيار المادة له، والتدرج معه في الدرس على قدر استعداده، وإعطاء الذكي فرصة في إتمام تعليمه بأي وسيلة، وتوجيه الغبي إلى الاشتغال بالناحية العملية بعد اختبار ذكائه. وأن فكرة الاختبارات العقلية أو مقاييس الذكاء التي نفخر ونتباهى بها في القرن العشرين قد روعيت في العصور الذهبية للتربية الإسلامية بطريقة عملية، ولا أبالغ إذا قلت أن فلاسفة الإسلام نادوا بما ننادي ونفخر به اليوم(١).

٧ ـ التدرج في التعليم وعدم المزج بين علمين في وقت واحد:

وذلك لأنه أيسر على المتعلم تفرغه إلى العلم الواحد حتى يتقنه، ثم ينتقل بعد ذلك إلى غيره، و يكون تلقين العلوم تدريجياً قليلاً قليلاً(٥٠). وهذا ما يريده علماء التربية اليوم من قولهم: «الانتقال

من السهل إلى الصعب».

٨ ــ اللعب والترويح عن النفس والرياضة:

لقد أحس علماء التربية العرب والمسلمون بأن الطفل في حاجة إلى اللعب والترويح عن النفس بعد الانتهاء من دروسه ليزيل ما يحس به من السآمة والملل أو التعب.

يقول الغزالي في ذلك: «وينبغي أن يؤذن له (للصبي) بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب الكتب، بحيث لا يتعب في اللعب فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه بالتعلم دائماً يميت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً» (٦١).

ويكون بذلك قد سبق علماء النفس في القرن العشرين، وقد نادى العبدري أيضاً بضرورة اللعب والترويح عن النفس بعد ساعات الدرس ويقول ابن سينا في ذلك: «إذا أتى عليه من أحواله ست سنين فيجب أن يقدم إلى المؤدب والمعلم ويدرج أيضاً على ذلك ولا يحكم عليه بملازمة الكتاب كرة واحدة يكون هذا النهج في تدبيرهم إلى أن يوافوا الرابع عشر من سنهم» (٥).

وعن الرياضة تكلم غالبية المربين والأطباء العرب. على سبيل المثال:

يقول المجوسي: «يفعل ذلك إلى أن يبلغ أربع سنين فإذا جاوز ذلك وصار إلى حد التعليم فيبغي أن يطلق له اللعب مع أقرانه قبل أن يغتذي ثم تحمه بالماء الحار المعتدل الحرارة..» ثم يقول: «وإذا جاوز الصبي هذه السنين وبلغ سبع سنين فينبغي أن يستعمل الرياضة التي لا سرف فيها ويحم بالماء المعتدل الحرارة... ولا نطلق له الرياضة بعد الغداء» (٦٩ ص ٥٨).

ويقول الغزالي في ذلك: «ويعود الصبي في بعض النهار بالمشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل» (٦١).

ومما قاله ابن سينا في هذا الصدد: «الرياضة حركة إرادية تضطر التنفس العظيم المتواتر والموفق لاستعمالها على جهة اعتدالها في وقتها به غناء عن كل علاج تقتضيه الأمراض المادية والأمراض المزاجية» (٥ ص ٥٨).

أما البلدي فإنه يتكلم عن أنواع الرياضة وأوقاتها كلاماً في غاية الدقة العلمية حيث يقول: «إن الرياضة والحركة يجب أن يكون استعمالها في كل واحد لا في الأطفال والصبيان فقط، عند انهضام الأغذية المتقدمة في أبدانهم وانحسارها عن معدتهم... وقبل استحمامهم... وأصناف الرياضة ثلاثة... إما أن تكون من أنفسنا، وإما أن تكون من غيرنا، وإما أن تكون بالأدوية... فأما الحركة من غيرنا كحركة ركوب الخيل وركوب السفن والمهود والمراجيح فليس بموافق لجميع الأبدان في جميع الأوقات... وأما الحركة عن النفس فأول ما يقوى الصبيان على أن يتحركوا من قبل أنفسهم فمنذ يبتدئون يجسرون ويزدادون قوة على ذلك إذن بالمشي... فإنك لن تقدر على منع الصبي من أن يركض

برجليه و يصفق بيديه ولا إن اضطرته وحصرته .. فإذا أتى للمولود من مولده ثلاث أو أربع سنين احتمل ما كان من الحركة والرياضة بالسفر بمقدار معتدل فإذا تجاوز الصبي ذلك حتى تأتي له ست أو سبع سنين فقد يحمل من الحركات ما هو أقوى من ذلك حتى أنه يصير قوياً «على أن يألف ركوب الخيل» (١٤ ص ٩٦).

ولقد كثرت ألعاب أطفال العرب حتى ليصعب على المستقصي إحصاؤها وليس للمتحقق من شك في أن أمة كالعرب اشتهرت بالشجاعة والبراعة والفروسية والسعي و بسطة الأجسام والصحة التامة، قد كثرت ألعاب أطفالها كثرة عظيمة لوثاقة الصلة بين الألعاب والقوة والفتوة والرياضة البدنية ولسنا بصدد أن نذكر هذه الألعاب (٢١) هنا لضيق المجال، ونكتفي بأن نضرب مثلاً على اهتمامهم بلعب الأطفال، وجود سوق خاص للعب الأطفال في بغداد أيام المقتدر (٢٤ ص ٣٧).

المبادىء الأساسية في تهذيب أخلاق الصبي وتربيته:

إن الغرض من تربية الأطفال في الإسلام هو العناية بهم من الناحية الخلقية والجسمية والعقلية، لأن الطفل في حاجة إلى قوة في الجسم والعقل والخلق لذا نرى بأن ذكر بعض آراء فلاسفة الإسلام في تهذيب أخلاق الطفل من الأهمية بمكان نورد منها ما يلي:

١ — العناية بالتربية الخلقية من الطفولة:

لقد أحس فلاسفة التربية العرب والمسلمون بأهمية المرحلة الأولى من الطفولة في التربية الخلقية وتعويد الأطفال العادات الحسنة من الصغر، واتفقوا جميعاً على ضرورة العناية بتربية الأطفال تربية كاملة في أول مرحلة من حياتهم يقول ابن الجوزي في كتابه (الطب الروحاني): «أقوم التقويم ما كان في الصغر، فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان رده صعباً» (١ ص ١١٥).

و يقول الغزالي في ذلك: «وإن الصبي إذا أهمل في ابتداء نشأته خرج في الأغلب رديء الأخلاق».

يقول ابن مسكويه في مكارم الأخلاق والتأديب لتصدر الأفعال كلها جميلة عن الإنسان في فصل (تأديب الأحداث والصبيان خاصة) «إن نفس الصبي ساذجة لم تنقش بعد بصورة وليس لها رأي ولا عزيمة تميلها من شيء إلى شيء، فإذا نقشت بصورة وقبلتها نشأ عليها واعتادها، فالأولى بمثل هذه النفس أن تنبه أبداً على حب الكرامة».

و يقول ابن الجزار في ذلك: «وقد نرى من الصبيان محباً للكذب ونرى منهم محباً للصدق و يرى فيهم اختلاف في الأخلاق ومضادة كثيرة بالطبع فما معنى ذلك، ويحبذ في أن يؤخذ الأطفال بالأدب منذ الصغر وأنت ترى منهم مثل هذا بالطبع من غير تعليم ولا تأديب، أفترى الأدب ينقل الطبع المذموم إلى الطبع المحمود؟».

«فنقول لقائل هذه المقالة، أما ما ذكرت من طبائع الصبيان واختلافهم وقولك أفترى الأدب ينقل

الطبع المذموم إلى الطبع المحمود؟ فلعمري إنه لكذلك، وإنما أوتي صاحب الطبع المذموم من قبل الإهمال في الصبيان وتركه ما يعتاد مما تميل إليه طبيعته فيما هي مذمومة أو يعتاد أشياء مذمومة أيضاً لعلها ليست في غريزته، فإن أخذ في الأدب بعد غلبة تلك الأشياء عسر انتقاله ولم يستطع مفارقة ما اعتاده في الصبا».

«فلذلك أمرنا نحن أن يؤدب الصبيان وهم صغار لأنهم ليس لهم عزيمة تصرفهم لما يؤمرون به من المذاهب الجميلة والأفعال الحميدة والطرائف المثلى إذا لم تغلب عليهم بعد عادة رديئة تمنعهم اتباع ما يراد بهم من ذلك» ثم يقول:

« إن الإنسان إلى العادة أميل وعليها أحرص وبها أشد تمسكاً» (٦٧ ص ١٣٥-١٣٨).

يقول المجوسي في ذلك: «وإذا جاوز الصبي هذه السنين بلغ سبع سنين... و يعودوا الأخلاق الجميلة و يردعوا عند الغضب والغمة والشؤون» (٦٩ ص ٥٨).

٢ — وسائل التربية الخلقية:

إن للتربية الخلقية في الإسلام وسائل منها:

أ — الطريقة المباشرة: وهي طريقة الوعظ والإرشاد والنصح، وذكر الفوائد والمضار والحث على التحلي بمكارم الأخلاق وتجنب الرذائل (١ ص ١١٥).

ب — الطريقة غير المباشرة: وهي طريقة الإيحاء، كأن يلقن الأطفال أحسن الشعر في الحكم، وأحسن النصائح والأخبار ويمنعوا النظر في الشعر السخيف وقد ثبت في علم النفس ما للطريقتين من أثر كبير في تربية الطفل (١ ص ١١٦).

ج — المحاكاة: إن للمحاكاة أثراً كبيراً في التربية الخلقية والعقلية وذلك لأن التقليد عامل رئيسي في المرحلة الأولى لتكوين العادة، فالطفل يرى الشيء يفعل أمامه فيحاكيه و يكرره حتى يصير عادة له. لهذا أوصى ابن سينا بما ينادي به علم النفس اليوم بأن المقلد يجب أن يكون قدوة طيبة ونموذجاً حسناً، حتى لا يترك أثراً سيئاً في نفس الطفل المقلد. حيث ثبت في علم النفس أن الطفل بطبيعته يحاكي ما يحدث في المجتمع الذي يحيط به، حسناً كان أو قبيحاً فهو يحاكي من يعيشون معه أو يتصلون به من حيث لا يشعر أو يشعرون.

د — اختيار المرضعة: إن الأطباء والفلاسفة العرب والمسلمون يؤكدون على تأثر الطفل بالحالة النفسية للمرضع، لذا نجدهم قد اشترطوا على المرضع أن تكون حسنة الأخلاق بعيدة عن الانفعالات الرديئة، فمثلاً يقول ابن سينا في ذلك: «فإن تكون حسنة الأخلاق محمودتها بطيئة عن الانفعالات النفسانية الرديئة من الغضب والغم والجبن وغير ذلك فإن جميع ذلك يفسد المزاج وربما أعدى بالرضاع» (٥ ص ١٥٢). و بذلك يكون ابن سينا قد سبق علماء النفس الحديثين في إثبات هذه الحقيقة.

٣ ـ اختيار أصدقاء الطفل:

أوصى ابن سينا باختيار البيئة التي تتصل بالطفل وخاصة اختيار الأطفال المهذبين الذين يختلطْ بهم في المدرسة يقول في ذلك: «أن يكون مع الصبي في مكتبه صبية حسنة آدابهم مرضية عاداتهم، لأن الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ و بهآنس».و يقول الغزالي في ذلك: «وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء».

و يؤكد على إبعاد الطفل عن الصبية المتنعمين والمترفين لأن النعيم والترف والرفاهية لا تدوم.

٤ ـ عقوبة الطفل وتأديبه:

إن الغرض من العقوبة في التربية الإسلامية هو الإرشاد والإصلاح، لا الزجر والانتقام ولهذا حرص المربون من المسلمين على معرفة طبيعة الطفل ومزاجه قبل الإقدام على معاقبته وشجعوه على أن يشترك بنفسه في أن يصلح الخطأ الذي أخطأه. كما أجمعوا على أن الوقاية خير من العلاج، ولذلك نادوا باتخاذ كل وسيلة لتأديب الأطفال وتهذيبهم من الصغر لكي لا يكون حاجة إلى عقابهم، وخير مثال لما ذكرنا هي الصورة الكاملة في تربية الوليد والتي ذكرها في كتابه: «السياسة» والتي سبق أن ذكرناها. فقد سبق بذلك ابن سينا فلاسفة التربية في القرن العشرين في المناداة بالعناية بتربية الطفل تربية حقة منذ السنوات الأولى من طفولته، كما أن آراءه في العقوبة من حيث عدم معاملة من يستحقون العقاب من الأطفال معاملة واحدة، ومراعاة الحيطة والحذر عند الحكم على الطفل في غاية الحكمة.

وللغزالي أيضاً هنا رأي جدير بالذكر حيث يقول: «ولا تكثر القول عليه بالعقاب في كل حين، فإنه يهون سماع الملامة، وركوب القبائح و يسقط وقع الكلام من قلبه».

أما ابن الجزار فإنه يؤكد نفس المعنى في قوله: «فأما إن كان الصبي طبيعته جيدة أعني أن يكون مطبوعاً على الحياء وحب الكرامة والألفة محباً للصدق فإن تأديبه يكون سهلاً وذلك أن المدح والذم يبلغان منه عند الإحسان أو الإساءة ما لا تبلغه العقوبة من غيره فإن كان الصبي قليل الحياء مستخفاً للكرامة قليل الألفة محباً للكذب عسر تأديباً، ولا بد لمن كان كذلك من إرغاب وتخويف عند الإساءة، ثم تحقق ذلك بالضرب إذا لم ينجح التخويف» (٦٧ ص ١٣٨).



فهرس المصادر



(١) الأبراشي- محمد عطية- التربية الإسلامية وفلاسفتها الطبعة الثانية.

(٢) أبقراط- كتاب الأجنة- طبعة كامبرج ١٩٧٨.

(٣) ابن أبي أصيبعة- عيون الأنباء في طبقات الأطباء.

(٤) ابن سينا- أبوعلي الحسين- تدابير المنازل أو السياسات الأهلية- فصل في سياسة الرجل ولده.

(٥) ابن سينا- أبوعلي الحسين- القانون في الطب- الأجزاء الثلاثة.

(٦) ابن زهر- أبومروان عبد الملك- كتاب الأغذية.

(٧) ابن قرة- ثابت- الذخيرة في علم الطب.

(٨) الأنطاكي- داود -تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب.

(٩) أبو الحب- الدكتور جليل كريم- حبة بغداد- مقال- مجلة المورد- العدد ٤- المجلد ١٩٧٩/٧.

(١٠) أبو دان- السيد سعيد- الصرع عند العرب- بحث قدم للمؤتمر السنوي للجمعية السورية لتاريخ العلوم- حلب ٧/٦ نيسان ١٩٧٧.

(١١) البدري- الدكتور عبد اللطيف- الطب عند العرب (سلسلة الموسوعة الصغيرة- وزارة الثقافة- بغداد).

(١٢) البدري- الدكتور عبد اللطيف- الطب الأكدي.

(١٣) البلاذري- معجم البلدان.

(١٤) البلدي- أحمد بن محمد- تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم- تحقيق الدكتور محمود الحاج قاسم محمد- بغداد- وزارة الثقافة- ١٩٨٠.

(١٥) البغدادي- ابن هبل- المختارات في الطب.

(١٦) البغدادي- عبد الله بن قاسم الحريري الأشبيلي- نهاية الأفكار ونزهة الأبصار- القسم الأول والثاني- تحقيق الدكتور مصطفى شريف العاني- الدكتور حازم البكري- وزارة الثقافة- بغداد ١٩٧٩.

(١٧) توبنجن- مانفرد أولمان- الرواية العربية لأعمال روفس الأفسيس- ترجمة رضوان السيد- بحث قدم للندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب- حلب ٥-١٩٧٦/٤/١٢.

(١٨) الجابري- علي حسين حسن- الغزالي ووصاياه التربوية في رسالة أيها الولد- بحث قدم للحلقة الدراسية حول الطفل في الخليج العربي- البصرة ١٣-١٩٧٩/١/١٥.

(١٩) الجراري- عبد الله بن العباس- تقدم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوربا.

(٢٠) الجوزية- ابن القيم- تحفة المودود بأحكام المولود.

(٢١) **جواد - الدكتور مصطفى- الطفل عند العرب- بحث طبع ضمن دوريات المؤتمر القطري للطفولة ٩-١٣/ ١١/ ١٩٧٩ بغداد.**

(٢٢) الحاج قاسم محمد- الدكتور محمود- مقال الأمراض المعدية عند العرب والمسلمين- مجلة المورد- العدد ٩ المجلد ٤ السنة ١٩٨١.

(٢٣) حداد- سامي- مآثر العرب في العلوم الطبية.

(٢٤) حسن- الدكتور كمال- الطب المصري القديم- المجلد الأول والثاني.

(٢٥) حسين- الدكتور محمد كامل مع مجموعة من المؤلفين- الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب.

(٢٦) حسين- الدكتور محمد كامل، الدكتور محمد عبد الحليم العقبي- طب الرازي دراسة تحليلية.

(٢٧) حمارنة- الدكتور سامي خلف- تاريخ الطب والصيدلة عند العرب.

(٢٨) حمارنة- الدكتور سامي خلف- فهرس المخطوطات العربية في الطب والصيدلة المحفوظة في المكتبة البريطانية.

(٢٩) حمارنة- الدكتور سامي خلف- أبو الفرج بن القف.

(٣٠) خير الله- الدكتور أمين أسعد- الطب العربي.

(٣١) داغر- أسعد- حضارة العرب.

(٣٢) الديوجي- سعيد- التربية والتعليم في الإسلام- محاضرة ألقيت في جمعية رابطة العلماء- فرع الموصل ١٩٧٤/٨/٧.

(٣٣) ديورانت- ول- قصة الحضارة ج ٤ م ٤.

(٣٤) رادبل- صموئيل اكس- مقال باللغة الانكليزية- أول مخطوطة في طب الأطفال- مجلة طب الأطفال الأمريكية- المجلد ١٢٢- تشرين الثاني ١٩٧١.

(٣٥) الرازي- أبو بكر محمد بن زكريا - الحاوي في الطب ج ١.

(٣٦) الرازي- أبو بكر محمد بن زكريا - الحاوي في الطب ج ٧.

(٣٧) الرازي- أبو بكر محمد بن زكريا - الحاوي في الطب ج ٩.

(٣٨) الرازي- أبو بكر محمد بن زكريا - رسالة في أمراض الأطفال ومعالجتهم- ترجمة الدكتور محمود الحاج قاسم محمد.

(٣٩) الرازي- أبو بكر محمد بن زكريا - المنصوري- مخطوطة الاوسكريال.

(٤٠) الرازي- أبو بكر محمد بن زكريا - كتاب في الجدري والحصبة.

(٤١) الزهراوي- أبو القاسم خلف- التصريف لمن عجز عن التأليف- طبعة لندن.

(٤٢) زايد- عبد الحميد أحمد- مقال المآثر الرياضية في مصر القديمة- مجلة عالم الفكر- المجلد ١٠ العدد ٤ السنة ١٩٨٠.

(٤٣) ز ين العابدين- الدكتور وجيه- الإسلام والطفل.

(٤٤) السامرائي- الدكتور كمال- مقال الطب القديم في وادي الرافدين- مجلة المهن الطبية ج ١ السنة ١٩٦٥.

(٤٥) السيوطي- الجامع الصغير.

(٤٦) الشطي- الدكتور أحمد شوكت- تذكرة في تار يخ الطب قبل الإسلام.

(٤٧) الشطي- الدكتور أحمد شوكت- الإسلام والطب.

(٤٨) شلتوت- محمود- من توجيهات الإسلام.

(٤٩) الصفار- عبد الرزاق قاسم- تر بية الطفل ورعايته في الإسلام- بحث قدم للحلقة الدراسية حول الطفل في الخليج العر بي- البصرة ١٣-١٩٧٩/١/١٥.

(٥٠) الطائي- فخر ية جميل، مي يوسف عبود- تر بية الطفل في التار يخ العر بي- بحث قدم للحلقة آنفة الذكر.

(٥١) الطبري- أحمد بن محمد- المعالجات البقراطية- مخطوطة دار الكتب المصر ية.

(٥٢) الطبري- علي بن ر بن- فردوس الحكمة.

(٥٣) طلس- محمد أسعد- التر بية والتعليم في الإسلام.

(٥٤) طوطح- خليل- التر بية عند العرب.

(٥٥) عبد الدايم- عبد الله- تار يخ التر بية.

(٥٦) عاقل- فاخر ملامح من التر بية العر بية- مقال- مجلة العر بي- ع ٢٠٥ السنة ١٩٧٠.

(٥٧) علي- الدكتور جواد- تار يخ العرب المفصل ج ٦.

(٥٨) علي- الدكتور جواد- تار يخ العرب المفصل ج ٨.

(٥٩) علي- الدكتور **داود** سلمان- مقال كيف مارس العرب طب الأذن والحنجرة- مجلة المهن الطبية ج ١-١٩٦٤.

(٦٠) الغزالي- أبو حامد- رسالة أيها الولد- مطبعة المعارف- بغداد ١٩٦٩.

(٦١) الغزالي- أبو حامد- احياء علوم الدين ج ٣.

(٦٢) الغوار بي- الدكتور حامد- بين الطب والإسلام.

(٦٣) فروخ- الدكتور عمر- تار يخ العلوم عند العرب.

(٦٤) القرشي- ابن الأخوة- معالم القربة في طلب الحسبة- طبع كامبرج ١٩٣٧.

(٦٥) القرطبي- عر يب بن سعد الكاتب- خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين.

(٦٦) قطب ـ سيد ـ في ظلال القرآن ـ الطبعة الثانية ج ٢.

(٦٧) القيرواني- ابن الجزار- سياسة الصبيان وتدبيرهم- تحقيق الدكتور محمد حبيب الهيلة.

(٦٨) الكبيسي- الدكتور محمد- مسلك الإسلام في بناء الشخصية الانسانية من خلال عنايته بالطفل- بحث قدم للحلقة الدراسية حول الطفل في الخليج العربي- البصرة ١٣-١٩٧٩/١/١٥.

(٦٩) المجوسي- علي بن العباس- كامل الصناعة الطبية ج ١.

(٧٠) المجوسي- علي بن العباس- كامل الصناعة الطبية ج ٢.

(٧١) محفوظ- اللواء جمال الدين- تربية المراهق في المدرسة الإسلامية.

(٧٢) محفوظ- الدكتور حسين- نظرة إلى الطفل في التراث العربي- بحث قدم للمؤتمر القطري للطفولة- بغداد ٩-١٩٧٩/١٢/١٣.

(٧٣) نصار- الدكتور محمد عبد الستار- الطفولة في ضوء معطيات الإسلام- بحث قدم للحلقة الدراسية حول الطفل في الخليج العربي- البصرة ١٣- ١٩٧٩/١/١٥.

(٧٤) هونكة- سيغريد- شمس العرب تسطع على الغرب.

(٧٥) وافي- الدكتور علي عبد الواحد- الوراثة وقوانينها في الجاهلية والإسلام- مجلة الأزهر ج ٥ السنة٦ ا‌لعدد رجب ١٣٨٤ هـ.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

كتب للمؤلف

- الموجز لما أضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة به- مطبعة الإرشاد- بغداد ١٩٧٤ .
- تاريخ طب الأطفال عند العرب- الطبعة الأولى- وزارة الثقافة والفنون العراقية- بغداد ١٩٧٨.
- رسالة الرازي في طب الأطفال- ترجمة عن الانجليزية - صدر ضمن دوريات المؤتمر القطري للطفولة- بغداد ١٩٧٩.
- تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم- تأليف أحمد بن محمد بن يحيى البلدي- تحقيق : وزارة الثقافة والفنون العراقية- بغداد ١٩٨٠ .
- الطب العربي الإسلامي / مخطوط .

إصدارات تهامة للنشر والمكتبات

سلسلة : الكتاب العربي السعودي

صدر منها :

- الجبل الذي صار سهلا (نفد) — الأستاذ أحمد قنديل
- من ذكريات مسافر — الأستاذ محمد عمر توفيق
- عهد الصبا في البادية (قصة مترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- التنمية قضية (نفد) — الدكتور محمود محمد سفر
- قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا (نفد) — الدكتور سليمان بن محمد الغنام
- الظمأ (مجموعة قصصية) — الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
- الدوامة (قصة طويلة) — الدكتور عصام خوقير
- غداً أنسى (قصة طويلة) (نفد) — الدكتورة أمل محمد شطا
- موضوعات اقتصادية معاصرة — الدكتور علي بن طلال الجهني
- أزمة الطاقة إلى أين؟ — الدكتور عبدالعزيز حسين الصويغ
- نحو تربية إسلامية — الأستاذ أحمد محمد جمال
- إلى ابنتي شيرين — الأستاذ حمزة شحاتة
- رفات عقل — الأستاذ حمزة شحاتة
- شرح قصيدة البردة — الدكتور محمود حسن زيني
- عواطف إنسانية (ديوان شعر) (نفد) — الدكتورة مريم البغدادي
- تاريخ عمارة المسجد الحرام (نفد) — الشيخ حسين عبدالله باسلامة
- وقفة — الدكتور عبدالله حسين باسلامة
- خالتي كدرجان (مجموعة قصصية) (نفد) — الأستاذ أحمد السباعي
- أفكار بلا زمن — الأستاذ عبدالله الحصين
- كتاب في علم إدارة الأفراد (الطبعة الثانية) — الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
- الإبحار في ليل الشجن (ديوان شعر) — الأستاذ محمد الفهد العيسى
- طه حسين والشيخان — الأستاذ محمد عمر توفيق
- التنمية وجهاً لوجه — الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
- الحضارة تحد (نفد) — الدكتور محمود محمد سفر
- عبير الذكريات (ديوان شعر) — الأستاذ طاهر زمخشري
- لحظة ضعف (قصة طويلة) — الأستاذ فؤاد صادق مفتي
- الرجولة عماد الخلق الفاضل — الأستاذ حمزة شحاتة
- ثمرات قلم — الأستاذ محمد حسين زيدان
- بائع التبغ (مجموعة قصصية مترجمة) — الأستاذ حمزة بوقري
- أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة (تراجم) — الأستاذ محمد علي مغربي
- النجم الفريد (مجموعة قصصية مترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- مكانك تحمدي — الأستاذ أحمد محمد جمال
- قال وقلت — الأستاذ أحمد السباعي
- نبض — الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
- نبت الأرض — الدكتورة فاتنة أمين شاكر
- السعد وعد (مسرحية) — الدكتور عصام خوقير

- **قصص من سومرست موم** (مجموعة قصصية مترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- **عن هذا وذاك** (الطبعة الثانية) — الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
- **الأصداف** (ديوان شعر) — الأستاذ أحمد قنديل
- **الأمثال الشعبية في مدن الحجاز** (نقد) — الأستاذ أحمد السباعي
- **أفكار تربوية** — الدكتور ابراهيم عباس نتو
- **فلسفة المجانين** — الأستاذ سعد البواردي
- **خدعتني بحبها** (مجموعة قصصية) — الأستاذ عبدالله بوقس
- **نقر العصافير** (ديوان شعر) — الأستاذ أحمد قنديل
- **التاريخ العربي وبدايته** (الطبعة الثانية) — الأستاذ أمين مدني
- **المجاز بين اليمامة والحجاز** (الطبعة الثانية) — الأستاذ عبدالله بن خميس
- **تاريخ الكعبة المعظمة** (الطبعة الثانية) — الشيخ حسين عبدالله باسلامة
- **خواطر جريئة** — الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
- **السنيورة** (قصة طويلة) — الدكتور عصام خوقير
- **رسائل إلى ابن بطوطة** (ديوان شعر) — الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
- **جسور إلى القمة** (تراجم) — الأستاذ عزيز ضياء
- **تأملات في دروب الحق والباطل** — الشيخ عبدالله عبدالغني خياط
- **الحمى** (ديوان شعر) — الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
- **قضايا ومشكلات لغوية** — الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار
- **ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة** — الأستاذ محمد علي مغربي
- **زيد الخير** — الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي
- **الشوق إليك** (مسرحية شعرية) — الأستاذ حسين عبدالله سراج
- **كلمة ونصف** — الأستاذ محمد حسين زيدان
- **شيء من الحصاد** — الأستاذ حامد حسن مطاوع
- **أصداء قلم** — الأستاذ محمود عارف
- **قضايا سياسية معاصرة** — الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي
- **نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي** — الأستاذ بدر أحمد كريم
- **الإعلام موقف** — الدكتور محمود محمد سفر
- **الجنس الناعم في ظل الإسلام** — الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
- **ألحان مغترب** (ديوان شعر) (الطبعة الثانية) — الأستاذ طاهر زمخشري
- **غرام ولّادة** (مسرحية شعرية) (الطبعة الثانية) — الأستاذ حسين عبدالله سراج
- **سير وتراجم** (الطبعة الثالثة) — الأستاذ عمر عبدالجبار
- **الموزون والمخزون** — الشيخ أبوتراب الظاهري
- **لجام الأقلام** — الشيخ أبوتراب الظاهري
- **نقاد من الغرب** — الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
- **حوار .. في الحزن الدافيء** — الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
- **صحة الأسرة** — الدكتور زهير أحمد السباعي
- **سباعيات** (الجزء الثاني) — الأستاذ أحمد السباعي
- **خلافة أبي بكر الصديق** — الشيخ حسين عبدالله باسلامة
- **البترول والمستقبل العربي** (الطبعة الثانية) — الأستاذ عبدالعزيز مؤمنة
- **إليها ..** (ديوان شعر) — الأستاذ حسين عبدالله سراج
- **من حديث الكتب** (ثلاثة أجزاء) (الطبعة الثانية) — الأستاذ محمد سعيد العامودي
- **أيامي** — الأستاذ أحمد السباعي

• التعليم في المملكة العربية السعودية (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
• أحاديث وقضايا إنسانية	الدكتور عبدالرحمن بن حسن النفيسة
• البعث (مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي مغربي
• شمعة ظمأى (ديوان شعر)	الدكتور أسامة عبدالرحمن
• الإسلام في نظر أعلام الغرب (الطبعة الثانية)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• حتى لا نفقد الذاكرة	الأستاذ سعد البواردي
• مدارسنا والتربية (الطبعة الثالثة)	الأستاذ عبدالواهاب عبدالواسع
• وحي الصحراء (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبدالله بلخير الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه
• طيور الأبابيل (ديوان شعر) (الطبعة الثانية)	الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• قصص من تاغور (ترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية	الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
• زوجتي وأنا (قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• معجم اللهجة المحلية في منطقة جازان	الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
• عمر بن أبي ربيعة	الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي

تحت الطبع:

• ماما زبيدة (مجموعة قصصية)		الأستاذ عزيز ضيّاء
• عام ١٩٨٤ لجورج أورويل (قصة مترجمة)		الأستاذ عزيز ضياء
• وجيز النقد عند العرب		الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
• هكذا علمني ورد زورث		الشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري
• الطاقة نظرة شاملة		الدكتور عبدالهادي طاهر
• رجالات الحجاز (تراجم)		الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• لا رق في القرآن		الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• من مقالات عبدالله عبدالجبار		الأستاذ عبدالله عبدالجبار
• الاسلام في معترك الفكر		الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
• إليكم شباب الأمة		الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
• لن تلحد		الشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري
• سرايا الإسلام		الشيخ أبوتراب الظاهري
• حكاية جيلين		الدكتور عبدالله حسين باسلامة
• في رأيي المتواضع		الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
• البرق والبريد والهاتف وصلتها بالحب والأشواق والعواطف		الأستاذ عبدالرحمن المعمر
• من أوراقي		الأستاذ محمد سعيد العامودي
• التنمية قضية	(الطبعة الثانية)	الدكتور محمود محمد سفر
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا	(الطبعة الثانية)	الدكتور سليمان بن محمد الغنام
• غداً أنسى (قصة طويلة)	(الطبعة الثانية)	الدكتورة أمل محمد شطا
• تاريخ عمارة المسجد الحرام	(الطبعة الثانية)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• خالتي كدرجان (مجموعة قصصية)	(الطبعة الثانية)	الأستاذ أحمد السباعي
• الحضارة تحد	(الطبعة الثانية)	الدكتور محمود محمد سفر
• الجبل الذي صار سهلا	(الطبعة الثانية)	الأستاذ أحمد قنديل
• ديوان حسين عرب		الاستاذ حسين عرب

سلسلة :

الكتاب الجامعي

صدر منها :

- الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية — الدكتور مدني عبدالقادر علاقي
- الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فؤاد زهران، الدكتور عدنان جمجوم، الدكتور محمد عيد
- النمو من الطفولة إلى المراهقة — الدكتور محمد جميل منصور، الدكتور فاروق سيد عبدالسلام
- الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا — الدكتور عبدالمنعم رسلان
- النفط العربي وصناعة تكريره — الدكتور أحمد رمضان شقلية
- الملامح الجغرافية لدروب الحجيج — الأستاذ سيد عبدالمجيد بكر
- علاقة الآباء بالأبناء (دراسة فقهية) — الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- مبادىء القانون لرجال الأعمال — الدكتور محمد ابراهيم أبوالعينين
- الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية — الأستاذ هاشم عبده هاشم
- قراءات في مشكلات الطفولة — الدكتور محمد جميل منصور
- شعراء التروبادور (ترجمة) — الدكتورة مريم البغدادي
- الفكر التربوي في رعاية الموهوبين — الدكتور لطفي بركات أحمد
- النظرية النسبية — الدكتور عبدالرحمن فكري، الدكتور محمد عبدالهادي كامل
- أمراض الأذن والأنف والحنجرة (باللغة الإنجليزية) — الدكتور أمين عبدالله سراج، الدكتور سراج مصطفى زقزوق
- المدخل في دراسة الأدب — الدكتورة مريم البغدادي
- الرعاية التربوية للمكفوفين — الدكتور لطفي بركات أحمد
- أضواء على نظام الأسرة في الإسلام — الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- الوحدات النقدية المملوكية — الدكتور سامح عبدالرحمن فهمي
- الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية) — الدكتور عبدالوهاب علي الحكمي
- هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم — الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر
- التجربة الأكاديمية لجامعة البترول والمعادن — الدكتور خضير سعود الخضير

تحت الطبع :

- المنظمات الاقتصادية الدولية — الدكتور حسين عمر
- الاقتصاد الاداري — الدكتور فرج عزت
- التعلم الصفي — الدكتور محمد زياد حمدان
- الاقتصاد الصناعي — الدكتور سليم كامل درويش
- مبادىء الأحصاء — الدكتور جلال الصياد، الاستاذ عادل سمره
- مبادىء الطرق الاحصائية — الدكتور جلال الصياد، الدكتور عبد الحميد محمد ربيع

سلسلة : رسائل جامعية

صدر منها :

العنوان	المؤلف
• صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية)	الدكتور بهاء حسين عزّي
• الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول	الأستاذة ثريا حافظ عرفة
• الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت	الأستاذة موضي بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود
• العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن	الأستاذة أميرة علي المداح
• القصة في أدب الجاحظ	الأستاذ عبدالله باقازي
• تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف	الأستاذة فوزية حسين مطر
• النظرية التربوية الإسلامية	الأستاذة آمال حمزة المرزوقي
• نظام الحسبة في العراق.. حتى عصر المأمون	الأستاذ رشاد عباس معتوق
• المقصد العلي في زوائد أبي يعلي الموصلي (تحقيق ودراسة)	الدكتور نايف بن هاشم الدعيس
• الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية	الأستاذة ليلى عبدالرشيد عطار
• الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية	الأستاذ نبيل عبدالحي رضوان
• دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام	الأستاذة فتحية عمر حلواني
• الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام	الأستاذة نورة بنت عبدالملك آل الشيخ
• دراسة اثنوغرافية لمنطقة الإحساء (باللغة الانجليزية)	الدكتور فايز عبدالحميد طيب
• عادات وتقاليد الزواج بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية (دراسة ميدانية انثروبولوجية حديثة)	الأستاذ أحمد عبدالاله عبدالجبار
• افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي	الأستاذ عبدالكريم علي باز
• دور المياه الجوفية في مشروعات الري والصرف بمنطقة الإحساء بالمملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية)	الدكتور فايز عبدالحميد طيب
• تقويم النمو الجسماني والنشوء	الدكتورة ظلال محمود رضا

تحت الطبع :

العنوان	المؤلف
• الطلب على الإسكان من حيث الاستهلاك والاستثمار (باللغة الإنجليزية)	الدكتور فاروق صالح الخطيب
• العقوبات التفويضية وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنة	الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهيبي
• العقوبات المقدرة وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنة	الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهيبي
• تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام وحتى منتصف القرن الثالث عشر	الأستاذ محمد فهد عبدالله الفعر
• التصنيع والتحضر في مدينة جدة	الأستاذة عواطف فيصل بياري



صدر منها :

- حارس الفندق القديم (مجموعة قصصية) — الأستاذ صالح ابراهيم
- دراسة نقدية لفكر زكي مبارك (باللغة الانجليزية) — الدكتور محمود الشهابي
- التخلف الإملائي — الأستاذة نوال عبدالمنعم قاضي
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية — إعداد إدارة النشر بتهامة
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودي (باللغة الانجليزية) — إعداد إدارة النشر بتهامة
- تسالي (من الشعر الشعبي) (الطبعة الثانية) — الدكتور حسن يوسف نصيف
- كتاب مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (دراسة وتحقيق) — الشيخ أحمد بن عبدالله القاري / الدكتور عبدالوهاب إبراهيم أبوسليمان / الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي
- النفس الإنسانية في القرآن الكريم — الأستاذ إبراهيم سرسيق
- واقع التعليم في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) (الطبعة الثانية) — الدكتور عبدالله محمد الزيد
- صحة العائلة في بلد عربي متطور (باللغة الإنجليزية) — الدكتور زهير أحمد السباعي
- مساء يوم في آذار (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد منصور الشقحاء
- النبش في جرح قديم (مجموعة قصصية) — الأستاذ السيد عبدالرؤوف
- الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام — الدكتور محمد أمين ساعاتي
- الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك — الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
- الدليل الأبجدي في شرح نظام العمل السعودي — الدكتور عاطف فخري
- رعب على ضفاف بحيرة جنيف — الأستاذ شكيب الأموي
- العقل لا يكفي (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد علي الشيخ
- أيام مبعثرة (مجموعة قصصية) — الأستاذ فؤاد عنقاوي
- مواسم الشمس المقبلة (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد علي قدس
- ماذا تعرف عن الأمراض ؟ — الدكتور اسماعيل الهلباوي
- جهاز الكلية الصناعية — الدكتور عبدالوهاب عبدالرحمن مظهر
- القرآن وبناء الإنسان — الأستاذ صلاح البكري
- اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية — الأستاذ علي عبده بركات
- الطب النفسي معناه وأبعاده — الدكتور محمد محمد خليل
- الزمن الذي مضى (مجموعة قصصية) — الأستاذ صالح ابراهيم
- مجموعة الخضراء (دواوين شعر) — الأستاذ طاهر زمخشري
- خطوط وكلمات (رسوم كاريكاتورية) (الطبعة الثانية) — الأستاذ علي الخرجي
- ديوان السلطانين — الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
- الامكانات النووية للعرب وإسرائيل — الدكتور صدقة يحيى مستعجل
- رحلة الربيع — الأستاذ فؤاد شاكر
- وللخوف عيون (مجموعة قصصية) — الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- البحث عن بداية (مجموعة قصصية) — الأستاذ جواد صيداوي
- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف — الدكتور حسن محمد باجودة
- المجنونة اسمها زهرة عباد الشمس (ديوان شعر) — الأستاذة منى غزال

العنوان	المؤلف
• من فكرة لفكرة (الجزء الاول)	الأستاذ مصطفى أمين
• رحلات وذكريات	الأستاذ عبدالله حمد الحقيل
• ذكريات لا تنسى	الأستاذ محمد المجذوب
• تاريخ طب الاطفال عند العرب	الدكتور محمود الحاج قاسم

تحت الطبع :

العنوان	المؤلف
• قراءات في التربية وعلم النفس	الأستاذ فخري حسين عزّي الدكتور لطفي بركات أحمد
• الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية	الأستاذ أبو هشام عبدالله عباس بن صديق
• الحجاز واليمن في العصر الأيوبي	الدكتور جميل حرب محمود حسين
• ملامح وأفكار	الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
• المذاهب الأدبية في شعر الجنوب	الدكتور علي علي مصطفى صبح
• النظرية الخلقية عند ابن تيمية	الدكتور محمد عبدالله عفيفي
• الكشاف الجامع لمجلة المنهل	الأستاذ عبدالله سالم القحطاني
• ديوان حمام	الأستاذ محمد مصطفى حمام
• رحلة الأندلس	الدكتور حسين مؤنس
• فجر الأندلس	الدكتور حسين مؤنس
• قريش والاسلام	الدكتور حسين مؤنس
• الماء ومسيرة التنمية	الأستاذ مصطفى نوري عثمان
• الدفاع عن الثقافة	الدكتور عبدالعزيز شرف
• الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث	الأستاذ مصطفى عبداللطيف السحرتي
• مشكلات لغوية	الدكتور شوقي النجار
• مشكلات بنات	الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
• دليل مكة السياحي	إعداد تهامة للنشر والمكتبات
• من فكرة لفكرة (الجزء الثاني)	الأستاذ مصطفى أمين

كتاب الناشئين

صدر منها :

المجموعة	العنوان	المؤلف
مجموعة: وطني الحبيب	• جدة القديمة	الأستاذ يعقوب محمد اسحق
	• جدة الحديثة	الأستاذ يعقوب محمد اسحق
مجموعة: حكايات ألف ليلة وليلة :	• السندباد والبحر	الأستاذ يعقوب محمد اسحق

العنوان	المؤلف
• الديك المغرور والفلاح وحماره	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• الطاقية العجيبة	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• الزهرة والفراشة	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• سلمان وسليمان	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• زهور البابونج	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• اليد السفلى	الدكتور محمد عبده يماني الأستاذ يعقوب محمد اسحق
• سنبلة القمح وشجرة الزيتون	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• نظيمة وغنيمة	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• جزيرة السعادة	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
• الحديقة المهجورة	الأستاذة فريدة محمد علي فارسي

كتب صدرت باللغة الانجليزية

Books Published in English by Tihama

- Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.

  By: F.M. Zahran
  A.M.R. Jamjoom
  M.D.EED
- Zaki Mubarak: A Critical Study.
  By Dr. Mahmud Al Shihabi
- Summary of Saudi Arabian
  Third Five Year Development Plan
- Education in Saudi Arabia, A Model with Difference Second Edition
  By Dr. Abdulla Mohamed A Zaid
- The Health of the Family in A Changing Arabia
  By Dr. Zohair A. Sebai
- Diseases of Ear, Nose and Throat

  By: Dr. Amin A. Siraj
  Dr. Siraj A. Zakzouk
- Shipping and Development in Saudi Arabia
  By: Dr. Baha Bin Hussein Azzee
- Tihama Economic Directory.
- Riyadh Citiguide.
- Banking and Investment in Saudi Arabia.
- A Guide to Hotels in Saudi Arabia.
- Who,s Who in Saudi Arabia.
- An Ethnographic Study of Al-Hasa Region of Eastern Saudi Arabia
  By: Dr. Faiz Abdelhameed Taib
- The Role Of Groundwater In The Irrigation And Drainage Of

  The Al Hasa Of Eastern Saudi Arabia

  By: Dr. Faiz Abdelhameed Taib



النصر للطباعة والتغليف

تلفون : ٦٦٠٦٤٣٥ – ص.ب ١٢٣٢٨ – جدة